

الشهيد
محمود المدائني
عِمامة في مواجهة الإرهاب

٩٢٢ / ١٦٨١

ع ٣٥٩ العتبة الحسينية المقدسة

الشيخ محمود المدائني / العتبة الحسينية المقدسة. - ط ١ - كربلاء : دار الوارث.

٢٠٢٥

(٢٠٢) ص / ٢٤ سم

١. رجال الدين . ٢. المدائني ، محمود

١. رجال الدين الشيعة. ٢. (رجل دين شيعي) . . أ. العنوان

رقم الايداع ٥٩٤٩ / ٢٠٢٥

المكتبة الوطنية / الفهرسة اثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٥٩٤٩) ٢٠٢٥



الأمانة العامة للعامة للحسين المقدسة مركز بينة للأمن الفكري والثقافي

هوية الكتاب

اسم الكتاب: الشهيد محمود المدائني عظمة في مواجهة الإرهاب

تأليف: علي محمود المدائني

التحقيق والتدقيق اللغوي: ضياء حسن

الإشراف العام: الشيخ علي عبد زيد القرعاوي

التصميم والإخراج الفني: م. زهير محمد حسين الجبوري

الطبع: دار الوارث للطباعة والنشر

عدد الصفحات: ٢٠٠ صفحة

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

الطبعة: الأولى ١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٥ م

مركز بينة للأمن الفكري والثقافي

العراق: كربلاء المقدسة - حي النقيب - مقابل شارع هيئة محمد الأمين

هاتف: ٠٧٨٠٨٥٦٦٨٨٨-٠٧٨٤٠٥٠٠٦١٨

الموقع الإلكتروني: www.bayna.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا
مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ *
فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ *
وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا



الإهداء

إلى سيّد الشهداء، ومصباح الدُّجَى، وسفينة النّجاة؛ الإمام الحسين عليه السلام، الذي بفدائه الأعظم استنارَ دربُ الحرّيّة، واندحرَ طغاةُ الظّلام.

وإلى الصّحابيّ الجليل، البطل الفدّ، سلمان المحمّديّ ﷺ، الذي انبثقَ من فكره النّيرُ نُورُ الهدى، وانتشرَ بفضلِ جهاده تيّارُ التّشيعِ الأصيلِ في ديارِ المدائن، فكانَ نورًا من أنوارِ أهلِ البيتِ عليهم السلام.

وإلى الصّحبِ الأبرار، الأطهار، الذينَ سقوا بدمايهمُ الزّكيّةَ ثُربةَ الطّفّ، فجعلوها رمزًا للفداء، وشاهدًا على أنّ دمَ الشّهيدِ هو بذرةُ الحقِّ والنُّورِ.

وإلى روحِ والدي الغالي، الذي تعلّمتُ من سيرته العِطرة أنّ الحبَّ في الله والإيمانِ هما أجملُ ميراثٍ.

وإلى رُوحِ أخي، الذي سبّقتني إلى جنانِ الرّضوانِ، وترك في قلبي حسرةً وحزنًا وذكرى لا تَبْرَحُ.

وإلى جميعِ شهداءِ أتباعِ أهلِ البيتِ عليهم السلام في قضاءِ المدائن، الذينَ ختموا حياتهمُ بختمِ الشّهادة، فشهِدُوا بأنّ دماءهمُ كتبتْ أسماءهمُ في سفرِ الخلودِ.

وإلى شهداءِ الحوزةِ العلميّة، حملةِ المشعلِ، وورثةِ العِلْمِ والجهادِ، الذينَ بذلوا أنفُسهمُ فداءً للدينِ والعِلْمِ، فسارُوا على الدّربِ ذاتِهِ، دربِ الحسين عليه السلام.

فلهمُ مِنَ القلبِ أصدقُ الدّعاء: رَبِّ اجعلهمُ في مقعدِ صدقٍ عندك، واجعلنا مِنَ الذينَ يسيرونَ على نهجهمُ، ويحيونَ بروحهمُ، وإليك يومَ القيامةِ يُحْشَرُونَ.

الفصل الأوّل

بزوغ الأمل

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة لا بدّ منها

الحمدُ لله ربِّ العوالم، الذي ربط على قلوب المؤمنين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، محمدٍ الصادق الأمين، وعلى آله الأطهار، مصابيح الدجى وسُفن النجاة، صلواتُ الله عليهم أجمعين.

أمّا بعدُ: فإنَّ الأمم تُقاسُ بعظمة تاريخها، وتُخلَّدُ بأساطير رجالها. ولئن افتخرت الحضارات بفراعنتها وقيصرتها، فإنَّ أمتنا الإسلامية تعتلي ذروة المجد بسير أئمَّتها الأبرار، ورجالها الأطهار. وفي صدر هذا الموكب الخالد، يتألَّق مذهب أهل البيت عليهم السلام كشمس تضيء دروب الحق، تُخرج للعالم رجالاً تسابقت الأزمان إلى احتضان سيرتهم، وانحنت جباه العظماء إجلالاً لبطولاتهم.

هذا الكتاب وفاءً لواحدٍ من أولئك الأفاضل، الشهيد المظلوم، الشيخ محمود المدائنيَّ رحمه الله. لم أكتبه لأخلِّد اسمًا، بل لأجسد قيمًا، ولأعيد للذاكرة صورة رجل نذر حياته لخدمة الإسلام، فقارع طغاة البعث بصوت الحق، وصمد أمام إعصار الإرهاب بقلب المؤمن.

وها قد مرَّ تسع عشرة سنة على رحيله، ونحن اليوم في العام (١٤٤٧هـ) ورحل معه كنز من سيرة لم يدونها مؤرِّخ، ولم يروها شاهد. فجئت ألقط شظايا ذكراه من أفواه رفاق دربه، وأجمع حروف سيرته من سطور الزمن الضائعة. هذه صفحات متقدِّدة بروح المقاومة، تُحاول أن تُنقذ إرثًا يُوشك أن يندثر، وتُعيد للشهادة بهاءها.

هذا الشيخُ لم يَخْتَفِ خَلْفَ مَنَابِرَ ذَهَبِيَّةٍ، بل صَعَدَ مَنبِرَ الحَيَاةِ بِقَدَمِ مُضَرَّجَةٍ بدم الشهادة. وهذه دعوةٌ لقراءة سيرته لنعلم أنَّ الإسلامَ لا يُبنى بالكلام، بل بدماء الأبرار.

والدي الشيخ الشهيد: جرحٌ في القلب وسيرةٌ في الضمير الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى أيُّها القارئ الكريم،

بينَ يديكَ سطورٌ تروي حكايةَ رحيل، بل شهادةً على عُمقِ الفقدِ ووطأةِ الفراقِ. إنَّها قصَّةُ والدي، الشيخ محمود المدائنيَّ الذي اغتيل ظلماً وعدواناً، فخلَّفَ في أعماقنا جرحاً لا يبرأ، وألماً يزدادُ إشراقاً مع الأيام، لأنَّه نابعٌ من منبعٍ طاهرٍ، اختارَ طريقَ الشهادةِ فسارَ عليه بباتٍ حتى لقيَ ربَّهُ طاهراً مُطَهَّراً.

لقد كانَ رحيْلُهُ صدمةً هزَّتْ أركانَ عائلتنا ومحبيِّه وجماعته، لكنَّ الذكرى هنا ليستُ تاريخاً نُسجَلُهُ ثمَّ نمضي، بل هي أثرٌ يتجدَّدُ في الضميرِ، ويتراءى في كلِّ موقفٍ، وكلِّ قرارٍ، وكلِّ نفسٍ نتنَفَّسُهُ. كانَ أَبِي ﷺ رجلاً استثنائياً، لم يمنحنا وجودُهُ المباركُ طويلاً، لكنَّه منحنا مبادئَهُ، فغرسَ فينا من علمِهِ وإيمانه ما جعلَ روحَهُ حاضرةً بيننا حتى بعدَ أنْ غابَ جسْدُهُ. كانَ بحرّاً منْ عطاءٍ، ومشعلاً منْ هدى، أثَّرَ في شخصيًّا تأثيراً جعلني أحملُ رسالتهُ منْ بعده، رَغَمَ قسوةِ الحرمانِ منْ حضورِهِ.

كانَ لوالدي، رحمهُ الله، دورٌ كبيرٌ في حياةِ النَّاسِ في المدائنِ، وكانَ ارتباطُهُ الوثيقُ بالمرجعيةِ الدينيَّةِ في النجفِ الأشرفِ مصدرَ قوَّتِهِ ومنبعَ نورِهِ. هذا الخطُّ الشَّريفُ، خطُّ التَّقوى والاستقامةِ والولاءِ لأهلِ البيتِ (عليهمُ السلامُ)، هو الَّذي ربَّانا عليه، وهو الَّذي نَقَلَهُ إلينا بكلِّ إخلاصٍ، فتشبَّنا بهِ مِنْ بعده، لأنَّه الخطُّ الَّذي فيه النجاةُ والفلاحُ.

وقد عاشت مدينة المدائن بعد عام ٢٠٠٣ ظروفًا عصيبةً، حيث أحاط بها التَوَتُّراتُ الطائفيةُ من كلِّ جانبٍ، وأصبح المشروع الديني والاجتماعي هدفًا للعصابات الإرهابية التي أرادت إطفاء نور الله. تعرَّض والدي لتهديدات كثيرة، لكنَّ إصراره على أداء رسالته، ونشر العلم، والدفاع عن حرمة المدينة وأهلها، كان أقوى من كلِّ رصاصة، وأعتى من كلِّ تهديد. من هذا الإصرارِ تشربنا نحنُ العزيمة، وتعلَّمنا أنَّ المواجهة والتَّحدي هما سبيلُ الحقِّ في زمنِ الباطلِ.

لقد ترك لنا وصيته التي أصبحت منهاجًا لنا في التعامل مع هؤلاء المجرمين: «لا تهابوا الطغاة، ولا تتنازلوا عن حقِّكم، واعلموا أنَّ كلمة الحقِّ هي السِّلَاحُ الأقوى» هذه الوصية كانت خلاصة تجربة حياة، أصبحت دستورًا نسيرُ عليه.

لم يكن والدنا قائدًا لعائلته فحسب، بل كان مساهمًا رئيسيًا في تكوين هويَّة جيلٍ كاملٍ في المدائن، جيلٍ يعرف حقَّ ربِّه، ويفخر بانتمائه، ويضحِّي في سبيلِ مبادئه. وفي هذه الرحلة الأليمة، نستذكر قولَ الشَّاعر:

سقى الله ثراك بكلِّ غيثٍ وطيبَ في الجنان لك المقيلا
رحلت ولم تزل في القلب حيًّا تسيرُ بنا كضوءٍ لا يزولا
فالفقد ثقيلٌ، لكننا نؤمنُ بأنَّ دماءَ الشهداء لم تُسفك عبثًا، بل هي منهاجُ حياة، وشمسٌ تضيءُ دربَ الأحرار. إنَّها دماءٌ كتبت بقاءنا، وكرامتنا، وإيماننا. هي لم تسقط، ولن تسقط هباءً، بل ستظلُّ شعلةً متقدَّة تنيرُ الطريقَ للأجيالِ القادمة، وتثبتُ أنَّ الباطلَ زائلٌ لا محالة، وأنَّ دمَّ الشَّهيد هو وقودُ النِّصرِ وبذارُ الخلود.

هذه هي قصة والدي الشَّيخ الشَّهيد محمود المدائني قصة الشَّهادة التي نعتزُّ بها، والحبِّ الذي ينتصرُ على الموت.

علي محمود المدائني

تقريظ

ساحة العلامة الحجة السيّد محمّد حسين العميدي (حفظه الله)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله الَّذي أقامَ بِدِماءِ الشُّهَدَاءِ صَرَحَ اليقينِ، وأشعلَ بِسِيرِ الْمُخْلِصِينَ
مَصَابِيحَ الإِيْمَانِ فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ، وجعلَ ذِكْرَهُمْ حِياةً لِلْقُلُوبِ وَضِيَاءً
لِلدُّرُوبِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، الَّذِينَ بِهِمْ يَهْتَدِي
السَّائِرُونَ، وَبُنُورِهِمْ يُشْرِقُ الْعَالَمُونَ.

وبعد... فقد قرأتُ هذا الكتابَ المبارك، فرأيتُه سِفْرًا نابِضًا بالوفاءِ، ونقشًا
خالِدًا على جدارِ الذَّاكِرَةِ لِوَاحِدٍ مِنْ أَبْنَاءِ الإِسْلَامِ الْبَرَّةِ، الشَّيْخِ الشَّهِيدِ محمودِ
المدائنيِّ رحمه الله، الَّذي جمعَ بِبراعةٍ نادرةٍ بَيْنَ صفاءِ القلبِ وشجاعةِ الموقفِ، وبَيْنَ
علمِ العلماءِ وتواضعِ الزُّهَّادِ، فكانَ مدرسةً في الإخلاصِ والصَّبْرِ والجِهادِ.

فكانَ هذا الكتابُ عنوانًا في سِجْلِ الحِياةِ، ووثيقةً تاريخيةً وإيمانيةً تُجسِّدُ
أسطورةَ الصُّمُودِ في قضاءِ المدائنيِّ الجريحِ، وتُخلِّدُ سيرةَ رجلٍ عاشَ مُخْلِصًا لِلَّهِ،
عامِلًا في سبيلِ الحقِّ، ناذرًا نَفْسَهُ لِخِدمةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ولأَهْلِهِ وَمَدِينَتِهِ
الَّتِي أَحَبَّهَا بِصَدْقٍ.

إِنَّ هَذِهِ الصَّفَحَاتِ تَبْعُثُ فِي الْأَرْوَاحِ رُوحَ الْخِدمةِ وَالتَّضحيةِ، وتُذَكِّرُ بِأَنَّ
طَرِيقَ الْوِلاءِ لِأَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام طَرِيقٌ لَا يُسَلِّكُ إِلَّا بِالْعِزمِ وَالْيَقينِ

وَإِنِّي إِذْ أَكْتُبُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، أَسْتَحْضِرُ مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّهِيدِ مِنْ عِلَاقَةٍ
عَمَلٍ طَيِّبَةٍ، وَمَا لِمُسْتَهٍ فِيهِ مِنْ صِفَاءِ النِّيَّةِ وَإِخلاصِ الْعَمَلِ، لَقَدْ كَانَ الشَّيْخُ محمودُ

المدائني مثلاً حيّاً للروح الإسلاميّة الأصيلّة، وإعْظاً بالحُسنَى، ومُصلِحاً لا يَصْطدِمُ، ومُربِّياً يزرعُ الكلمةَ كما تُزرَعُ البذرةُ في أرضٍ عطشى، كان رجلاً هادئاً السَّجِيّة، مُتواضِعاً كالأرضِ تُنبِتُ الزَّهرَ، وينحني كالسَّيْلِ لِلْعِطَاشِ عندما يلتقي بالمؤمنين، ما جعله يحظى بِقبولٍ اجتماعيٍّ من جميع مُكوّناتِ المجتمع بلا استثناءٍ.

ولقد كان نَهْجُهُ في العملِ الرِّساليِّ والحوزويِّ يتمتّع بِبصيرةٍ فريدةٍ؛ فقد رفضَ بِشدّةٍ استغلالَ اسمِهِ أو اسمِ المُصلّي لِلحصولِ على منافعٍ شخصيّةٍ، مؤكّداً أَنَّهُ لا يقبلُ ما لا ينالُهُ النَّاسُ عامّةً بِالْعَدْلِ، كما كان يرفضُ تزكيةَ مَنْ ساندَ الظُّلمَ وساهمَ في إِذلالِ النَّاسِ، ولو بِكلمةٍ، مُعتبراً ذلكَ خيانةً لِدماءِ الشُّهداءِ، هذهِ المواقفُ السَّامِيّةُ، الَّتِي شهدتْ بعضُها بنفسِي، تُؤكِّدُ أَنَّ عملَهُ كانَ لِلهِ خالصاً، وَأَنَّهُ كانَ رجلاً مبدأً قَبْلَ أَن يكونَ رجلاً منصبٍ أو مُجاملَةٍ.

لقد أثبتَ الشَّيْخُ المدائني رُحْمَتُهُ في مسيرتِهِ أَنَّهُ لم يكنْ مجردَ طالبٍ علمٍ فحسبَ، بل كانَ قائداً وعيٍّ وعاملٍ إِصلاحٍ في مَدِينَتِهِ، ومأوًى لِلْفُقَرَاءِ، وصوتاً لِلْحَقِّ في زمنٍ الصَّمْتِ.

وها هي بعضُ الحقائقِ والمعلوماتِ المُستخلَصَةِ من الكتابِ تُؤكِّدُ عظمةَ مشروعه:

فمن ذلكَ مشروعهُ الرِّساليُّ في المدائنِ بِتعليمِ النَّاسِ فقَهَ العقيدةِ وتنظيمِ مجالسِ العزاءِ، مُحَوِّلاً قريتهُ الصَّغيرةَ إِلى مركزٍ لِلنُّورِ ينتشرُ ضياؤُهُ حتّى أَطرافِ العراقِ.

ولقد كانَ الشَّيْخُ أَوَّلَ مُعْتَمَدٍ لِلمرجعيّةِ الدِّينيّةِ العُليا في قضاءِ المدائنِ، وتزكيتهُ كمعتمدٍ جاءتْ من العلامَةِ الشَّيْخِ باقرِ القرشيِّ (طاب ثراه)، الَّذِي قالَ عنه: «لو أُتيْتُ إِلى المدائنِ، فلا أَصْلِي إِلاَّ خَلَفَ هذهِ العمامةَ».

وقد أسَّسَ أَوَّلَ مسجدٍ لِأَتباعِ أَهْلِ البَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) في المدائنِ، وأَوَّلَ صلاةٍ جُمُعَةٍ

وجماعةٍ عليَّيةٍ بعدَ سقوطِ النُّظامِ في مُصلَّى الرُّسولِ الأعظمِ ﷺ.

وبنورِ بصيرتِهِ سَبَقَ القِتلةَ بِوَصِيَّةٍ خالدةٍ دعا فيها إلى ضبطِ النَّفسِ ونبذِ الانتقامِ، وعدمِ توجيهِ التُّهمَةِ لأيٍّ من أبناءِ المدينةِ، فأطفأتْ هذهِ الوَصِيَّةُ نيرانَ فتنةٍ كادتْ تلتهمُ المدينةَ عندما اغتيلَ الشَّيخُ محمودُ المدائني مع نجلِهِ مُحَمَّدٍ (ذو العشرِ سنواتٍ) وثُلَّةٍ من رِفاقِهِ في الأوَّلِ من شهرِ ذي الحِجَّةِ ١٤٢٥ هـ على يدِ دعاةِ التَّكفيرِ، وأذنانِ الشَّيطانِ.

إنَّ هذا الكتابَ ليسَ مجردَ توثيقٍ لِسيرةٍ شهيدٍ، بل هو شهادةٌ وفاءٍ لِمدرسةٍ تصنعُ الرُّجالَ، وتغرِسُ في الأجيالِ معنى الثَّباتِ على المبدأ، وخدمةِ الدِّينِ والأُمَّةِ. فليكنْ هذا الكتابُ شاهداً على عطائِهِ، ودعوةً إلى أن نقنطِرَ بِروحِهِ المُضيئةِ، وأن نواصلَ طريقَهُ في خدمةِ الدِّينِ والوطنِ والإنسانِ.

لقد ختمَ الشَّيخُ الشَّهيدُ محمودُ المدائني مسيرتَهُ بِالشَّهادةِ في سبيلِ اللهِ، فصارَ مثلاً يُحتذى، ونوراً يُقتدى بِهِ، رحمهُ اللهُ تعالى رحمةً واسعةً، وطيبَ ثراهُ، وأسكنهُ مع الشَّهداءِ فسيحَ جَنانِهِ، وأنالهُ نعيمَ رِضوانِهِ.

وجزى اللهُ المؤلِّفَ خيرَ الجزاءِ على جُهدِهِ في حفظِ هذا الأثرِ، وعلى ما أودعَ من صدقِ المشاعرِ، وجمالِ البيانِ، وأداءِ الأمانةِ تجاهَ أحدِ المُخلِصينَ الَّذينَ خطُّوا بِدمائِهِم حروفَ الوفاءِ

والحمدُ لِلهِ رَبِّ العالمينَ.

مدخل

المدائن حين تحكي الأسطر!

مزجت هذه البقعة القديمة بروحها ثقافات الفُرس، وحكمة الإغريق، وسحر الآراميين في عُبَابِ القرنِ الرابعِ قبلَ الميلادِ، نَبَضَتْ بِاسْمِ «سلوقية»، عاصمةً لأُمَّةٍ تحملُ أحلامَ الإسكندرِ الأكبرِ ثُمَّ أَقبلَ البارثيونَ كالعاصفة، فرسموا على أرضِها «طيسفون»، كأحجيةٍ تاريخيةٍ، حتَّى إذا ما جَتِ الحَقْبُ، اختلطَ الماءُ بالنارِ، فولدتْ (المدائن) مدينةَ الجبابة!

في ظلِّ الإمبراطوريةِ الساسانيَّةِ، صارتْ هذه الأرضُ ملعبًا للعظماء: قصورٌ تلوُّكُ السماءِ، وحادِثُ تسرُّقِ ألوانِ الفردوسِ. ولكنَّ سيفَ الإسلامِ كانَ أقدرَ على قطعِ جبالِ الظُّلمِ، فدخلها سلمانُ الفارسيُّ ﷺ واليًّا، حاملاً إليها بذورَ التشيعِ، حتَّى صارتْ حصنًا لولايةِ عليٍّ عليه السلام.

ومضتْ القرونُ، فإذا بالمدائنِ تُغادرُ وضعَ «العاصمة» إلى «المنسيَّة»، بعد أن نقلَ العبَّاسيونَ نجومَهم إلى سماءِ بغداد.

أمَّا في القرنِ العشرينِ، فقد صارتِ المدينةُ ورقةً في يدِ السُّلطةِ... مصنَّعةً لأسرارِ الجيشِ، ومرابطةً لأعينِ الأمنِ. حيث حوربَ أتباعُ أهلِ البيتِ عليه السلام حتَّى في خشوعِ صلواتِهِم، فلم يبقَ لهم إلا همساتُ القلوبِ.

من بينِ سطوةِ الرقابةِ الأمنيَّةِ، ومشاعرِ الخوفِ التي تكادُ تخنقُ أنفاسَ شيعةِ أهلِ البيتِ عليه السلام، برزَ شابٌّ مُلتَهَبُ الإيمانِ، يحملُ في أعماقِ نفسه همومَ أبناءِ مدينته وآهاتهم، مُصمِّمًا على أن يرفعَ عنها غبارَ النسيانِ، ويعيدَ إليها بهاءَ تاريخها

المُشرق. فاتَّخَذَ من القدوةِ سلمانَ المحمديَّ عليه السلام مشعلاً يهتدي به، ومن معارفِ أهل البيت عليهم السلام منهجاً يسلكه.

لذا، شدَّ الرِّحالَ متوجّهاً صوبَ النَّجفِ الأشرفِ، مدينةِ أميرِ المؤمنين عليه السلام، ليرتوي من نَميرِ علومِ حوزتها العلميّة، ويتلمذَ على يدِ ثُلَّةٍ من علمائها وفُضلائها ولكنْ لم يَطُلْ مكثُه هناك؛ فقد عادَ إلى مدينته بعدَ أن تسلَّحَ بالعلمِ والوعي، ليكونَ خادماً أميناً لأبنائها، ومعلِّماً واعظاً لأجيالها، وسنداً لفقرائها ومحتاجيها، متأسيّاً بقولِ الله تعالى:

﴿وما كانَ المؤمنونَ لينفروا كافّةً، فلولا نفرٌ من كلِّ فرقةٍ منهم طائفةٌ ليتفقهوا في الدين، ولينذروا قومَهُمْ إذا رجعوا إليهم لعلَّهُم يحذرونَ﴾ ^(١).

في عام ٢٠٠٣م، بعدَ سقوطِ النظامِ البعثيِّ في العراقِ، وجدَ الشيخُ محمودُ المدائنيُّ فرصتهَ الذهبيّةَ لِيأخذَ مداهُ الطَّبيعيَّ في خدمةِ أتباعِ مدرسةِ أهل البيت عليهم السلام. فاتَّخَذَ من مكانٍ متواضعٍ مركزاً يجتمعُ فيه الناسُ للصلاةِ، وقراءةِ القرآنِ، وإقامةِ المجالسِ العلميّة، وإحياءِ الشعائرِ الحسينيّةِ بحماسٍ يُذكرُ بروحِ التَّضحية. ولم تَخَفَ على أحدٍ حركتهُ الدُّؤوب، وهو يُجاهدُ بقلبٍ مُتَّقِدٍ، برفقةِ ثُلَّةٍ من أبناءِ المدائنِ، يُشدُّونَ أزرَهُ في حملِ همومِ المدينةِ ومسؤولياتِها الاجتماعيّة.

وإذ كانَ العراقُ يغوصُ في خضمِّ التحدّياتِ الأمنيّةِ العنيفة، بين انتشارِ القواتِ الأمريكيّةِ وتصاعدِ وحشيّةِ الجماعاتِ التكفيريّة، (بقايا أعوانِ النظامِ السابقِ) التي كانت تُحاصرُ بعيونٍ لصوبيّةٍ كلّ مَنْ يعملُ في حقلِ الخدمةِ الاجتماعيّة، ولا سيّما رجالَ الدينِ، غيرَ أنَّ الشيخَ المدائنيَّ لم يُطأطأ رأسُه. وحتى الأمراضُ الكلويّةُ العُضالُ التي كانت تنهشُ جسده، لم تقدرْ على كسرِ إرادتهِ الجبّارة؛ فالواجبُ الشرعيُّ كانَ نوراً يقوده إلى الأمام، ويزرع فيه لا يلين.

وكانت المدائن آنذاك تعيشُ تحتَ ظلالِ نظامٍ قمعيٍّ يُخيِّمُ عليها بسُحْبِ الخوفِ. فرغمَ انعدامِ مظاهرِ التعصُّبِ الطائفيِّ قبلَ عامٍ ٢٠٠٣م، إلَّا أنَّ المشاعرَ الخفيَّةَ بينَ مكوناتِ المجتمعِ كانتُ كالجمرِ تحتَ الرمادِ: لُحمةٌ اجتماعيَّةٌ مهزوزةٌ، وعلاقاتٌ مشبوهةٌ معَ أجهزةِ الأمن، وتوترٌ يُنذرُ بعاصفةٍ لا تُبقي ولا تذر.

وفي خضمِّ هذا المعترك، كان الحضورُ الشيعيُّ في وسطِ القضاء شبحًا خافتًا: لا مراجعَ دينية، ولا حركةً ثقافية، ولا حتى مجالسَ عزاءٍ تُحيي ذكرى كربلاء! فكان أهلُ الإخلاصِ يفرُّون خُفيةً إلى القرى المجاورة ليعيشوا صباغةَ الإيمان.

وكان حريصًا أشدَّ الحرصِ على أن يبقى خيطُ الوصلِ ممدودًا بينه وبين المرجعيَّةِ الدينيَّةِ العُليا في النجفِ الأشرفِ، ليكونَ أهلُ المدائنِ على اطلاعٍ دائمٍ بتطوُّراتِ الأحداثِ المتسارعةِ، التي كانت تتجدَّدُ كأموجِ البحرِ الهائجِ. ولم يكنْ همُّه نقلُ الخبرِ فحسب، بل سعى بكلِّ جهده ليكونَ يدًا خفيفةً تُوصلُ المساعداتِ الماديَّةَ والغذائيَّةَ إلى مَنْ يستحقُّها من أبناءِ المدينة.

حياته ونشأته:

وُلِدَ الشَّيْخُ الشَّهِيدُ محمودُ المدائنيُّ في العاصمةِ بغداد، في السابعِ من شهرِ رجبِ الأصَبِّ سنةَ ١٣٨٩هـ، الموافقِ للتاسعِ عشرِ من شهرِ أيلولِ عامَ ١٩٦٩م. وهو الشَّيْخُ محمودُ بنُ فنجانَ بنِ عبدِ بنِ ماهودَ بنِ سلمانَ بنِ رميَضَ بنِ حسينَ بنِ شاملِ بنِ حمِدِ بنِ عليٍّ بنِ صافيِ بنِ معلَّى، ويرجعُ نسبُهُ إلى عشيرةِ المعلَّى، التي تنحدرُ من قبيلةِ كنانةِ العربيَّةِ الأصيلِة، المشهورةِ بمواقفِها الوطنيَّةِ والدينيَّةِ الخالدةِ نشأ في قريةِ الحاجِّ فنجان، نشأ بكنفِ والدهِ الحاجِّ فنجان، الذي غرسَ فيه قيمَ الإيمانِ والولاءِ لأهلِ البيتِ عليه السلام. فكانت طفولتُهُ نبتًا صالحًا في تربةِ التقوى، تسقيه أقطارُ الأدبِ الإسلاميِّ، حتى اشتدَّ عودُهُ وهو يحملُ سماتِ آلِ محمدٍ: خُلُقًا رفيعًا، وعِلْمًا نافعًا، وحكمةً تفوقُ سنَّهُ.

وقد نشأ الشَّيْخُ الشَّهِيدُ في حضنِ عشيرةٍ تحملُ في جذورها عِزَّةَ الأصلِ وشرفَ المبادئِ. فوالدُهُ الحاجُّ فنجانُ (وُلِدَ عامَ ١٩٣٧م في بغداد) كان شيخًا لعشيرةِ المعلَّى، ووجهًا اجتماعيًا مؤثرًا، عُرِفَ بـ«رجلِ السماحةِ والإيمانِ»: زاهدًا في الدنيا، متواضعًا في مجلسِهِ، جريئًا في نُصرةِ المظلومِ. ورغمَ تعليمِهِ البسيطِ، فقد كان قارئًا مُجيدًا للقرآنِ الكريمِ، يُقيمُ مجالسَ الذكرِ والعزاءِ على أهلِ البيتِ عليهم السلام في ديوانيَّتِهِ، لا سيَّما في أيامِ عاشوراءَ، حيثُ يخضعُ الصغيرُ والكبيرُ لسلطانِ كلماتِهِ الواعِظَةِ.

وكان الحاجُّ فنجانُ يرى في ابنِهِ محمود (الولدَ الوحيدَ الذي تعلَّقَ به قلبُهُ) أملهَ الأكبرِ في إرساءِ دعائمِ الإيمانِ. فمندُ نعومةِ أظفارِهِ، شجَّعَهُ على دراسةِ العلومِ الدينيَّةِ، حتَّى إذا شدَّ الرحالُ إلى النِّجفِ الأشرَفِ للتخصُّصِ في الحوزَةِ العلميَّةِ،

تعرّضت العائلة لضغوطاتٍ شديدةٍ من حزب البعث. ولكن مكانة الحاج فنجان الاجتماعية وحنكته كانتا سداً منيعاً أنقذ ابنه من سجون الظلم مراراً.

وينتمي الشيخ الشهيد محمود المدائني إلى أسرةٍ كريمةٍ من قبيلة كنانة العربية، التي تحظى بمكانة اجتماعية رفيعة بين أهل المدائن. وكان لمضيف والده المرحوم الحاج فنجان، أثرٌ عميقٌ في بناء شخصية الشيخ الوقور؛ فغرس فيه قيم الكرم والولاء لأهل المدينة، ما جعله يحظى بقبول اجتماعي لا متناه، من جميع مكونات المجتمع، بلا استثناء.

نشأ الشيخ الشهيد محمود المدائني، والقرآن يجري في أوصاله كدم الحياة. فمندُ نعومة أظفاره، وجّههُ والده الحاج فنجان نحو كتاب الله، فتعلّم حروفه قبل أن يعرف معانيها، وتشبّع بمحبة أهل البيت عليه السلام قبل أن يفهم مقامهم. وكانت هذه البذور الأولى تُنبُت في نفسه شجرة من العلم والورع، ظلّت تزداد علوًا حتى سمقت إلى مكانة لا تُداني.

في مدرسة (البيداء) الابتدائية، بدأ رحلته التعليمية الحكومية، وتخرّج فيها عام ١٩٨١ م. ثم رحل إلى مدينة المدائن (على بُعد ستة كيلومترات من قريته)، ليكمل دراسته في ثانوية «سعد بن أبي وقاص»، حيث تخرّج عام ١٩٨٤ م. ولم يكتف بذلك؛ فقد انضم إلى معهد الطبابة العسكرية، ليصبح واحداً من أكفأ خريجيهِ.

ولكنّ محنة الصحة كانت تنتظره؛ فبعد تعيينه في مستشفى حكومي، أصيب بمرض «التناظر الكُلوي» العضال، ممّا أجبره على الإحالة إلى التقاعد مبكراً ورغم ألم الجسد، لم تنكسر إرادته؛ ففي الخامس من صفر عام ١٤١٣ هـ (الموافق ١٩٩٣ م)، شدّ الرحال إلى النجف الأشرف، مستهلاً رحلة جديدة في رحاب الحوزة العلمية، ليتشرّف بجوار أمير المؤمنين عليه السلام، ويرتوي من معين العلوم الدينية

وبتاريخ ٢٠٠١ م، انقطع عن الدراسة ليتفرّغ لخدمة مؤمني قضاء المدائن،

مؤمنًا أنَّ العلمَ إنَّ لم يُتَفَعَّ به كانَ حُجَّةً على صاحِبِه. فكانتْ هذه الفترةُ بدايةً انطلاقَتِه نحوَ تغييرِ اجتماعيٍّ يرسمُ مصيرَ المدينة.

وفي مقبِلِ شبابه، كان يلتقطُ أنفاسَ الحكمة من أثيرِ الراديو، فيُسجِّلُ خُطْبَ الشيخ أحمد الوائلي رحمته وغيره من الخطباء على أشرطة، ثم يُعيدُ روايتها بصوتٍ وقادٍ في مجالس والده، كأنه شيخٌ صغيرٌ ينشرُ نورَ الحقِّ بين الحاضرين وقد شهد له العقلاء والوجهاء بـ«نضجه المبكر»، حيث كانت عيناه تعكسان عُمقًا لا يشبه أعمارَ الأطفال فكان رحمته أنموذجًا حيًّا لأخلاقِ النبوة، ومראהً صافيةً تعكسُ سيرة أهل البيت عليهم السلام لقد جسَّدَ في حياته فلسفة الأخلاقِ القرآنية، فكان - كما وصفه تلامذته - (كالنخلة توحى بالعظمة وهي مُنحنية بالتواضع)، استقى الشيخ رحمته أخلاقه من مصادرِ النورِ الربانية:

منهْجُ الحوزة العلمية، الشيخ تشرَّب أدبَ العلماء ووقارَ العارفين في سنواتِ دراستِه في النجفِ الأشرف.

القرآن الكريم، كان الشهيد (كأنه قرآنٌ يمشي على الأرض) في تعامله مع النَّاسِ، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

الأسوةُ الحسنة، اذ جعلَ من الإمام عليٍّ عليه السلام مُعَلِّمًا لَهُ في العدلِ والإحسان. بلغ الشيخُ الشهيدُ محمود المدائني الرابعة والعشرين من عمره، وهو يُواصلُ تلقِّيَ العلم بلهفِ عاشقين، يرتوي من مَعينِ الحكمة، ويغترفُ من نهرِ العقيدة المتدفِّق. فأحسَّ بأنَّ الوقتَ قد حانَ لِيُكَمِّلَ نصفَ دينه، منطلقًا إلى رحلةِ الزَّواجِ التي تجمعُه بمن اختارها قلبُه وعقله: زوجةً تُشاطِرُه الحياة.

ففي عام ١٩٩٤م، ارتبطَ بعُرى القربى مع الأنسة المؤمنة كريمة السيّد سلمان الحسيني رحمته، الفتاة التي جسَّدتْ في سلوكها نقاءَ التربية القروية: بساطةً في العيش، وقناعةً في القلب، وإشعاعًا من الإيمان. ورزقَ منها بأربعة أبناء وابنة واحدة: الشهيد

محمَّد (الذي ارتقى معه ساحة الشهادة)، وعليّ، وحسن، وحسين، و بنت كانت قُرّة عينٍ لوالدها.

وكان زواجه نقطة انطلاقٍ لمرحلةٍ جديدةٍ؛ فقد جعلَ من بيته مشهداً للعبادة والتعليم، يجتمعُ فيه طلابُ العلم، وتُروى فيه أرواحُ المحتاجين. ورغمَ أعباءِ المسؤولية العائليّة، لم يَغِبْ عنه لحظةً أنّ «خيركم خيركم لأهله»، فكان أباً حنوناً يُراعي بشاشة الوجه، وزوجاً يُقاسمُ زوجته همومَ الدعوة.

ولمّا ارتقى شهيداً مع ولده محمد، تركَ وراءه أسرةً صابرةً تحملُ مشعلَ إرثه، كما تركَ قلبَ زوجته ينبضُ بذكره كلّما نظرت إلى وجوه أطفالها الذين يحملون أسماءَ أئمة الهدى عليهم السلام.

من هناك، برزت الشخصيةُ الفذةُ للشيخ محمود؛ فقد حملَ مع ثلّةٍ من المُخلصين مشعلَ التغيير، مستهلاً بقضيةٍ جوهريةٍ في الهوية الشيعيّة: إحياء شعائر ثورة الإمام الحسين عليه السلام.

فبدأ بتعليم الناسِ فقهَ العقيدة، وتنظيمِ مجالسِ العزاء، مُحوّلاً القريةَ الصغيرةَ إلى مركزٍ للنورِ ينتشرُ ضياؤه حتى أطرافِ العراق.

ولمّا استشهدَ ابنه محمود في ذلك اليومِ المأساوي، انكسرَ ظهرُ الأب، ولكنه لم ينكسر. فقد وقفَ كالجبلِ الشامخِ أمامَ أصدقاءِ الشهيد الغاضبين الذين أرادوا أن تصبحَ المدائنُ «نهرًا من الدماء»، قائلاً: (نحنُ نلتزمُ بوصيّةِ محمود؛ فدمُهُ نورٌ لا نارٌ!). وبحكمةِ الأنبياء، أطفأَ الفتنةَ قبلَ أن تلتهمَ القريةَ.

وبعدَ ثلاثِ سنواتٍ منَ الفاجعة، وافَتِ المنيّةُ الحاجَ فنجان، مُخلفاً وراءه إرثاً من الصّبرِ والولاءِ، وقصّةً تُحكى عن أبٍ كان سترًا لابنه حيًّا، وسيفًا لإرثه ميتًا.

رحلته مع الدرس والعبادة بين المدائن والنجف الأشرف:

ترك الشيخُ المدائنيُّ رحمته الدنيا وراء ظهره، غيرَ آبه بزخارفها، فما كانت في عينيه سوى سراپ زائلٍ أمامَ جنَّةِ الغريِّ الحقيقيَّة، حيثُ مرقدُ سيِّد الأوصياء عليه السلام. لم تثنِه حرارةُ النجفِ اللاهبة، ولا شظفُ العيش، ولا سيفُ النظامِ البعثيِّ المُسلَّطُ على رقابِ طلابِ العلم، فما كان ينبغي إلَّا وجهَ الله، ورضوانَ الإمامِ عليه السلام.

لقد دخلَ النجفَ الأشرفَ شابًّا نقيَّ القلبِ في الرابعة والعشرين من عمره، حاملاً همَّ العلم والإصلاح، فنزلَ في (مدرسة البروجردي قدس سره) تلكَ المدرسةُ المباركةُ التي كانتَ محطَّ أنوارِ العلماءِ الربانيِّينَ لتبدأَ رحلتهُ العلميَّةُ المباركةُ. إذ تشرفَ الشيخُ رحمته بحضورِ دروسِ كبارِ العلماء، ومنهم، في الفقه والأصول.

- درسَ أربعةَ أجزاءٍ من «المكاسب» عندَ العلامةِ الشيخِ باقرٍ شريفِ القرشيِّ رحمته،

- أتقنَ «الكفاية» عندَ سماحةِ السيِّدِ عليِّ السَّبزواريِّ.

أكملَ «أصولَ المظفر» وجزءاً من «المكاسب» عندَ الشيخِ محمدٍ اليعقوبيِّ رحمته.

في المنطقِ واللغة:

- أخذَ «ألفيَّةَ ابنِ مالك» عنِ السيِّدِ حسينِ الكربلائيِّ.

- درسَ (قطرَ الندى) و(المختصر) عندَ الشيخِ ماجدٍ الشويليِّ.

- تلقَّى «المنطق» عنِ الشيخِ نزارِ العبوديِّ رحمته

في السُّطوحِ العاليةِ:

- حضرَ أجزاءً من (الشرائع) و(اللُّمعة) عندَ الشهيد الشيخ حسن الكوفي رحمته الله.

- أكملَ «البلاغة» عندَ الشيخ حسن دوحى.

- درسَ «الباب الحادي عشر» عندَ الشيخ حيدر التميمي.

- إضافةً إلى العديد من السَّادة العلماء الأفاضل ومنهم العلامةُ الشيخ عبدُ الله اللَّبناني والسيد أحمد الشرع والشيخ حيدر الناصري والشيخ محمَّد الكرباسي والشيخ نزار العبودي والسيد فيصل الموسوي والشيخ رفيعي الأفغاني.

وفي الخامس من صفر ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م قطعَ الشيخُ رحمته الله مشوارهَ الدراسيَّ (الذي ناهزَ التَّسع سنواتٍ) عائداً إلى المدائن، تاركاً حلقاتِ الدرس ليتفرَّغَ لخدمة النَّاسِ، ملبياً نداءَ الواجبِ الشرعيِّ، حيثُ كانتِ الظروفُ الأمنيَّةُ تتطلَّبُ وجودَ علماء ربانيِّين، كان رحمته الله ينحني كالسيل للعطاشِ عندما يلتقي بالمؤمنين، لا يُفرِّقُ بين غنيٍّ وفقيرٍ.

قيل عنه: كان كالظلٍّ يتبعُ النَّاسَ بحنانِهِ، لا ينتظرُ منهم جزاءً ولا شكوراً، عُرِفَ بـ «أبي الأيتام»، حيثُ كان يُنفقُ سرّاً على الأرامِلِ والأيتامِ.

قال أحدُ معاصريهِ: «كنا نرى في عينيه دفئاً يُذيبُ جليدَ القلوبِ القاسيةِ. وكان مجلسُهُ كالمطرِ الذي يُحيي القلوبَ الميتةَ، حتَّى إنَّ الشبابَ كانوا يتسابقون كالفراشاتِ حولَ نورِهِ، حتَّى وصفهُ أحدُ تلامذته بقوله: كان حديثُهُ كالعسلِ... حلَّوْ في الأذن، وشفاءٌ للقلبِ.

تحوَّلَ الشيخُ رحمته الله بسلوكِهِ إلى «دعوة صامتةٍ» للإسلام: واصبح وكان (الملجأ) الذي يحكمُ بين المتخاصمين بحكمةٍ.

وكان «المعلِّم» الذي يُربِّي أولادَهُ على (حبِّ الحسين عليه السلام) قبلَ تعليمِهِم الكلامَ.

وقد حولَّ المسجد إلى واحةٍ إيمانيَّةٍ تجمعُ الشبابَ بعيداً عن الانحرافِ.
وقد بلغت أخلاقُ الشيخِ الشهيدِ محمودِ المدائنيِّ مرتبةً تحتلُّ القِمَمَ، فصار
نبوغاً لكلِّ من عرفه.

وقد وصفه أخوه الأديبُ عامر الزهيريُّ بقصيدةٍ، كأنَّها نقشٌ على جبينِ التاريخِ:
سَلَّمَتْ لَنَا يَا شَيْخَنَا تَعَلَّمْنَا دِينَنَا الصَّوَابَا
سَقَيْتَنَا مِنْ مَاءِ عِلْمِكَ حَتَّى اخْضَرَّتْ بَنَا الْهَضَابَا
لَوْ شِئْتَ كُنَّا عَطْرًا أَوْ شِئْتَ كُنَّا حَدَابَا

وكان لقاءُهُ نعمةً تُذكرُ بقاءَ الأولياءِ، فلم يُفارقهُ أحدٌ إلَّا وقلْبُهُ يزهو بنورِ اليقينِ،
وصدرُهُ يتسعُ لأمجادِ الإيمانِ.

رجلٌ هادئٌ السَّجيَّةِ، مُتواضعٌ كالأرضِ تُنبِتُ الزَّهرَ، يَنحدرُ من أصلٍ كريمٍ،
ويزدادُ بالعلمِ وقارًا وبالأدبِ تألُّقًا.

لم يكنِ الشهيدُ مجرَّدَ رجلٍ صالحٍ، بل كان مثالاً للتَّقوى المُجسَّدة: سخيًّا
كالغيَم لا يمنعُ قطرَتُهُ عن العطشى. رَضِيًّا بالقضاءِ كالسَّماءِ تحتضنُ النجومَ.
شجاعاً يُجازفُ بحياتِهِ لكسرِ أغلالِ الخوفِ؛ فقد كان يخوضُ صفوفَ الإرهابيينَ
كالأسدِ، مُتحدِّياً سلاحَهُم وعددهم، مُتوجِّهاً إلى مسجدهِ لصلاةٍ تُشعلُ في القلوبِ
نارَ الانتصارِ.

وصمته لم يكن فراغاً، بل كان ملء القلبِ بلُجَّةِ الذِّكرِ. فإذا نطقَ، فكأنَّما تُنثرُ
الآلي من فيه: آياتُ تسكنُ الرُّوحَ، وفقهُ يُنظِّمُ الحياةَ. حتَّى إنَّ أحدَ تلامذته ليقولُ:
(كُنَّا نرى في صمته علماً يتجلَّى قبل أن يتحدَّثَ).

وحين انهارت دولة الطُّغاة، وانسكبَ سيفُ الفسادِ على العراقِ، كان الشَّيخُ رحمته الله
حارساً لحرمةِ الحلالِ. يمشي في الأسواقِ كالشُّعلةِ، يُنيرُ سبيلَ الحقِّ، ويُحذِّرُ من

لُقمة الحرام، ويرفضُ أن يلتقيَ بأكلي المالِ العام، إلَّا ليقولَ لهم: (اتَّقُوا الله، فإنَّ دمَاءَ الأُمَّةِ أمانةٌ في أعناقِكُمْ).

لقد تَأَذَّبَ الشَّيْخُ ﷺ على أنَّ العالمَ الحقيقيَّ: لا يَخْفِضُ جناحَهُ لِصاحبِ سُلْطَةٍ زائفةٍ، وأنَّ صوته يكونُ أعلى من صخبِ الفسادِ، وأنه يَبْنِي مجدَ الأُمَّةِ بالتقوى قبل البُنيانِ.

مشى الشَّيْخُ الشَّهيدُ ﷺ على أرضِ المدائنِ يحملُ في يدهِ مِشكاةَ الورعِ، وفي قلبهِ سِرَاجَ المحبَّةِ. كان يزورُ الفقيرَ قبل الغنيِّ، ويُجالِسُ الحزينَ قبل السَّعيدِ.

وقد كان زُهْدُهُ يُحِيرُ العقولَ إِنَّهُ الإيمانُ الَّذِي جعلَ الدُّنيا في عَيْنِهِ كسرابٍ بَقِيعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمآنُ ماءً وفي ليلةٍ، قال لابنِهِ: (يا بُنَيَّ، لو أردنا الدُّنيا لَكُنَّا مع السَّابِقِينَ، لكنَّا خُلِقْنَا لَنُرفَعَ رؤُوسُنَا إلى السَّماءِ)

كان ﷺ يُرَدِّدُ دائماً: (مَنْ أَكَلَ الحلالَ، أَشْبَعَهُ اللهُ بالقناعةِ، ومن أَكَلَ الحرامَ، أَجَاعَهُ اللهُ بالشَّهواتِ).

لم تكن عبادتُهُ تختصرُ بالركوعِ والسجودِ فحسب، بل كانت رحلةً تَعْبُرُ حدودَ الزَّمَنِ إلى المَلَأِ الأعلى يخرجُ من أَقْيدةِ النَّهارِ الدُّنيويَّةِ، ليخطو في ممرَّاتِ اللَّيْلِ بقدَمينِ ترتعشان من لَذَّةِ الخضوعِ. قالوا عنه: (كان إذا قام إلى الصَّلَاةِ، تحسُّ أنَّ الجدرانَ تَخْشَعُ معه).

وحينَ تغفو العيونُ، ينهضُ كالنَّجمِ الوحيدِ في فَلَكِ القُدسِ، يُناجي رَبَّهُ بدمعِ يُذَوِّبُ صخبَ الدُّنيا: (يا مَلِكَ الملوِكِ، أنزلْ رحمتَكَ على أُمَّةٍ تتلَطَّى بنارِ الضَّياعِ!). كان دُعاؤُهُ سيفاً يقطعُ ظلماتِ اليأسِ، وشمعةً تُبْرِدُ دُربَ الثَّائرينِ.

لم يكن دُعاؤُهُ كلماتٍ تنساب من لسانه، بل كان صوتاً يَخترُقُ أَسْطارَ السَّماءاتِ: (رَبِّ! اجعلْ دمي فِدَاءً لأَرْضٍ تَشْتَهِي الحريَّةَ، واجعلْ مماتي صيحةً ترجعُ عروشَ الظُّلْمَةِ).

كان ﷺ يَسْكُبُ في قلبِ الظَّلامِ كأسًا من نورٍ، فيذوبُ الظُّلُّ وتبقى الحقيقةُ.
لم يكن يَبْغِي من دُنياءِ إِلَّا أَنْ: تكونَ خُطاهُ على تُربةِ الحُسَيْنِ ﷺ خاتمةً، وتكونَ
شَهادَتُهُ صرخَةً تَوْقُظُ أُمَّةً نامَت على أَسْرَةِ الدُّلِّ. وهكذا كُتِبَ لَهُ ما أَحَبَّ، فرحَلَ إلى
الرَّضوانِ الأكبرِ، وتركَ وراءَهُ دروبًا من النُّورِ تَهْتَدِي بها القلوبُ.

رِحْلَةُ الحُرِّيَّةِ: مِنْ سَاحاتِ العِراقِ إلى عَتَباتِ الأئمةِ

لقد فَطَرَ اللهُ الإنسانَ على نَزعةِ الحَقِّ، فجعلَ العقلَ مِصباحًا يَهْدِيهِ إلى سَبيلِ
الإيمانِ ولكن، ماذا يَفْعَلُ الإنسانُ إذا حَوَّصَرَتْ حُرِّيَّتُهُ بَيْنَ أَسِيفِ الطُّغاةِ؟!
لقد كانتَ قِصَّةُ شِيعَةِ العِراقِ مَثَلًا صارخًا على هذا الصِّراعِ القديمِ؛ صِراعِ
الحُرِّيَّةِ ضِدَّ قُيُودِ الجبابرةِ.

فقد حَوَّلَ حَزْبُ البعثِ الفاشيِّ العِراقِ إلى سِجْنٍ كبيرٍ، يُحاصِرُ فِيهِ أَتباعَ أهلِ
البَيْتِ ﷺ بِقُوَّةِ النَّارِ والحديدِ.

كانوا يَرَوْنَ في ذِكْرِ عاشوراءَ سِيفًا مُسلَّطًا على عروشِهِم الواهيةِ، فمَنَعُوا
حتى هَمساتِ (يا حُسَيْنَ)!

وقطَعُوا السُّبُلَ إلى زِيارَةِ مَراقدِ الأئمةِ في إيرانَ والشامَ، كانَّهُم يَخشَوْنَ أَنْ
تَنشِرَ نارُ الحُرِّيَّةِ من تُربةِ الحُسَيْنِ ﷺ!

كانَ الشَّيخُ محمودٌ ﷺ يَرُقُبُ خَريطةَ إيرانَ كأنَّها ورقةٌ من نورٍ، يُخَطِّطُ عليها
طريقًا إلى قلبِ الإمامِ الرُّضاءِ ﷺ في لَحْظَةٍ تَأَمَّلٍ، هَمَسَ لَصابِحِهِ:

(أَتَعَلِّمُ؟ لو عَلِمَ البعثِيُّونَ أَنَّ زِيارَةَ قَبْرِ واحِدٍ تَهْدُدُ عروشَهُم، لَحَوَّلُوا العِراقَ إلى
سِجْنٍ بلا سَقْفٍ!).

بتوجيه من الشَّيخِ الشَّهِيدِ اجتمعَ (٢٢) رَجُلًا تَشَبَّعُوا بروحِ الثَّورَةِ الحُسَيْنِيَّةِ،
كُلُّ واحِدٍ مِنْهُم يَحْمِلُ في حَقِيَّتِهِ قَصيدَةً مَكْتُوبَةً بَدَمِ الحُسَيْنِ ﷺ، وَقَلْبًا يَنْطِقُ: (يا

رضا، أنت مُتتهى سفري!). وبدأوا بإجراءات سفرهم إلى إيران.

وفي يوم ماطرٍ، بينما كان الشيخ يُنظَّم وثائق السفر، رنَّ هاتفه ليطلق أذنه بخبر قاسٍ: (الضابط الذي كان سيوقع على التصريح مات) فسقطت الأوراق من يده، وانسكبت دمعته على خارطة الرحلة الممحوّة، وهو يردد: (يا ربّ، لا تحرّمنا لدّة الزيارة في الدنيا، واجعلها في الآخرة أجمل).

بعد أن تحطّمت آمالهم في المحاولة الأولى، عاد الحاج عبد الرسول الكعبي إلى مدينة المدائن (وهو المكلف من الشيخ الشهيد بتنظيم الحملة)، حاملاً في صدره شجناً خفياً. لكنّ نبأ مفاجئاً من العائلة هزّ كيانه: (الشيخ محمود يرغب في لقاءك).

مشى الكعبي نحو مصلى الرسول الأعظم ﷺ، حيث كان الشيخ محمود رحمه الله ينتظره بوجه مشرقٍ كالقمر. بعد تبادل التّحيات، ألقى الشيخ بخبر يثلج الصدور المحترقة بنار الشوق: «غداً نزورُ الرضا عليه السلام!». فاندفع الكعبي بسؤالٍ مُلح: (وكيف نحصلُ على التصاريح والبعثيون يرقبوننا؟). انحنى الشيخ نحوه، وهمس بصوتٍ يختلطُ فيه اليقينُ بالأمل: (أحسن الظنَّ بالله تعالى وارغب إليه فإنّه كريم يستحي أن يُخلف ظنَّ عبدٍ مؤمنٍ أحسن به الظنَّ ورجاه. أملُ أن الله تعالى قد كتب لنا هذه الرحلة).

ارتعشت يدا الكعبي، وهو يحاول أن يستوعب المشهد: (لكنّ البعثيين). قاطعه الشيخُ بابتسامةٍ تنحتُ من صخرِ الخوفِ أملاً: (تفأّل بالخير).

رحلةُ الإيمانِ تعبرُ حدودَ القمع:

في صبيحة يوم السبت، المصادف ١٤ شعبان المعظم ١٤٢٤ هـ، الموافق ١١-١٠-٢٠٠٣م، عندما وطئت أقدامهم أرضَ الحدودِ الإيرانية، انفتحَ أفقٌ آخرٌ من الأمل: بحرٌ من الوجوه الواقفة كالنجوم تنتظرُ دخولَ الجنَّةِ الأرضية (مشهد الرضا). تقدَّم الشيخُ محمود رحمته بلغةٍ متمرِّجٍ بحكمة العلماء، ففتحت له الأبوابُ كرمًا لطالب علم، لكنهم صاحوا بصوتِ الوفاء: (لن نتركك وحدك) فكأنما سمعتُ أَسْماعَ الحراسِ صوتَ الإمام عليه السلام، فوافقوا على دخولِ الشَّهيدِ عمادٍ رقيقًا له.

وبصوتٍ يرعدُ باليقين، أخبرهم الشيخُ: (غداً عند التاسعة، سنلتقي في حسينية أهل النجف بقم، حيث سيكون لقاءنا نورًا على نور). وفي صباح اليوم التالي، كان الوعدُ حقًا: دخلوا بسهولة كأنَّ الأرضَ تنشقُّ لنورِ الرضا عليه السلام. قال الشيخُ وعيناهُ تبكيانِ من الفرح: (هذا تأييدٌ من صاحبِ القبرِ الطاهر). وبعد التجمع هناك توجهَ الجميع إلى حرم السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام.

من مشهد الإمام إلى ديوان المرجعية

وفي قم، تحوَّلت الزيارة إلى رحلة في أساطير الإيمان: بعد أعوامٍ طويلةٍ من الحرمان، وطولِ الانتظار، وطُرقٍ ملأها الشوق، وقف الرفاقُ على عتباتِ مرقَدِ السيِّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) في مدينة قم، كأنَّ الزمانَ انشقَّ عن وعدٍ قديمٍ فاضَّ بالعبرات.

أعينٌ تفيضُ بالدموع، وقلوبٌ تطرقُ أبوابَ السماء، وكلُّ خطوةٍ نحوَ الضريح كانت رجفةً روح اشتاقت فأنت. في حضرة الكريمة، أحسَّوا بأنَّ غربتهم قد انتهت، وأنَّ أرواحهم المكدودة قد لامست طهرَ الرضا والطمأنينة.

طافوا حول الضريح بخطى يعلوها الرجاء، وهم يهْمسون بأسمائهم، وذكرى

أمواتهم، وأوجاعِ أوطانهم، كأنَّهم يُودعون السيِّدة أسرارَ القلوب وخفايا الدعاء. لم تكن زيارتهم لحظة عابرة، بل ميلادًا جديدًا لقلوبٍ أنهكها الفقد، فجاءت تنفيؤً ظلالَ الكرامة، وتستنشقُ عبيرَ القرب. في تلك الشُّويعات، لم تكن الدنيا تعني شيئًا، سوى هذا اللقاء الذي أعاد إليهم ذواتهم، وأوقدَ فيهم نبضَ الحياة من جديد. انطلقتِ القلوبُ قبلَ الأجسادِ، تشقُّ طريقَها من مدينةٍ قَمَ إلى حيثُ النُّورُ الأئِمُّ في مشهدِ المُقدَّسة. الطريقُ كان طويلاً، لكنَّ الشوقَ أطولَ... عُيُونُ الرِّفاقِ مُعلَّقةٌ بنجمِ الرِّضا، وأحاديثُهم محمولةٌ على أجنحةِ الحنين، كلُّ كلمةٍ كانت دعاءً، وكلُّ تنهيدةٍ كانت رجاءً بأن تَطَأَ الأقدامُ أرضَ الطَّهارة بعدَ هذا الغيابِ الموحِشِ.

سارتِ الحافلة، لكنَّ الزَّمنَ كان يسيرُ ببطءٍ من رؤوسهم، كأنَّ عقاربَ السَّاعةِ تتأقُلُ من فرطِ التَّوقِ. وحينَ لاحت قُبَّةُ الضَّرِيحِ في الأفقِ، شهقَ أحدهم شهقةً ما بين البُكاءِ والتَّكبيرِ، ثم تتابعتِ الدَّموعُ كالسَّيلِ، كأنَّ الأرواحَ كانت محبوسةً فأذِنَ لها أن تتحرَّرَ.

دَخَلُوا الحَرَمَ كأنَّهم يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، لا شيءٌ يُخَفِّفُ من وجيبِ القلوبِ، ولا صوتٌ يعلو على أنينِ العِشْقِ المكبوتِ. احتضنتهم أروقةُ الضَّرِيحِ، وذابتِ المسافاتُ، وطأطأتِ الهُمومُ رُؤوسَها، وانحنى الوجعُ أمامَ إشراقةِ العزاءِ والشفاءِ. في حَضرةِ الإمامِ عليٍّ بنِ موسى الرِّضا عليه السلام، استودَعوه عُربَتَهُم، وبكوا فوق تُرابِ العَتَبَةِ كأطفالٍ عادوا إلى حِضْنِ فَقْدُوهُ طويلاً. لم تكن زيارةً، بل قياماً من موتٍ، وعهداً جديداً مع الحياة.

وبعدَ زيارةِ المشاهدِ المُقدَّسة، كانت لهم عَوْدَةٌ أُخرى إلى قَمِّ المُقدَّسة، زاروا خلالها مكاتبَ المَراجعِ في إيران.

مكتبَ سماحةِ المرجعِ الدينيِّ الأعلى السيِّدِ السيستاني دامَ ظِلُّه
المرجعَ الدينيِّ الشَّيخِ يعسوبَ الدينِ رستگارِ الجويباري دامَ ظِلُّه

سماحة السيّد كمال الحيدري (حفظه الله).

سماحة السيّد كاظم الحائري (حفظه الله).

المرجع الدينيّ الشيخ محمد تقيّ بهجت قدس.

وكان محور لقاءاته مع العلماء يدور حول: أوضاع العراق وتحديات المرحلة والجانب التبليغيّ وسبل نشر فكر أهل البيت (عليه السلام)، وواقع التشيع في الوطن العربيّ والعالم.

لم تكن زيارت الشيخ محمود رحمه الله لمراجع إيران تعارفاً محضاً، بل حملت في طياتها رسالة أمة تتنّ تحت نير الاحتلال. لقد كانت لقاءاته مع عظماء المرجعية مفتاحاً لخريطة كبرى.

في ديوان السيّد السيستاني: انحت هيئة المكان لوقار الشيخ، فكان الحوار كالتنهر يجري بين شاطئي العلم والوعي: (كيف ننقي تربة العراق من سُوم التطرف؟)، (كيف نجعل التبليغ سلسلاً يربط القلوب بالسلوك العلويّ).

وعند حاضرة الشيخ بهجت قدس: بينما كان الشيخ بهجت يلقّنهم سرّ السلام الروحيّ، همس الشيخ محمود لرفاقه: (هذا ما تعلّمناه من مشهد الرضا عليه السلام: أن تكون الحكمة جُند الإيمان) تشبيك مع مراكز التبليغ العالمية. ورسم خطوط الدفاع عن هويّة التشيع.

في ديوان السيّد الحائري: سأله السيّد (حفظه الله) بلغة المحاور الحكيم: (هل يمكن للإيمان أن يكون سلاحاً في زمن العنف؟) فأجاب الشيخ بصوت يردّ إيماناً: (نعم.. إذا كان الإيمان كالنخلة تنحني لتعطي لا لتكسر).

وفي رحلة العودة:

كان الفجر يهمسُ برحيل حزين، حين وقف الرفاق عند عتبات الضريح، يُطيلون النظر إلى القبة النورانيّة، كأنّ عيونهم ترجو أن تختزن ما تبقى من ضوء

اللقاء. فاطمة المعصومة لم تكن مقامًا يُزار، بل كانت أمًّا روحية احتضنت غربتهم، وجبرت صدوعَ أرواحهم بعد حرمانٍ طويلٍ.

تسلَّل الحنينُ إلى أطرافهم قبل الخطى، وتشبَّثت قلوبهم بأستارِ الضريح، كأنَّها تأبى الفكاك. أحذهم خنقته العبرة وهو يُلملم سجادته، وآخرُ طأطأ رأسه طويلاً، يُهمسُ بدعاءِ الوداع، يشتهي أن يُحبسَ في رواقها، فلا يعود.

وفي الزاوية، سالت دموعهم بهدوءٍ شجيٍّ، لا نحيبَ فيها، بل انكسارٌ محبٍّ يُودِّع حمىً شفقاً. وحين حان الرحيلُ، مشوا ببطءٍ، وكلُّ التفاتةٍ كانت كأنَّها الأخيرة... يُسلمون على النورِ، ويودِّعون السلامَ، ويُخبِّئون في قلوبهم عهداً: أن لا يطولَ الفقدُ مرَّةً أخرى.

أمَّا الشيخ الشهيد رحمه الله فلم يكن يدري وهو يُلصق جبهته بخشوع على أعتابِ الضريح، أنَّها السجدةُ الأخيرةُ في رحابِ السيدة فاطمة المعصومة. لم يكن يعلم أن الوداعَ الذي عقده بقلبٍ متعلِّقٍ، كان في لوحِ القدرِ مسطوراً كآخر عهدٍ بالنورِ قبل أن يفيضَ النورُ من جبينه شهيداً.

وقف في تلك الليلة الأخيرة طويلاً، يُناجيها كما يناجي الطفلُ صدرَ أمِّه، يبوحُ لها بأوجاعِ العراقِ، وأملِ الفجرِ الموعود. لامست يده الشريفةُ شبَّاكَ الضريح، ثم سحبها ببطءٍ... كأنَّ قلبه ارتجف من إحساسٍ غامضٍ، لكنه لم يفصح عنه.

مضى في طريقِ العودَةِ، والقدرُ كان ينسجُ له كفنًا من نورٍ، ويهيئُ له شهادةً بصبرِ المصلحين. ما درى أنَّ الجراحَ أقربُ من ظنِّه، وأنَّ اليدَ الآثمةَ تترصده في ظلمةِ العراقِ، حيث ينتظرُه الخلودُ بشوقٍ، كما انتظرَ هو اللقاءَ بالمعصومة حبًّا وتبتلاً.

كان الوداعُ وداعاً أخيراً، لكنه لم يذهب... بل بقي حياً في كلِّ زاويةٍ من ضريحها، وفي قلبٍ من عرفوه خادماً ورفيقاً وشهيداً.

رحلة الإيمان إلى عقيلة بني هاشم

لم تكن رحلته إلى الشام مُجرّد سفرٍ، بل كانت عبادةً بقدمين، واستشهاداً قبل أوانه مشى الشيخُ محمودُ (رحمه الله) في طريق الحبِّ الزينبيِّ، كالنَّجم الذي لا يخشى ظُلمة الليل، مُتجاهلاً صفائح النيران التي كانت تُربطُ على طُرُق الزوّار، كانت خطاه (رحمه الله) تدقُّ على أرض الشام كنبضات قلبٍ مُتيمِّ حاملاً معه:

قَبَّة من دعاءٍ للسيدة زينب عليها السلام. وخريطةٌ دمويةٌ لطريق الجهادِ عبرَ مع رفاقه حدودَ الخطرِ بقلبٍ يُردُّدُ: (يا زينبُ، هذا دمي قُرْبانٌ لدم الحسين!) وفي حضرة السيدة زينب عليها السلام، سجدَ مُتأوهاً: (يا سيّدي، اجعليني جندياً في جيشِ المُنتظرين! وفي حضرة سيّدة الصبرِ وقفَ أمامَ ضريحها عليها السلام وهو يُردُّدُ بصوتٍ يهتزُّ إيماناً: (يا من تحمّلين سرَّ آلِ محمدٍ، اجعليني قنديلاً في مسيرة الحقِّ!) ثم ألقى بعباءته على ثُربة الحرم، كأنما يُلقنُ الأرضَ دروسَ التضحية.

وقفَ الشيخُ الشهيدُ عند عتبات المقام، وقلبه بين الضُّلوعِ يتهدّجُ شوقاً كأنه يعودُ إلى أمّه بعدَ غيابٍ عمرٍ طويل. تاهت عيناه في سقفِ الضريح، تتأمّلُ النقوشَ، لا بحثاً عن زينة، بل لتستقرَّ على أثرٍ بكاءٍ أو وجعٍ أو تنهيدةٍ مرّت من هنا ذات حسين.

كان يُحدّق في الضريح كأنه يرى فيه قلبَ كربلاء يخفقُ من جديد، كأنه يسمعُ صوتَ السيدة زينب عليها السلام في ليلِ السبي، حين قالت: «ما رأيتُ إلّا جميلاً». فارتجفَ وجده، وسال دمعُه بلا استئذان.

اقتربَ بخطى بطيئةٍ، وانحنى بجبهته على الشباكِ المبارك، يتمتُّ بدعاءٍ لا تُدرّكه الشفاهُ بل تنطقه الأرواح. كان كمن يعتذرُ عن طولِ الغيابِ، ويستأذنُ للبقاء طويلاً... طويلاً.

فهو لم يأتِ سائحاً، بل خادماً، عاشقاً، ابنَ قضيةٍ، جاء ليُصليَ حول ضريح

من علّمت الرجال كيف لا ينكسرون وإن تقطّعت بهم السُّبُل. وما إن غادروا حرَمَ السيِّدة (ع) حتى توجَّهوا نحو مكاتبِ المراجع، يحملون أسئلةَ أُمَّةٍ: (كيف نُحافظُ على التشييع في زمنِ التكفير؟) (كيف نجعلُ من دموعنا سيوفًا تقطعُ ظلماتِ التطرّف؟)

كانت هذه الرحلةُ بَوَابَةً لعهدٍ جديدٍ، حيث أصبحت زيارةُ الشيخِ للشَّامِ نذراً باندحارِ الظلم، وإشعاراً بقُربِ فجرِ الحرّيةِ.

لقاءاتُ العلماءِ.. بين الحكمةِ والوعي:

زارَ مكتبَ السيِّدِ الحسينيِّ الشهرورانيّ (حفظه الله)، فسأله: (كيف نُحوِّلُ المآتمَ إلى منابرٍ للثورة؟) فأجابَ السيّدُ: «بأن تكونَ دموعُكم بذرةً لشجرةِ الحرّيةِ!» وفي ختامِ الرحلةِ، كتبَ الشيخُ الشهيد في مذكرته: (الشَّامُ لم تكن مجردَ أرضٍ، بل كانت مرآةً لجرحِ الأُمَّةِ وأنا أقسمُ أن أكونَ غطاءً لهذا الجرحِ!).

الفصل الثاني

منهجه في التَّعليم ونشر معارف أهل البيت عليه

كان نهجُ الشَّيخ الشَّهيد في التبليغ استلهامًا حيًّا لروح أهل البيت عليهم السلام، الذين جعلوا من كلماتهم جسراً بين السَّماء والأرض لم ينطلق من منبر الوعظ (واعظ) تقليديّ، بل كحكيم يفكِّك وهوز النور في عصر الظلام

استند إلى وصية الإمام الصادق عليه السلام التي تُشبه خارطة خلاص روحي: (رَغِبُوا النَّاسَ فِي دِينِكُمْ بِالرَّفْقِ) فَالْحَقُّ لَا يُنْصَرُّ بِالسَّيْفِ وَحَدَّهُ، بَلْ بِالْقَلْبِ الَّذِي يَمْسَحُ دَمْعَةَ الْيَتِيمِ قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ الرَّايَةَ .

في زمنِ النظام البائد، حيثُ كانَ التحدُّثُ باسمِ أهل البيت عليهم السلام جريمةً عقوبتها التشريدُ أو الموت، تحوَّلَ التبليغُ إلى مَهَمَّةٍ أشبه بتَهريبِ النُّورِ إلى قمقمِ الظَّلام. فحُطِّبَتِ الجمعةُ كانت تُكْتَبُ بلغةٍ مفرَّةٍ، كأنها رسائلُ مقاوِمَةٍ. ومجالسُ إحياءِ الشَّعائر تُعقدُ في سراديبٍ مُظلمَةٍ، بينما أصواتُ المُحتَسِبِينَ تَدُقُّ على الأبواب. حتى الأطفالُ تعلَّموا أن يُخفوا كتبَ العقيدة تحتِ أثوابهم الممزَّقة.

لكنَّ الشَّيخَ المدائنيَّ (طاب ثراه)، الذي يؤمنُ بأنَّ الشوكَ لا يقتلُ الزهرَ، صمَّمَ على رِيِّ العقولِ بمنهجٍ فريدٍ، حيثُ اتَّخذَ من التبليغِ بالحكمة سبيلاً لتحويلِ المناسباتِ الدينيَّةِ إلى دروسٍ في «كَيْفِيَّةِ أَنْ تَكُونَ حُرًّا تَحْتَ الْقَمْعِ». ومن التَّعليمِ السَّريِّ مدارسَ ليليَّةٍ تحتَ الأرضِ لتعليمِ الفقهِ بعيداً عن عيونِ المُخبرين، ومن الردِّ على الشُّبهاتِ بالعقلِ لا بالعنف، شعاراً عنوانه «لا تُقاتِلِ الظَّلامَ بالعصا، بل أشعلِ شمعةً».

كانَ الشَّيخُ مُهندساً لفلسفةِ التبليغِ الشَّيعيِّ في زمنِ العواصف، حيثُ حوَّلَ

«التَّقِيَّة» مِنْ مَبْدَأٍ دِفَاعِيٍّ إِلَى فَنٍّ لِلكَلامِ بِلَا خَوْفٍ، وَجَعَلَ الاجْتِهَادَ مَشْرُوعًا لِإِنْقَاذِ الْهُويَّةِ مِنَ التَّشْطِي وَلَيْسَ تَنْظِيرًا فَقْهِيًّا، وَرَأَى فِي «حُسْنِ الْخُلُقِ» سِلَاحًا أَقْوَى مِنْ كُلِّ خُطَابٍ طَائِفِيٍّ: (أَقْنَعْ عَدُوَّكَ بِفَضَائِلِ دِينِكَ وَلَا تُجْبِرْهُ عَلَيْهَا)، حَتَّى بَعْدَ اسْتِشْهَادِهِ، صَارَتْ وَصِيَّتُهُ تُرَدَّدُ فِي كُلِّ حَسِينِيَّةٍ بَنَاهَا: «لَا تَبْنُوا الْجُدْرَانَ قَبْلَ أَنْ تَبْنُوا الْقُلُوبَ، وَلَا تَرْفَعُوا الْمَآذِنَ حَتَّى تَرْفَعُوا رَايَاتِ الْعَقْلِ».

الأب الصالح والجماعة الصالحة:

فِي قَرْيَةِ الْحَاجِّ فَنجَانٍ، حَيْثُ كَانَتْ أَنْفَاسُ النِّظَامِ الْبَائِدِ تُلَاحِظُ كُلَّ هَمْسَةٍ تَدْعُو لِلتَّقْوَى، شَيَّدَ الشَّيْخُ الشَّهِيدُ مُحَمَّدُ الْمَدَائِنِيُّ (جَمَاعَةً صَالِحَةً) أَشْبَهَ بِجَيْشٍ مِنَ الظَّلَالِ النَّقِيَّةِ. لَمْ تَكُنْ حَلَقَةٌ ذَكَرَ فَحَسَبَ، بَلْ خَلِيَّةٌ مَقَاوِمَةٌ رُوحِيَّةٌ تُعِيدُ تَعْرِيفَ التَّحَدِّيِّ فِي زَمَنِ الْاِخْتِنَاقِ.

كَانَ الْأَعْضَاءُ يُصَلُّونَ لَيْلًا فِي سَرَادِيْبٍ مُظْلِمَةٍ، بَيْنَمَا تَدُقُّ أَقْدَامُ الْمَخْبِرِينَ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ. لَكِنَّ الشَّيْخَ كَانَ يُرَدِّدُ فِي آذَانِهِمْ: «السَّرِيَّةُ لَيْسَتْ خَوْفًا، بَلْ فَنٌّ زَرَعَ النُّورَ فِي صَحْرَاءِ الْجَهْلِ».

بَدَأَ الْمَشْرُوعُ كُنُوءَةً مُلْتَهَبَةً فِي قَرْيَةِ الْحَاجِّ فَنجَانٍ بِمَجَالِسِ الذِّكْرِ الْخَفِيَّةِ حَيْثُ تُحَاكُّ أَحَادِيثُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِخِيوطِ الْحَذَرِ وَالْأَمَلِ. وَبَدَوَاتِ التَّثْقِيفِ السَّرِيَّةِ الَّتِي يُحَوِّلُ الشَّيْخُ فِيهَا «التَّقِيَّةَ» مِنْ مَبْدَأٍ دِفَاعِيٍّ إِلَى اسْتِرَاطِيَجِيَّةٍ هُجُومِيَّةٍ لِبِنَاءِ جِيلٍ يَعْرِفُ مَتَى يُخْفِي الْإِيْمَانَ، وَمَتَى يَرْفَعُهُ رَايَةً، وَكَذَلِكَ بِاخْتِيَارِهِ لِلصَّفْوَةِ إِذْ لَمْ يَكُنْ يَخْتَارُ مِنَ الْأَعْضَاءِ إِلَّا مَنْ يُشَبِّهُونَ السَّيْفَ فِي غَمَدِهِ، وَالصَّامِتِينَ الَّذِينَ يَقْطُرُونَ إِصْرَارًا.

ثُمَّ امْتَدَّتِ الشَّبَكَةُ كَأَشْجَارِ الزَّيْتُونِ لَتُغْطِيَ نَوَاحِيَ الْمَدَائِنِ، وَكَانَ مَعَهُ رِجَالٌ مِثْلُ الشَّهِيدِ (عَلِيِّ مَخْلَفٍ سَرَايِ الشُّمْرِيِّ) وَ(عَمَادِ نَاجِي الرِّبْعِيِّ) -أَشْبَاحُ الْإِيْمَانِ-

الَّذِينَ حَوَّلُوا أَجْسَادَهُمْ إِلَى جَسُورٍ لِلثَّوْرَةِ الصَّامِتَةِ.

على عكس ما رَوَّجَهُ النَّظَامُ البَائِدُ من صورة «الشَّيْعَةِ المنعزلين»، صنعت الجماعةُ الصَّالِحَةُ مثالاً فريداً فَاتَّخَذَتْ من التَّقِيَّةِ جسراً للوحدة حين كانوا يلتقون بالإخوة السُّنَّةَ في جلساتٍ مُزَيَّفَةٍ كـ «زياراتٍ اجتماعية»، لكنَّها في الحقيقة كانت مؤتمراتٍ مصالحةٍ تُعيدُ تعريفَ الأُخُوَّةِ العِراقِيَّةِ، رافضين العنفَ مهما اشتدَّ الأذى، فرغمَ تعرُّضِهِمُ للتَّعْذِيبِ والتَّهْدِيدِ، لم تُسَجَّلْ لَهُمُ حادثةٌ عنفٍ واحدةٌ. وكان الشيخُ يُذَكِّرُهُم: (الدَّمُ الَّذِي نُرِيقُهُ لَنْ يُنْبِتَ إِلَّا الشَّوْكَ فِي طَرِيقِ أَطْفَالِنَا).

في إحدى جلساتِ الاستجوابِ السَّاخِرةِ، حيثُ كَانَ الضَّابِطُ يُلَوِّحُ بِمِلْفٍ مُزَيَّفٍ عن «تهديدِ الأمن»، وقفَ الشيخُ المدائنيُّ كطُودٍ شامخٍ لا تُهْزُهُ الرِّيحُ، يجيبُ ببرودةٍ أعصاب: «إِنَّ دِينَنَا يَأْمُرُنَا بِحِمَايَةِ الْبِلَادِ أَكْثَرَ مِنْكَ»

حماية الأب

كانت شخصيَّةُ الوالدِ الحاجِّ فنجان حصناً بشرياً منعَ النظامَ من تمزيقِ الشبكة. وهيبتهُ تُذَكِّرُ السُّلْطَةَ بأنَّ عشيرته لَنْ تَسْكُتَ إِنْ لَامَسَ أَحَدٌ شَعْرَةً من رَأْسِ الشَّيْخِ. وهكذا، تحوَّلَ الأبُّ إلى رمزٍ للشَّرَفِ الوطني، حيثُ الدَّمُ العِراقِيُّ يُقَدَّمُ فَوْقَ كُلِّ خِلافٍ.

اليوم، تُحاكي «الجماعةُ الصَّالِحَةُ» أسطورةَ المقاومةِ الهادئة: حيثُ صارَ كُلُّ عَضْوٍ فِيهَا قِصَّةً تُروى فِي مناهجِ المَدَارِسِ السَّرِيَّةِ. وتحوَّلَت قريَّةُ الحاجِّ فنجان إلى متحفٍ حيٍّ يُعَلِّمُ الأجيالَ كَيْفَ تُحوَّلُ «التَّقِيَّةُ» إلى فنٍّ للبقاءِ والبناء، بل حتى أعداءُ الأَمْسِ يعترفون: (لقد صنعوا وطناً تحت الأرضِ قَبْلَ أَنْ نُدْرِكَ أَنَّ الْوَطْنَ يَحْتَاجُ إِلَى أَرْضٍ!).

علاقته بالمرجعية

انَّصَالَ الشَّيْخُ الشَّهيد بِالمرجعيةِ الدِّينيةِ كان عبورًا روحانيًّا من ضفافِ المدائنِ إلى قلبِ النِّجفِ الأَشرفِ، حيثُ يَسْتَلْهُمُ من مرجعيةِ السَّيِّدِ السَّيِّستانيِّ (دام ظلهُ) نورًا يُضِيءُ دَرْبَ الثَّقَلَيْنِ. لم يَكُنِ الشَّيْخُ «وَكِيلاً» عاديًّا، بل كان حارسًا لعهدٍ مقدَّسٍ بين السماءِ وأتباعِ أهلِ البيتِ (عليه السلام)، يُترجمُ فتاوى المرجعيةِ إلى لغةٍ يفهمها الفلاحُ قبلَ الأكاديميِّ.

في خطبِ الجمعة، كان يرفعُ يديه كأنَّه يحملُ رسالةً من الإمامِ المنتظرِ (عج)، ويقولُ بلهجةٍ تجمعُ بين خشوعِ العابدِ وحماسِ القائد:

هذه التوجيهاتُ دَمٌ يسري في عروقِ العراقِ الجريحِ! سماحةُ السَّيِّدِ السَّيِّستانيِّ يُرسلُ إليكم السَّلامَ، ويقولُ: «كونوا جسدًا واحدًا، فالأعداءُ لا يخافونَ مِنْ أَفرادٍ، بل يَرتعبونَ مِنْ أُمَّةٍ».

حين كان الجهلُ يُباعُ في الأسواقِ كسلعةٍ رائجةٍ، حوَّلَ الشَّيْخُ المدائنيُّ منبرَه إلى مدرسةٍ جوالَةٍ تُعلِّمُ النَّاسَ كيفَ يقرأونَ الواقعَ بعيونِ العقيدةِ ركَّزَ على ثلاثِ معاركٍ فكريَّةٍ:

أولُها محوُ الأُمِّيَّةِ الشَّرعيةِ، وذلك بتفكيكِ الغازِ «الحلالِ والحرامِ» ورموزها بلغةٍ بسيطةٍ كندى الصَّباحِ

وثانيها: حلحلةُ النزاعاتِ الاجتماعيَّةِ، إذ كان يجلسُ بين المتنازعينَ كحكِّمٍ سماويٍّ، قائلاً: لا تُورثوا أطفالكم أحقادكم، فالأرضُ تَسْعُ للجميعِ

والمعركةُ الثَّالثةُ: (مواجهةُ الشُّبهاتِ العصريَّةِ، فكان يُجيبُ عن أسئلةِ الشَّبَابِ عن (الإلحادِ) و(العلمانيَّةِ) بمنطقيٍّ يذكِّرهم بأنَّ مَنْ فقدَ جذوره، صارَ غصنًا يابسًا في عاصفةِ الحداثة).

رؤيته في تهذيب الشيعة

وحين حوّل النظام البائد العراق إلى سجنٍ كبيرٍ يُقيّد الأفكار قبل الأجساد، انطلق الشيخ الشهيد محمود المدائني في حملة تبليغيّة أشبه بثورة أقلام ضدّ رصاصات الطغيان. كان الجهلُ عدوّاً، ووباءٌ مُدمراً زرعه النظام ليفصل الشيعة عن جذورهم، ويحوّلهم إلى ظلالٍ بلا هويّة. فقد دمر النظام الحسينيات، وحوّل بعضها إلى مساجدٍ سُنيّة في مناطق شيعيّة خالصة، كأنّما يريد محو ذكر أهل البيت (عليهم السلام) من خريطة العراق. حتّى قرية الحاج فنجان لم تسلم؛ فحين حاول أهلها بناء مسجد، اكتشفوا أنّ النظام يريدُه سُنيّاً! فوقف الشيخ كاسد يزأر: (لن نسمح بسرقة هويّتنا تحت عباءة الدين!). فأوقف المشروع حتى سقوط الصنم، ليعود المسجد شامخاً باسم «الشَّهيد المدائني»، شاهداً على الإصرار.

حوّل النظام البائد المكاتب العامّة إلى ساحاتٍ إعدام للكتب الشيعيّة، فصار اقتناء كتاب جريمة عقوبتها الموت. لكنّ الشيخ حوّل بيوت المؤمنين إلى مكاتبٍ سرّيّة، يُعلّم فيها الأطفال عقيدتهم بخفاء، كأنهم يزرعون بذور الأمل تحت أنقاض الخوف.

كانت النجف الأشرف تُنزفُ علماً وحكمة؛ فبعد أن بلغ عدد طلبة الحوزة ستة آلاف، انخفض إلى أقلّ من ألفٍ تحت حكم البعث. لكنّ الشيخ المدائني، الذي تتلمذ على أيدي علماء النجف، عاد إلى المدائن كنهرٍ يفيضُ علماً، حاملاً معه روح الحوزة لينشرها في قرى بائسة، مُردّداً: (العالم ليس من يحفظ النصوص، بل من يُنقذ العقول من الظلام).

ما بعد السُّقوط:

عندما سقطَ الصنمُ، انبعثَ تراثُ أهل البيت عليه السلام من جديد، ليجدَ الشيخُ المدائنيُّ أمامه فرصةً تاريخيةً:

جعل من الحسينياتِ مجامعَ للعقل الجمعيِّ، لُيُنَاقِشُوا كَيْفِيَّةَ بِناءِ وطنٍ من رَمادِ الطائفيةِ. وأَسَّسَ حلقاتَ حوارٍ بين الشيعةِ والسُّنَّةِ تحتَ عنوان: (مَنْ يَقْرَأُ تَارِيخَ الْعِرَاقِ يُدْرِكُ أَنَّ دَمَنَا مُخْتَلِطٌ). وجعلَ من مِنبرِهِ مَنَصَّةً لتفكيكِ رموزِ التطرُّفِ، قائلاً: (الجهلُ هو العدوُّ المشتركُ، فلماذا لا يتعلَّمُ السُّنِّيُّ من تراثِ الشيعةِ، ولا يقرأُ الشيعةُ من مكتبةِ السُّنَّةِ).

بعدَ عام ٢٠٠٣، خرجَ العراقُ مِنْ غُبارِ الدَّبَابَاتِ الأَمْرِيكِيَّةِ ليجدَ نَفْسَهُ أَمَامَ جِيلٍ مُشَوِّهِ الهُويَّةِ، لا يَعْرِفُ مِنْ تَشْيِيعِهِ إِلَّا الْاسْمَ هُنَا، اسْتَمَرَّ الشَّيْخُ الْمُصَلِّي كَمَعَهْدٍ ثَوْرِيٍّ يُعِيدُ بِناءَ الْإِنْسَانِ:

فَمِنْ حَلَقَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، حَيْثُ يَتَعَلَّمُ الْأَطْفَالُ أَنَّ «بِسْمِ اللَّهِ» أَقْوَى مِنْ صَفَّارَاتِ الْإِنذَارِ، إِلَى النَّدَوَاتِ الْفِكْرِيَّةِ الَّتِي جَعَلَتْ مِنَ الشَّبَابِ ضُفُورًا تَنْقُضُ عَلَى شُبُهَاتِ الْإِلْحَادِ لِتَحْمِي عَشِّ الْإِيمَانِ، إِلَى الْمُسَاعَدَاتِ الْغِذَائِيَّةِ لِلْعَوَائِلِ الْفَقِيرَةِ وَالْمُتَعَفِّفَةِ... كَانَ لِلشَّيْخِ دَوْرٌ بَارِزٌ فِي دَعْمِ الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ، دَوْنِ تَمْيِيزٍ بَيْنَ الْمَذَاهِبِ، انْطِلَاقًا مِنْ إِيْمَانِهِ أَنَّ الْعَمَلَ الْإِنْسَانِيَّ جَسْرٌ لِلْوَحْدَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، مُسَاهِمًا بِذَلِكَ الدَّعْمِ غَيْرِ الْمَشْرُوطِ لِجَمِيعِ الْفِئَاتِ فِي إِذَابَةِ الْفَوَارِقِ الطَّائِفِيَّةِ، وَتَعْزِيزِ الثَّقَةِ بَيْنَ مُكَوِّنَاتِ الْمُجْتَمَعِ.

وَشَمَلَتْ مُبَادِرَاتُهُ تِلْكَ رِعَايَةَ الْإِيْتَامِ وَالْأَرَامِلِ، وَتَقْدِيمَ مُسَاعَدَاتٍ مَادِّيَّةٍ (كَالْمَالِ وَالْمَوَادِّ الْغِذَائِيَّةِ)، وَدَعْمَ مَشَارِيْعِ زَوَاجٍ، وَتَوْزِيعِ الْحُقُوقِ الشَّرْعِيَّةِ. وَقَدْ شَكَّلَ الشَّيْخُ فَرِيقًا مُخْلِصًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ سَانِدُوهُ فِي أَعْمَالِهِ الْإِنْسَانِيَّةِ، بَعْضُهُمْ اسْتَشْهَدَ مَعَهُ فِي الْحَادِثِ نَفْسِهِ، مَا يَعْكِسُ عُمَقَ التَّزَامِهِم بِالْمَشْرُوعِ.

كانت تلك المجموعة تُشبه «لجنة إغاثة» تُتابع احتياجات الناس وتدعمهم بشكلٍ مُنظَّم، ما وسَّع نطاق التأثير الاجتماعي.

أخفقت طُلقات الإرهابيين أو آلام المرض في كسر إرادة الشَّيخ الشَّهيد. كان يُدير حملات التوعية من على سرير العلاج، ويُرسِل توجيهاته إلى الشَّباب عبر رسائل مكتوبة بيدٍ مرتعشة لكنها صلبة كالجبل. في إحدى الليالي، بينما كانت قذيفة تُضيء سماء المدائن، قال لرفاقه: (إن أجسادنا قد تموت، لكن كلماتنا ستبقى أجراسٍ يقظة تُنذر كل ظالم).

ومن الآيات التي حوَّلها الشَّيخ إلى منهج واتَّخذها خارطةً لعمله قولُ الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ التوبة ١٢٢/ ؛ فشكَّل فرقاً تبليغيَّة تتشكَّر كنسور تحمي سماء المدائن، كل فريق يُخصَّص لخدمة مجال: تعليم، إغاثة، حوار مع الآخر.

واليوم، تُحاكي حسينيَّة الشَّهيد المدائني قلعةً من نور، تُخرِّج جيلاً يعرف أنَّ «التشيع» ليس مدرسةً فحسب، بل مشروع مقاومة ثقافيَّة. حتى العجوز التي كانت تُخفي هويَّتها خوفاً، صارت تقولُ بفخر: (أنا شيعيَّة.. وهذا ديني).

تواصله مع الناس

تمتَّع الشَّيخ الشَّهيد محمود المدائني (طاب ثراه) بِشخصيَّة مُميَّزة جذبت النَّاس بِصدقها ونقاها وقربها من الله. كان سلوكه مثالاً للورع والتقوى، ما جعله قُدوةً رُحيَّة واجتماعيَّة. تأثر به أتباعه لدرجة أنَّ العديد منهم سمَّوا أبناءهم باسمه بعد استشهادِه، تعبيراً عن تمسُّكهم بِذكره وقيمه. حتَّى بعد رحيله، ظلَّت وصاياه ورسائله حافزاً لاستمرار مسيرته، حيث اتَّجه شبابٌ مُؤمنون إلى دراسة العلوم الدينيَّة في النجف الأشرف، حاملين شُعلة مشروعه الإصلاحِي.

ومثَّلَ تَوَاصُلُهُ مَعَ النَّاسِ مَشْرُوعًا لِبِنَاءِ الْإِنْسَانِ قَبْلَ الْحَجَرِ. اسْتَخْدَمَ استراتيجياتٍ ذَكِيَّةً كَخُطْبِ الْجُمُعَةِ الْحَمَاسِيَّةِ الَّتِي كَانَ يُحوِّلُهَا إِلَى مَسْرَحٍ تَفَاعُلِيٍّ يَسْأَلُ فِيهِ النَّاسَ: «ماذا تُريدونَ أَنْ تُصْبِحَ المُدائِنُ؟»، ثُمَّ يُلقِي بِوَرَقَةٍ اقْتِرَاحَاتٍ عَلَى الْحُضُورِ.

وَكَالْجُلُوسَاتِ الْبَيْتِيَّةِ السَّرِيَّةِ حَيْثُ يُنَاقِشُ مَعَ الشَّبَابِ قَضَايَا عَلَى غِرَارٍ: «كَيْفَ تَكُونُ شِيعِيًّا دُونَ أَنْ تَكْرَهُ أَحَدًا؟»، وَمِثْلَ حَمَلَاتِ «التَّبْلِيغِ الْمِيدَانِيِّ» فِي زيارَتِهِ لِلقُرَى النَّائِيَةِ بِنَفْسِهِ، وَكَأَنَّهُ كَانَ يَحْمِلُ مَعَ الْمُصْحَفِ مِنْهَجًا عُنْوَانُهُ: «دَلِيلُ الْمُواطِنِ الْعِرَاقِيِّ فِي زَمَنِ الْفِتْنَةِ».

فِي عَصْرِ مَا بَعْدَ سَقُوطِ النِّظامِ، حَيْثُ كَانَ الْعِرَاقُ كَسَفِينَةٍ تَائِهَةٍ فِي بَحْرِ الْفَوْضَى، مَثَلَتْ فِتَاوَى السَّيِّدِ السَّيِّسْتَانِيِّ (دَامَ ظِلُّهُ) بُوصْلَةً إِلَهِيَّةً تُرْشِدُ إِلَى شَاطِئِ الْأَمَانِ. كَانَ الشَّيْخُ الْمَدَائِنِيُّ يُشَبِّهُ الْمَرْجِعِيَّةَ بـ: (الشَّمْسِ الَّتِي لَا تَغِيْبُ). حَتَّى لَوْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ، فَشَمْسُ النَّجَفِ تُشْرِقُ عَلَى الْجَمِيعِ. وَكَانَ يُكْرِّرُ فِي كُلِّ لِقَاءٍ: (السَّيِّدُ السَّيِّسْتَانِيُّ لَيْسَ مَرْجِعًا لِلشَّيْعَةِ فَحَسْبُ، بَلْ أَبَا رُوحِيًّا لِكُلِّ مَنْ يُحِبُّ الْعِرَاقَ).

بَعْدَ اسْتِشْهَادِ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ بَاقِرِ الْحَكِيمِ، فِي ٢٩/٨/٢٠٠٣ وَحِينَ انْفَجَرَ الْغَضَبُ الطَّائِفِيُّ بَعْدَ اغْتِيَالِهِ (قَدَّسَ سِرُّهُ)، وَوَصُولِ الْأُمُورِ إِلَى حَدِّ تَوْزِيعِ الْحُلُوى فَرَحًا بِدَمِهِ، وَقَفَ الشَّيْخُ الْمَدَائِنِيُّ كَصَاعِقَةٍ عَدَلٍ فِي مَجْلِسِ تَأْيِينِ تَارِيخِيٍّ طَلَبَ هُوَ أَنْ يَخْتِمَهُ بِنَفْسِهِ بِخِلَافِ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ عَادَتُهُ مِنْ عَدَمِ تَحْدِيثِهِ فِي مَجَالِسَ كَهَذِهِ إِلَّا بِنَاءً عَلَى طَلَبِ أَهْلِ الْمَتَوَفَّى، فَانْبَرَى بِخُطَابٍ هَزَّ الْجُدْرَانَ «دُمُ الشَّهَدَاءِ لَا يُفَرِّقُنَا، بَلْ يُذَكِّرُنَا أَنَّ أَعْدَاءَ الْعِرَاقِ يَخَافُونَ مِنْ وَحْدَتِنَا»، مِنْ دُونِ أَنْ يَخْلُو خُطَابُهُ مِنْ نَبْرَةٍ تَهْدِيدٍ وَاضِحَةٍ بِالتَّذْكِيرِ بِشِجَاعَةِ الشَّيْعَةِ وَقُدْرَتِهِمْ عَلَى اخْتِادِ حَقُوقِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ لَوْلَا التَّزَامُهُمْ بِوَصِيَّةٍ مَرَاغِبَنَا، وَكَانَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ تَفْصَحُ عَنْ شِجَاعَةٍ فِي ذَيْنِكَ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ. فَوَفَدَ الرِّجَالُ مِنْ أَبْنَاءِ الْعَامَّةِ إِلَى مَنْزِلِهِ خَجَلِينَ مَعْتَذِرِينَ لِيَعْلَنَ الشَّيْخُ: (الاعْتِذَارُ شِجَاعَةٌ، وَالْعِرَاقُ بَيْتٌ لِلْجَمِيعِ).

تَنَقَّلَ الشَّيْخُ الشَّهيدُ بَيْنَ قُرَى المَدائِنِ كَانَ أَكْثَرَ مِنْ مَجَرَّدِ جَوْلَاتٍ عَابِرَةٍ، كَانَ مُشْرِعًا لِأَحْيَاءِ الرُّوحِ الجَماعِيَّةِ فِي زَمَنِ التَّشْرِذِ. حَمَلَ عَلَى كَتِفَيْهِ رِسالَةً وَاحِدَةً: (الشَّيْعَةُ جَسَدٌ وَاحِدٌ، إِنْ اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى). كَانَ يَزُورُ أَبْعَدَ القُرَى - كَالخَزِ عَلِيَّةَ وَأُمَّ العَبِيدِ - مِثْلَ بَرِيدِ السَّمَاءِ، يَحْمِلُ فِي حَقِيْبَتِهِ فَتَاوَى المَرَجِعِيَّةِ كَخَريطَةٍ خَلاصٍ مِنْ ظَلامِ الجَهِلِ، وَكُتِبَ «الوَجِيزُ» الفَقْهِيَّةُ كَأَسْلِحَةٍ فِكْرِيَّةٍ لِمُقَاوَمَةِ التَّهْمِيشِ، وَمُساَعَدَةِ الفُقَرَاءِ كَرِسالَةٍ صامِتَةٍ مُفادِها (الدِّينُ لَيْسَ كَلَامًا، بَلْ فِعْلاً يَلْمُسُهُ الجَوْعُ).

وَرَغْمَ وَعُورَةِ الطَّرِيقِ وَبُعْدِ المَنَاطِقِ، كَانَ الشَّيْخُ يُحِطِّمُ حَوَاجِزَ العِزْلَةِ بِإِصْرَارٍ الأَوَّلِياءِ، مَحَوِّلاً صَلَاةَ الجُمُعَةِ الجَامِعَةِ إِلَى مَهْرِجَانٍ لِلهُوِّيَّةِ، حَيْثُ يَلْتَقِي الفَلَّاحُ مَعَ المُعَلِّمِ تَحْتَ سَقْفٍ وَاحِدٍ، وَمُسْتَضِيفًا فِي النَّدَوَاتِ الثَّقَافِيَّةِ بَاحِثِينَ يُنَاقِشُونَ «فَقْهَ الحَيَاةِ» قَبْلَ فِقْهِ النُّصُوصِ، وَبِحَضُورِ المُناسَبَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي لَمْ يَتَوَانَ عَنْ تَلْبِيَةِ دَعْوَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْهَا حَتَّى لَوْ كَانَتْ فِي كُوخٍ طِينِيٍّ.

فِي مَنطَقَةِ «الدُّورِ» وَ«الحَمِيدَاتِ»، حَيْثُ كَانَ بَعْضُهُمْ يَخْشَى حَتَّى ذَكَرَ اسْمَ الشَّيْعَةِ، بَنَى الشَّيْخُ جَسورَ ثَقَةٍ مَعَ شَيُوخِ عِشَائِرِ السُّنَّةِ عَبْرَ حِوَارَاتٍ مُسَائِيَّةٍ، حَالِمًا بِمُشارِيعَ مُشْتَرَكَةٍ مِثْلَ حَفْرِ آبَارٍ، وَتَرْمِيمِ مَدَارِسَ، كَأَنَّمَا يَقُولُ: (العِرَاقُ يُبْنَى بِأَيْدٍ لَا تُسَأَلُ عَنْ مَذَاهِبِهَا). وَعَبْرَ رِسائِلِ السَّلَامِ الَّتِي كَانَ يُحْمِلُهَا لَوْفُودٍ مِنَ الشَّبَابِ إِلَى القُرَى السُّنِّيَّةِ حَامِلِينَ هَدَايَا رَمَازِيَّةً كَالْمُصَاحِفِ المُذَهَّبَةِ، وَسِلَالٍ تَمُورٍ مُكَتُوبٍ عَلَيْهَا «إِلَى إِخْوَانِنَا فِي الوَطَنِ».

لَمْ تُكُنْ طَرِيقُ المُواصَلَاتِ الوَعْرَةُ سِوَى اخْتِبَارِ إِخْلاصٍ، فَفِي رَحْلَةٍ إِلَى قَرْيَةٍ نَائِيَّةٍ اعْتَرَضَتْهُ ذَاتَ مَرَّةٍ عاصِفَةٌ رَمْلِيَّةٌ وَعَلِقَتْ سيارَتُهُ فِي الرَّمَالِ، فَمَشَى سَاعَاتٍ عَلَى الأَقْدَامِ حَامِلًا صِنَادِيقَ الكُتُبِ.

وَجَدَ ذَاتَ لَيْلَةٍ رِسالَةً عَلَى بابِ مَنزِلِهِ: (أَوْقِفْ خَطْبَكَ أَوْ نُوقِفْ نَفْسَكَ!). فَرَدَّ

عليها بخطبة جمعةٍ عنوانها: (كيف نخافُ الموتَ ونحنُ أبناءُ الحسين؟).
اليومَ، تحوَّلتُ قري المدائن التي زارها إلى قِلاعٍ للوعي: صارَ شابُّ (الخزعليَّة) يُدرِّسُ الفقهَ في جامعةٍ بغدادَ. وأصبحتِ امرأةُ «أم العبيد» تُديرُ مركزاً للتعليمِ النِّساءِ.
حتى كتبُ «الوجيز» التي ورَّعها الشَّيخُ الشَّهيدُ صارت تُتداولُ كإرثٍ عائليٍّ،
وفي آخرِ صفحةٍ منها يُكتبُ دائماً: (هذه منحةٌ من شهيدٍ أَرادَكَ حرّاً.. فلا تهدرها).

أول مسجدٍ لأتباعِ أهل البيت عليهم السلام في المدائن

بناءً أوَّلِ مسجدٍ لأتباعِ أهل البيت عليهم السلام في المدائن شكَّلَ إعلانَ ميلادٍ جديدٍ
لهويَّةٍ روحيَّةٍ طُمِرَتْ تحتَ رُكامِ التَّمييزِ الطَّائفيِّ. ففي زمنٍ كانتُ فيه حجارةُ المساجدِ
الشَّيعِيَّةِ تُسَرَّقُ لبناءِ سُجونِ النِّظامِ، وقفَ الشَّيخُ الشَّهيدُ محمود المدائنيَّ رحمته الله، يحملُ
مِطْرَقَةَ الإرادةِ ليَطْرُقَ بها جدارَ الخوفِ، مستلهمًا دليلاً عمليًّا من قولِ الله تعالى:
﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ النور/ ٣٦، فَقَرَّرَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ مَسْجِدِهِ مَنَارَةً تُضِيءُ
دربَ المهمَّشين. لم يكنْ يَبنِي بيتًا للصلاةِ فحسبَ، بل مدرسةً لثورةٍ هادئةٍ، تُعلِّمُ
«كيفَ تكونُ حرًّا تحتَ سقفِ العبوديَّة».

في مدينةٍ تُشبهُ فسيفساءَ المذاهبِ، حيثُ تتعانقُ قبابُ المزاراتِ القديمةِ مع
قصورِ القياداتِ الحزبيَّةِ، كانَ التحديُّ مضاعفًا: رقابةٌ أمنيَّةٌ خانقةٌ تُراقبُ حتى
همساتِ المصلِّين، ومنعٌ ممنهَجٌ بتحويلِ الحسينيَّاتِ إلى مخازنٍ أو إغلاقِها،
وخطرٌ وجوديٌّ يجعلُ حياةَ عالمِ الدِّينِ الشَّيعيِّ مهدَّدةً بالانطفاءِ كشمعةٍ في مهبِّ
الإعصار. لكنَّ الشَّيخَ رأى في تربةِ المدائنِ خصوبةً لزراعةِ الأملِ.

بدأ المشروعُ خلفَ ستائرِ الخوفِ باجتماعاتٍ ليليَّةٍ في منازلٍ متواضعةٍ، يُخطِّطُ فيها
لمعجزةٍ بناءٍ رغمِ أنفِ النِّظامِ. وتبرُّعاتٍ سريَّةٍ وأموالٍ تُجمَعُ دينارًا دينارًا من فلاحينَ
يخبئونها في جيوبهم الممزَّقة، وبنائٍ ليليٍّ وعمالٍ ينقلون الطِّينَ تحتَ غطاءِ الظَّلامِ.

وحين اكتمل المسجد، صارَ (شاهداً على الإصرار)، ليزكّر النظامَ بأنَّ الإيمانَ أقوى من كلِّ مراسيمِ المنع.

المسجدُ لم يقتصر دورُهُ على مجردِ مكانٍ للصلاة، بل تحوّل إلى مدرسةٍ مجانيةٍ يتعلّمُ الأطفالُ فيها القرآنَ بينما تُدويّ خارجُ أسواره أصواتُ الدَّبَّابات، وإلى ملجأٍ اجتماعيٍّ تحلُّ فيه نزاعاتُ العشائرِ تحتَ شعار (العدلُ أساسُ الملك)، وإلى مركزٍ مقاومةٍ ثقافيّةٍ تُنسخُ فيه رسائلُ المرجعيّةِ الدينيّةِ سرّاً، وتوزّعُ كمنشوراتٍ أملٍ في ظلامِ الحظر.

ورغمَ اكتمالِ البناءِ، بقيَ المسجدُ تحتَ عينِ النظامِ، وفي رسائلٍ وصلته تتضمّنُ تهديداً بالهدمِ كُتِبَ في إحداها «سنحوّلُ قُبَّتكم إلى خرابةٍ». ردّاً عليها بخطبةٍ عنوانها: (لو هدموا المسجدَ ألفَ مرةٍ، سنبنيه ألفاً وواحدةً).

ولم يجرؤِ النظامُ البائدُ على هدمه، فصارَ المسجدُ شاهداً على عجزِ الطُّغاةِ أمامَ إرادةِ المؤمنين.

واليومَ، يقفُ مسجدُ المدائنيّ كصرحٍ شامخٍ يُرَدِّدُ قصّةَ صمودٍ. جدرانُه تُحدّثُ عن أيامٍ كانَ فيها حَمَلَةُ المصاحفِ يُعتقلونَ، ومثدنته تُشيرُ إلى السَّمَاءِ كإصبعٍ شهيدٍ رفضَ الانحناءَ^(١).

١ المحلق (١) أخير صورة لمسجد الرسول الاعظم قبل التفجير

مُصَلَّى الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ ﷺ قَلْبُ الْمَدَائِنِ النَّابِضِ

هذا المُصَلَّى كان أشبه بخليَّة نحل رُوحِيَّة تُعيدُ ربطَ المجتمعِ بجذوره الإيمانيَّة. هنا يلتقي الفقيرُ بالغنيِّ ليتقاسمًا هَمَّ الوطنِ، وكان الشَّبابُ فيه يتنافسون كيف يُحرِّرونَ العراقَ من فِخاخِ الطائفية. كان المُصَلَّى مدرسةً سياسيَّةً بثيابِ دينيَّة، تُعيدُ تعريفَ الهويَّةِ الشيعيَّةِ على أنَّهم ليسوا ضحايا، بل هم صناع تاريخ.

حتى إخواننا من أبناءِ العامَّة كانوا يَجِدُونَ في رحابه جسرًا للتعايش، فتحوَّلَتْ جلسائهم المشتركةُ إلى ورشاتِ بناءٍ تُصلِّحُ ما خربَتْهُ أيادي الإرهاب. وهكذا، صارَ المكانُ شاهدًا على أنَّ الكلمةَ الموحدةَ أقوى من كلِّ رصاصة.

لقد حوَّلَ الشَّيْخُ الشَّهِيدُ المُصَلَّى إلى صرخةٍ وجودٍ تُدَوِّي عبرَ برنامجٍ أسبوعيٍّ مُحَكَّمٍ يُنظَّمُ إيقاعَ حياةِ المؤمنين:

السبت: رحلةُ الفقه مع الشَّيْخِ الشَّهِيدِ الذي كان يُحوِّلُ النُّصوصَ الشرعيَّةَ إلى خريطةٍ للحياة اليوميَّة، كأنه يُعلِّمُ النَّاسَ كيفَ يتمسكون على بحبلِ الشَّرْعِ لينقذوهم من هاويةِ الفوضى.

الأحد: د. عبدالرزاق أحمد الشمري في محاضرة تاريخيَّة عقائديَّة .

الاثنين: الشَّيْخُ الشَّهِيدُ.. يتخذُ من شرحِ نهجِ البلاغةِ مطرقةً تُهشِّمُ قيودَ الجهلِ، وترسمُ طريقَ العدلِ في زمنِ الظُّلم.

الثلاثاء: دعاءُ التوسلِ.. بصوتِ القارئِ الشَّهِيدِ عماد ناجي.

الأربعاء: الشَّيْخُ طالب الشمري في محاضرةٍ أخلاقيَّة

الخميس: زيارةُ الحسينِ (عليه السلام) ودعاء كميل مع ناصر متعب الشمري رحمه الله

الجمعة: محاضرة عقائديَّة للدكتور عماد صالح.

كان المصلِّي مسرحًا لملحمة دينيَّة لا تتوقَّف: فالمناسباتُ الدينيَّة تُزيِّن بخطباء يُحرِّكون المشاعرَ كالعاصفة، وشعراءَ ينحتونَ الكلمات كالتمثيل، ورؤايدَ (منشدين) ينسجونَ اللَّحنَ والدموعَ في آنٍ. وكذلك مجالسُ التَّأبينِ التي تُحوِّلُ رحيلَ العلماءِ إلى شُعلةٍ تُضيءُ طريقَ الأحياء.

لم ينسَ الشيخُ أنَّ الثورةَ الحقيقيَّةَ تبدأ من عقولِ اليافعين، فأسَّسَ دوراتِ العُطلِ الصَّيفيَّة التي تشمُل: تلاوةَ القرآن (٢ جمادى الأول ١٤٢٥هـ): حيثُ يتعلم الأطفالُ أنَّ الحروفَ المقدَّسة تُشبهُ أجنحةً تُحلِّقُ بهم فوقَ الواقعِ المرير. ودروسَ الفقه والأخلاقِ لكي لا يَضِيعَ الشَّبابُ بينَ صحبِ الحداثَةِ وصرخاتِ المذاهبِ. ومشروعَ «شابٌّ مؤمنٌ في كلِّ بيت»: ولطالما كان يُردَّدُ: «الشَّبابُ ليسوا مستقبلَ الأُمَّة، بل هم حاضرُها الذي يكتُبُ التاريخَ».

ولم يسلم هذا المصلِّي من الأحقادِ الدِّينيَّة في صدور أعداءِ اللهِ ورسولِهِ فتعرَّضَ بعدَ استشهادِ الشيخِ محمود لتفجيرٍ إرهابيٍّ وتعرَّضَ حراسُهُ لاعتداءاتٍ متفرِّقة، فقد اقتحمَ المجرمونَ بيتَ الأخ (عمَّار نزار أبو محسن) حارسِ المصلِّي وقتلوا شقيقه وأصابوا عددًا من نساءِ بيته، وقتلوا (السَّيِّد سعد محسن الحسيني) بعبوةٍ ناسفةٍ وضعوها قربَ بيته، ثمَّ اغتالوا الأخ محمد شكندي (أبو سجاد) الذي بقي يرفعُ الأذانَ في المصلَّى لغايةِ استشهادِهِ (عليهم رحمة الله).

أَوَّلُ صَلَاةٍ جَمَاعَةٍ وَجُمُعَةٍ: يَوْمٌ يَحْلُدُ فِي ذَاكِرَةِ الْمَدَائِنِ

في التاسع من شهر صفر الخير عام ١٤٢٤هـ (١٢ نيسان ٢٠٠٣م): اجتمع المصلُّون لأول مرّة كجسدٍ واحدٍ، تُسمَعُ أنفاسُهم قبل تكبيراتهم.

صلاة الجمعة فضلاً عن كونها فريضةً دينيةً، فإنها ثورةٌ صامتةٌ تُعيدُ للشَّيعة هويتهم المغيَّبة. بعد سقوط النظام البائد، تحوَّل مُصلِّي الرِّسُول الأعظم (صَلَّى الله عليه وآله) إلى قلعةٍ إشعاعٍ روحيٍّ، حيثُ اجتمع أكثرُ من ٦٠٠ مصلٍّ من قرى المدائن المتناثرة، كأنَّهم جيشٌ من النُّورِ يرفضُ أن تبتلعه ظلماتُ التهميش.

في التاسع من شهر ربيع الأول ١٤٢٤هـ (١١ أيَّار ٢٠٠٣م): ارتفع نداءُ «الله أكبر» في جمعةٍ تاريخيةٍ، كأنَّ المدينة تُعلنُ ميلادها من جديد.

استلهم الشَّيخُ الشَّهيدُ قولَ الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الجمعة/ ٩، فحوَّلَ الخطبةَ إلى منصَّةٍ لبناء الوطن، لا مجرد وعظٍ تقليدي. كانت خطبته تشخُّصُ الواقعِ بجرأةٍ، من بيع أسلحةِ الدولة إلى غلاء المهور، ومن انهيار الخدمات إلى ضرورة المشاركة في الانتخابات. ولطالما كان يُردِّدُ: «الصلاة ليست هروباً من الدنيا، بل سلاحٌ لإصلاحها وإصلاح النفوس».

فلقد اكتسبت صلاة الجمعة -صفةً الى جانب أنها عبادة- وهي المَعْلَمُ للمقاومة الروحية، الَّذي يجمعُ تحت قُبَّتِهِ أكثرَ من ٦٠٠ مصلٍّ من قرى المدائن المتناثرة.

وكَخَيْطٍ من نورٍ يَخِيطُ جراحَ المدينة الممزَّقة، كان الشَّيخُ الشَّهيدُ يُردِّدُ في كلِّ خطبةٍ: (هذه الجموعُ ليست أرقامًا، بل جيشًا من الأملِ يرفضُ أن تنطفئَ

شعلة الإيمان). خُطْبُهُ كانت مشروعَ إصلاحٍ شاملٍ، يبدأ من مواجهة الفسادِ وبيعِ المناصبِ والرِّشاوى. مرورًا بالدَّعوةِ إلى العملِ وحثِّ الموظفينِ على العودةِ إلى دوائِرهم، ولا ينتهي من التَّحذيرِ من التَّطَرُّفِ ومناقشة انتشارِ الكحولِ والمخدَّراتِ، مُحذِّرًا: (الإرهابُ ليسَ رصاصًا فقط، بل ثقافةُ تَفْرِيعِ الشَّبابِ مِنْ قِيَمِهِمْ).

دوره في إقامة الشَّعائرِ الحُسَيْنِيَّةِ وإحياءِ أمرِ أهلِ البيتِ (عليه السلام)

في رحابِ الدينِ الإسلاميِّ، تتعددُ الشَّعائرُ وتتنوعُ كَنَجْمٍ في سماءِ العبادةِ، كلٌّ منها يَشعُّ بنورٍ خاصٍّ يُقَرِّبُ العبدَ مِنْ خالِقِهِ. فالصَّلَاةُ جماعةً وجمعةً، والحجُّ إلى بيتِ اللهِ الحرامِ، وصومُ رمضانَ، كلُّها مناراتٌ تجسِّدُ وحدةَ الأُمَّةِ وتُذكرُها بأنَّ العبادةَ ليست شَعايرَ جوفاءً، بل حوارًا دائمًا مع السماءِ.

كانت مراسِمُ إحياءِ الشَّعائرِ الحُسَيْنِيَّةِ في المدائنِ في عاشوراءِ مِنْ كُلِّ عامٍ، ثورةً دائمةً تُعيدُ كتابةَ سيرةِ الحُسَيْنِ (عليه السلام) بِدماءِ الواقعِ العراقيِّ. وقد اختارَ الشَّيخُ الشَّهيدُ (رحمهُ اللهُ) أَنْ يَجْعَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّعائرِ جسرًا روحيًا يربطُ بينَ ماضٍ ملحميٍّ وحاضرٍ يَبْنِي تحتَ وَطْاةِ الانقسامِ الخفيِّ.

بعدَ سُقُوطِ النِّظامِ في ٢٠٠٣، انفجرتِ المدائنُ كبركانٍ مُختَرِنٍ بالحُزنِ والإيمانِ. كانَ الشَّيخُ أَوَّلُ مَنْ أَطْلَقَ صرخَةَ الحريَّةِ: «اليومَ نعيشُ كربلاءَ بِكُلِّ جوارِحنا، ولن يُسكَّتْ صوتُ الحُسَيْنِ بعدَ اليومِ».

في أوَّلِ شهرٍ مُحَرَّمٍ بعدَ السُّقُوطِ، خرجَ أوَّلُ موكبٍ عزاءٍ علنيٍّ في المدينةِ، يَحْمِلُ راياتٍ سودًا تَهْتَفُ: (لَبَّيْكَ يا حُسَيْنُ لَبَّيْكَ يا ثائرُ!)

كانَ الموكبُ إعلانًا بأنَّ المدائنَ استعادتْ هويَتَها، وأنَّ دماءَ الشُّهداءِ لم تُهدَرْ سُدًى. وأعادَتْ أصواتُ الخُطباءِ الرُّوحَ، وتعاونَ الشَّيخُ مع نُخبَةٍ مِنَ الخُطباءِ الذينَ حوَّلوا المَنبرَ إلى مدرسةٍ تُعَلِّمُ الثَّورةَ على الظُّلمِ. وامتلأتْ أسواقُ المدينةِ بالزَّيناتِ

الحسينية، وتوجه الموكب نحو مُصَلَّى الرَّسُولِ الْأَعْظَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لتقديم الغزاء لِصَاحِبِ الْعَصْرِ وَالزَّمانِ (عج)، ما أعطى الحدث بُعداً روحياً عميقاً، ورَسَخَ ثقافة المُقاومة، إذ تحوَّلت المدائنُ إلى رمزٍ لِلصُّمودِ، تُذكرُ بأنَّ دَمَ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يُحيي الأملَ حتى في أحلكِ الطُّروفِ. ويعيدُ تأكيدَ الهويَّةِ الشَّيعيَّةِ بانتصاره الرَّمزيِّ على سياساتِ النُّظامِ السَّابِقِ الَّتِي حارَبَتِ تلكَ الهويَّةَ المميَّزة.

كانتِ تلكَ لحظةً فارقةً في تاريخِ المدائنِ الحديثِ، وتجسيداً لِمَا يُمكنُ أن تفعُلهُ الإرادةُ الجماعيَّةُ في مواجهةِ القمعِ، فبعدَ أن كانتِ الشَّعائرُ تُقامُ سرّاً، صارتِ المدائنُ تُعلنُ للعالمِ أنَّ كربلاءَ ليستَ حَدَثاً ماضياً، بل ثورةٌ مُستمرَّةٌ في ضميرِ المؤمنينَ وهذه قائمةُ بإنجازاتِ الشَّيخِ الشَّهيدِ على هذا الصعيدِ والتي بقيتِ قبساتُ نورٍ على خارطةِ المدائنِ :

مسجدُ الرَّسُولِ الْأَعْظَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): كانَ مركزُ القضاءِ قلعةً الوعيِ التي انطلقتُ منها صيحاتُ: (لا صوتَ يعلو فوق صوتِ الحقِّ).

حسينيَّةُ المنتظر (حي الرديَّة): تحوَّلتُ إلى مِنصَّةٍ للحوارِ الوطنيِّ، حيثُ اجتمعَ الشيعةُ والسُّنةُ تحتَ سقفٍ واحدٍ، يناقشونَ مشاكلَ المنطقةِ كأخوةٍ في الله والوطنِ.

حسينيَّةُ الإمامِ الباقر (حي الجعارة): صارتُ مدرسةً ليليةً لتعليمِ المهمشينَ، تُعلِّمُ القراءةَ بقدرِ ما تُعلِّمُ كيفَ تكونُ حُرّاً.

حسينيَّةُ الشَّهيدِ المدائني (قرية الحاج فنجان): سُمِّيتُ بعدَ استشهادِهِ تكريماً لرجلٍ حوَّلَ اسمَه إلى وصيةٍ تدورُ على الألسنِ.

حسينيَّةُ الوحدةِ الإسلاميَّة (منطقة الرديَّة): حيثُ نُقِشتُ في ضمائرِهِم عبارةُ: (الفرقةُ جمرَةٌ، والوحدةُ إكليلُ النِّصر).

قدَّمَ الشَّيخُ الشَّهيدُ الشَّعائرَ الحسينيَّةَ كمشروعٍ تنويريٍّ مُتكاملٍ، يشرحُ فُصولَ كربلاءَ كأنها دستورٌ سماويُّ يُعلِّمُ النَّاسَ أنَّ الظلمَ لا يُقهرُ إلَّا بإرادةٍ تُشبهُ السَّيْفَ

القاطع، ويجعلُ مِنَ المواقِبِ الحُسَيْنِيَّةِ ميدانَ لِقَاءٍ يَذوبُ فِيهِ الْفَقِيرُ مع الْغَنِيِّ تحتَ رايةٍ «يا لثاراتِ الْحُسَيْنِ». ويربُطُ بين دَمِ الْحُسَيْنِ (عليه السَّلام) ودماءِ الْعِراقِيِّينَ، هاتِفًا: «مَنْ قَتَلَ الْحُسَيْنَ بِالْأَمْسِ، هُوَ نَفْسُهُ مَنْ يَسْرِقُ خُبْزَ أَطْفالِكُم الْيَوْمَ».

عندما كانت الجدرانُ تُبنى بالوَجعِ قَبْلَ الْحِجارةِ، انطلقَ الشَّيْخُ الشَّهيدُ محمود المدائني رحمته الله كمهندسٍ لِلوَحدةِ، يَحْمِلُ في قلبه خَريطةً لِإِحياءِ رُوحِ المَدِينَةِ عِبرَ تَأْسيْسِ حُسَيْنِيَّاتٍ تُشَبِّهُ القِلاعَ. لم يَكُنْ يَبْحِثُ عَن مَجْردِ أَمَكانٍ لِلصلاةِ، بل عَن مَخْبِراتٍ لِلثُورَةِ الرُّوحِيَّةِ، حَيْثُ يَلْتَقِي الْأُخُوَّةُ مِنْ شَتَّى مَدَنِ الْقِضاءِ، ليلقوا هُمومَهُم وَيَشيدُوا صُروحَ الْأَمَلِ.

أَدَارَ حِواراتٍ مُكثِفَةً مع أَبْناءِ القُرى والمَدَن، يُذَكِّرُهُم بِأَنَّ بَناءَ الحُسَيْنِيَّةِ لَيْسَتْ حِجْرًا فَوْقَ حِجَرٍ، بل إِعْلانٌ وَجودٌ في وَجهِ التَّهْمِيشِ. وَشَكْلٌ لِجانًا مُخلَصَةً جَمَعَتْ التَّبَرُّعاتِ كَأَنَّها تَنْسُجُ خِيوطَ النُّورِ مِنْ ظِلَامِ الْفَقْرِ، بَيْنما كانَ هُوَ يُنْفِقُ ما يَحْصُلُ عَلَيْهِ مِنْ مَكْتَبِ المَرْجِعِيَّةِ كَبْذورٍ تَتحوَّلُ إِلى غاباتٍ.

إِنَّ اسْتِثْنائِيَّةَ الشَّعائِرِ الحُسَيْنِيَّةِ تَنْبُعُ مِنْ اسْتِثْنائِيَّةِ الحَدِثِ نَفْسِهِ؛ فَمَما جَرى في أَرْضِ الطُفِّ لَمْ يَكُنْ مأساةً عابِرةً، بل مِحْنَةً كَشَفَتْ مَعادِنَ النُّفُوسِ، وَصَنَعَتْ مِنْ الدَّمِ الْمُهْرَقِ شُعْلَةً تُنِيرُ ذُرُوبَ الْأَحْرارِ وَوِلاءَ يُجَدِّدُ الْعَهْدَ مع نَهْجِ الْحُسَيْنِ (عليه السَّلام) وَبِراءَةٍ مِنْ طُلَمِ الْيَزِيدِيِّينَ عِبرَ التَّارِيخِ، وَعِشْقًا يُذَكِّرُ بِأَنَّ دَمَ الْحُسَيْنِ عليه السَّلام ما زالَ يُنْبِتُ في الْقُلُوبِ زُهورَ الْمُقاوِمَةِ فَمَما أَرَوَعَ أَنْ نَكُونَ أُمَّةً تُبْنِي مُسْتَقْبَلُها على مِثالِ رَفَعَ رَأْسَهُ لِلسَّيْفِ وَقَالَ: (هِيْهاتَ مِنَّا الذَّلَّةُ)!

لِذا تَحَوَّلَ الشَّيْخُ المدائني رحمته الله، إِلى رَمزٍ لِلاستِمْرارِ. دِماؤُهُ أَلْهَمَتْ أَتْباعَهُ لِمُواصلَةِ الْعَمَلِ بِوصاياهِ، وَالْحِفاظِ على الْوَحْدَةِ الاجْتِماعِيَّةِ بِتَجَنُّبِ الاسْتِغْرازِ الطائِفِيِّ وَرَفْضِ الْعُنْفِ، وَتَعْزِيزِ التَّعْلِيمِ الدِّينِيِّ كضَمانَةٍ لِاستِمْرارِ الْفِكرِ الْإِسلامِيِّ الْأَصِيلِ.

الفصل الثالث

دوره في إدارة قضاء المدائن بعد سقوط النظام عام ٢٠٠٢م

كَانَ الزَّمَانُ يَسِيرُ عَلَى حَافَةِ الْجُرْحِ، وَكَانَتِ الْأَرْضُ تَتْنُّ تَحْتَ أَقْدَامِ الْخَائِفِينَ وَالطَّامِعِينَ عَلَى حَدٍّ سِوَاءٍ. فَالْسَّقُوطُ فِي نَيْسَانَ عَامَ ٢٠٠٣ كَانَ زَلْزَالًا اقْتَلَعَ مَا تَبَقَّى مِنْ بَنِيَانِ الدَّوْلَةِ، وَتَرَكَ النَّاسَ فِي صَحْرَاءٍ التَّيْهَ بِلا رَاعٍ وَلَا دَلِيلٍ. زَلْزَالًا اجْتَاكَ الْبُنْيَةُ الْإِدَارِيَّةَ وَالْأَمْنِيَّةَ لِلدَّوْلَةِ، فَانْفَرَطَ عِقْدُ الْأَمْنِ، وَغَابَتْ مُؤَسَّسَاتُ الدَّوْلَةِ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ الْفَوْضَى عَلَى مَصَارِيْعِهَا وَفِي الْمَدَائِنِ، كَمَا فِي سَائِرِ الْمُدُنِ، كَانَتْ الْفَوْضَى سَيِّدَةً الْمَوْقِفِ، يَغِيبُ فِيهَا الْقَانُونُ، وَتَتَقَدَّمُ الْأَهْوَاءُ عَلَى الْحُجْبِ، وَيَتَمَرَّدُ السَّلَاحُ عَلَى الْحِكْمَةِ وَالتَّعْقِلِ. وَيَرْزُحُ الْمَوَاطِنُونَ تَحْتَ وَطْأَةِ الْانْفِلَاتِ، لِتَتَغَوَّلَ يَدُ الضُّعْفَاءِ فِي النُّفُوسِ، وَتَتَكَثَّرُ التَّعْدِيَاتُ عَلَى النَّاسِ فِي أَرْزَاقِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَمَمْتَلِكَاتِهِمْ.

لَمْ تَكُنِ الْمَهْمَةُ سَهْلَةً فِي مَجْتَمَعٍ أَمْسَى عَلَى حَافَةِ الْهَاسِيَةِ مُثْقَلٌ بِتَرِكَةِ النِّظَامِ الْبَائِدِ، حَيْثُ جُفِّتْ يَنَابِيعُ الْإِرَادَةِ، وَضَمَرَتْ قِيَمُ الشَّهَادَةِ وَالضَّمِيرِ. مَجْتَمَعٌ مُهَدَّدٌ بِالْانْحِلَالِ. شَبَابٌ نَشَأُوا عَلَى ثِقَافَةِ «الْإِمْبَالَاةِ»، وَأُسْرٌ تَائِهَةٌ بَيْنَ خِيَارَيْنِ: الْهَرُوبُ أَوْ الْاسْتِسْلَامُ. مَجْتَمَعٌ مُغْرَرٌ بِهِ سُلِبَتْ مِنْهُ هَوِيَّتُهُ حَتَّى صَارَ كَسَفِينَةٍ بِلا شِرَاعٍ فِي بَحْرِ الْفِتْنَةِ.

فِي مِثْلِ هَذِهِ الظُّرُوفِ الْمَحْمُومَةِ وَاللَّحْظَةِ التَّارِيخِيَّةِ الدَّقِيقَةِ، كَانَ لِزَامًا أَنْ يَنْهَضَ مَنْ يَحْمِلُ فِي صَدْرِهِ وَعِيِ الزَّمَانِ، وَصَبَرَ الْأَتْقِيَاءَ، وَأَمَانَةَ الْمَرْجِعِيَّةِ فَكَانَ الشَّيْخُ الشَّهِيدُ مَحْمُودُ الْمُدَائِنِيِّ رحمته الله مِنْ أَوْلَئِكَ الْقَلَّةِ الَّذِينَ لَمْ تَأْخُذْهُمْ دَهْشَةُ الْإِنْهَارِ، وَلَمْ يُرْبِكْهُمْ ضَجِيجُ الْبَدْءِ الْجَدِيدِ، شَأْنُهُ فِي ذَلِكَ شَأْنُ وَكَلَاءِ الْمَرْجِعِيَّةِ الدِّينِيَّةِ الْعَالِيَا وَمَعْتَمَدِيهَا

تلك القيادة الربانيَّة التي لم تترك أبنائها في مَهَبِّ التَّيَّةِ، وَكَانَ مِنْ وَاجِبِهِمْ، بَلْ مِنْ تَكْلِيفِهِمْ الشَّرْعِيِّ، التَّصَدِّي لِفِرَاقِ السُّلْطَةِ، وَتَنْظِيمِ صَفُوفِ النَّاسِ، وَتَهْدِئَةِ

القلوبِ القلقة، وبثَّ الأملِ في النفوسِ المضطربة.

لذا وَقَفَ الشَّيْخُ المدائنيُّ في قلبِ المِحْنَةِ، كَمَنْ يَحْمِلُ وَصِيَّةً هِيَ أَثْقَلُ مِنَ الجِبَالِ، فَكَانَ يُؤَدِّيها لَوَجهِ اللَّهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الكَلِمَةَ في سَاعَاتِ الفَوْضَى تُعَادِلُ طَلْقَةً، وَأَنَّ الْهُدُوءَ الَّذِي يَبُثُّهُ فِي قُلُوبِ الْخَائِفِينَ أَبْلَغُ مِنْ أَلْفِ خُطْبَةٍ.

فأَخَذَ ﷺ زمامَ المبادرة، ولم يكتفِ بإرشادِ النَّاسِ مِنْ على المِنْبَرِ فحسب، بل كان يشارِكُهُمْ مسؤوليةَ إدارةِ المدينة، ويوجِّهُهُمْ وَيُثَبِّتُ أَقْدَامَهُمْ على دربِ الانضباط، مذكِّراً إياهم بِحُرْمَةِ الدَّمِ والمالِ، داعياً إياهم إلى الالتجاءِ إلى القانونِ والشرعِ في حلِّ التَّزَاعَاتِ، ومُحذِّراً من مَغَبَّةِ الفَوْضَى والانجرارِ إلى رَدَّاتِ الفِعْلِ والانتقام.

فكان ﷺ يدعو الشبابَ للانخراطِ في عِدَادِ الأَجْهَزةِ الأَمْنِيَّةِ والقواتِ المسلَّحةِ من جيشٍ وشرطة، في الوقتِ التي كانت فيه جوامعُ المدائنِ تحرَّضُ ضِدَّ تلكِ الأَجْهَزةِ وتضعها في خانة الأعداء.

وهكذا إلى أَنْ استيقَظَتِ المدينةُ مِنْ سُبَاتِها بعدَ سنواتٍ مِنَ العملِ الدَّوَّوبِ، وبدأَ التَّغْيِيرُ يَظْهَرُ كَبُرْعَمٍ يَنشَقُّ عن صَخْرٍ، واستعادتِ المدائنُ هُويَتَها المفقودةَ وعادتْ لِتُحْيِيَ قِيمَ الإِسْلامِ المَحْمُديَّ الأَصِيلَ.

مُساهِمَتُهُ في تَأْسيْسِ أوَّلِ مَجْلِسٍ بَلَدِيٍّ

كَانَتْ المَهْمَةُ المُلقَاةُ على عاتِقِ الشَّيْخِ الشَّهيدِ إلى جانبِ الوَعظِ مِنَ المِنْبَرِ النُّزُولَ إلى السَّاحَةِ، وَمُعانِقَةَ النَّاسِ في مَخاوِفِهِمْ وَمَطالِبِهِمْ، وإِرشادِ القُلُوبِ التي ضَلَّتْ بَوَصَلَتِها. لَذا دَعَا إلى تَأْسيْسِ المَجالِسِ البَلَدِيَّةِ، وَرأها أَدَاةً لِاسْتِردادِ كَرَامَةِ المُوَاطِنِ، وإِعادةِ الرُّشْدِ إلى أَجْهَزةِ ما عادت تُعرَفُ نَفْسَها. وَفرصةً لِتَكونِ حلقةَ وَصلٍ بَيْنَ المُوَاطِنِ ومُؤسَّساتِ الدَّولَةِ الوليدةِ، ووسيلةً لِإِصالِ صَوْتِ النَّاسِ ومَطالِبِهِمْ، وتوفيرِ الخِدْماتِ الَّتِي كانت شِبْهَ مَعْدُومَةٍ آنذاك وَكَانَ يُعْلِنُ على المِنْبَرِ:

«صَوِّتُوا لِلْأَصْلَحِ، لِلْأَكْفَأِ، لِمَنْ يَخَافُ اللَّهَ فِيكُمْ»، لَا تَأْخُذْهُ فِي الْحَقِّ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، وَلَا تُغْرِهِ عَلاَقَاتٌ أَوْ مُجَامَلَاتٌ، مُسْتَنْدًا فِي تَوَجُّهَاتِهِ إِلَى تَعْلِيمَاتِ الْمَرْجِعِيَّةِ الْعَلِيَّا الَّتِي طَالَمَا أَكَدَّتْ ضَرُورَةَ تَفْعِيلِ الدَّورِ الشَّعْبِيِّ الْمَسْئُولِ وَالْمَبْنِيِّ عَلَى النَّزَاهَةِ وَالْكَفَاءَةِ.

ولم يقتصر جهْدُ شهيدنا الرَّاحِلِ على هذا الجانب، بل بادرَ إلى دعمِ تأسيسِ التَّجْمَعِ الثَّقَافِيِّ فِي الْمَدَائِنِ، وَهُوَ كِيَانٌ نَخْبَوِيٌّ مِنْ أُنْبَاءِ الْمَدِينَةِ، ضَمَّ مَثَقَفِينَ وَوُجُهَاءَ وَشَخْصِيَّاتٍ مُؤَثَّرَةً، اجْتَمَعُوا تَحْتَ سَقْفٍ وَاحِدٍ لِمُوَاجَهَةِ التَّحْدِيَّاتِ الْخِدْمِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ. وَكَانَ الشَّيْخُ الْمَدَائِنِيُّ يَحْضُرُ اجْتِمَاعَاتِهِمْ، وَيَشْدُ أَرْزَهُمْ، وَيُوجِّهُهُمْ وَيُلْهِمُ خُطَاهُمْ بِالْإِيمَانِ وَالْوَعْيِ وَالْوَطَنِيَّةِ وَيَحْتُمُّهُمْ عَلَى التَّنْظِيمِ وَالتَّخْطِيطِ وَتَحْمُلِ الْمَسْئُولِيَّةِ، وَيَبَارِكُ خُطَوَاتِهِمْ فَقَدْ كَانَ يَرَاهُمْ جُنُودًا لِمَرْحَلَةٍ عَصَبِيَّةٍ. وَقَدْ حَمَلَ هَذَا التَّجْمَعُ عَلَى عَاتِقِهِ مَسْئُولِيَّاتٍ جَسِيمَةً فِي تَنْظِيمِ عَمَلِيَّةِ تَوْزِيعِ الْمَشْتَقَاتِ النَّفْطِيَّةِ، وَمُعَالَجَةِ أَزْمَةِ الْمَاءِ وَالْكَهْرَبَاءِ، وَالتَّصَدِّي لِلظَّوَاهِرِ السَّلْبِيَّةِ الَّتِي بَدَأَتْ تَتَفَشَّى بَعْدَ انْهِيَارِ النِّظَامِ.

وَنَظُمَتْ عَبْرَ هَذَا التَّجْمَعِ، وَبِدَعْمِ الشَّيْخِ وَإِشْرَافِهِ، حَمَلَاتٌ لِتَوْزِيعِ الْمَحْرُوقَاتِ، وَتَخْفِيفِ أَزْمَةِ الْمَاءِ وَالْكَهْرَبَاءِ، وَكَشَفِ سَمَاسَرَةِ الْأَزْمَاتِ، وَقَطْعِ الطَّرِيقِ عَلَى الْعَابِثِينَ بِقُوتِ النَّاسِ وَكَرَامَتِهِمْ.

وَكَانَ الشَّيْخُ ﷺ مِنَ الْمُتَابِعِينَ لِعَمَلِ الدَّوَائِرِ الْخِدْمِيَّةِ وَالصَّحِيَّةِ فِي الْقَضَاءِ، وَيَلْتَقِي بِالْمَوْظَفِينَ، وَيَنْصَحُهُمْ دَائِمًا بِضَرُورَةِ الْعَمَلِ الْجَادِّ لَخِدْمَةِ الْمَوَاطِنِينَ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ. لَا يَتَدَخَّلُ بِالْأُمُورِ الْإِدَارِيَّةِ لَهَا. لِيَتَعَدَّ عَنْ الشَّبَهَاتِ، وَكَانَ دَائِمًا يَرُدُّ أَنَّ الْمَعَمَّمِ وَرَجُلَ الدِّينِ عَلَيْهِ أَنْ يَتَجَنَّبَ وَضَعَ نَفْسِهِ مَحَلًّا شَبَهَةً.

وَمَعَ نُضْجِ هَذَا الْوَعْيِ الشَّعْبِيِّ الَّذِي زَرَعَهُ الشَّيْخُ وَرَعَاهُ، كَانَتِ الْمَدِينَةُ مِنْ أَوَائِلِ الْمَدِينِ الْعِرَاقِيَّةِ الَّتِي بَادَرَتْ إِلَى إِجْرَاءِ انْتِخَابَاتِ مَجْلِسِ بَلَدِيٍّ، وَكَانَ لِحُجُودِ التَّجْمَعِ الثَّقَافِيِّ، الْمَدْعُومِ مِنَ الشَّيْخِ الشَّهِيدِ، أَثَرٌ مُبَاشَرٌ فِي فَوْزِ عِدَدٍ مِنْ شَخْصِيَّاتِهِ فِي تِلْكَ الْانْتِخَابَاتِ، لِيَكُونُوا صَوْتَ النَّاسِ وَهَمَّهُمْ، وَلِيُوَاصِلُوا الْمَسِيرَةَ فِي بِنَاءِ

المدينة على أُسُسِ العدلِ والكرامةِ والولاءِ.

وَكَانَ كُلُّ صَوْتٍ يَصْعَدُ إِلَى مَجْلِسِ الخِدْمَةِ، يُحْمَلُ عَلَى نَصِيحَةِ الشَّيْخِ وَبَصِيرَتِهِ. فَدَوْرُهُ، لَمْ يَكُنْ عَمَلًا عَارِضًا، بَلْ امْتِدَادًا لِرِسَالَتِهِ فِي خِدْمَةِ الدِّينِ وَالْمَجْتَمَعِ، وَتَرْجَمَةً حَيَّةً لَوْصَايَاهُ الَّتِي خَطَّهَا بِمِدَادٍ مِنَ النُّورِ، وَسَارَ عَلَى هَدْيِهَا حَتَّى خَتَمَ اللَّهُ لَهُ بِالشَّهَادَةِ، مَخْلَفًا وَرَاءَهُ إرْثًا مِنَ الْوَعْيِ وَالْبَصِيرَةِ، وَشَاهِدًا عَلَى أَنَّ الْمَرْجِعِيَّةَ حِينَ تُنْجِبُ رَجَالَهَا، فَإِنَّهَا تُنْبِتُ فِي الْأَرْضِ عَدْلًا، وَتُعَلِّي لِلْحَقِّ رَايَةً.

كَانَتْ خُطَاهُ فِي أَعْوَامٍ مَا بَعْدَ السُّقُوطِ، كَحُرُوفٍ تُرْسَمُ فِي طِينِ الْمِحْنَةِ، لَا يَمْحُوهَا زَمَنٌ وَلَا يُغَيِّرُهَا جُحُودٌ. وَكَمَا بَنَى جِيلًا وَاعِيًا فِي ظِلِّ الْبَعْثِ، فَإِنَّهُ بَنَى جِيلًا خَدُومًا وَاعِيًا بَعْدَ السُّقُوطِ، يَعْرِفُ مَا يُرِيدُ، وَيُحَسِّنُ طَرِيقَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ.

هَكَذَا كَانَ الشَّيْخُ الشَّهِيدُ: حِينَ غَابَتِ الدَّوْلَةُ حَضَرَ؛ وَحِينَ صَمَتَتِ الْمُؤَسَّسَاتُ تَكَلَّمَ؛ وَحِينَ ضَاعَتِ الْقُلُوبُ تَوَلَّى الْهَدَايَةَ. وَكَأَنَّهُ وُلِدَ لِهَذِهِ السَّاعَاتِ، وَسَارَ إِلَيْهَا عَلَى عِلْمٍ، فَكَتَبَ فِيهَا أَجْمَلَ فُصُولِ الْخِدْمَةِ وَالْقِيَادَةِ وَالْفِدَاءِ.

موقفه من الانتماء للأحزاب السياسية بعد عام ٢٠٠٣

حِينَ انْكَشَفَتْ ظُلْمَةُ الْإِسْتِبْدَادِ الْبُعْثِيِّ فِي ربيعِ عام ٢٠٠٣، وَخَرَجَ الْعِرَاقُ مِنْ قِمَمِ الْقَمْعِ إِلَى فُضَاءٍ مَشْحُونٍ بِالْفَوْضَى وَالطُّمُوحَاتِ الْمُتَزَاحِمَةِ، اُنْدَفَعَتْ إِلَى السَّاحَةِ عَشْرَاتُ الْأَحْزَابِ وَالتِّيَّارَاتِ بِشَتَّى الْعَنَاوِينَ، بَعْضُهَا يَنْتَمِي إِلَى تَرْتِبةِ الْعِرَاقِ الثَّقَافِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ، وَمَعْرُوفُ الْمَرْجِعِيَّةِ وَالْمَنْهَجِ، وَأَكْثَرُهَا غَرِيبٌ عَنْهَا دَخِيلٌ عَلَيْهَا مَجْهُولُ النِّيَّاتِ وَالْغَايَاتِ، يَرْفَعُ لَافِتَاتٍ بَرَّاقَةً وَيُخْفِي تَحْتَهَا مَا لَا يَطْمَئِنُّ لَهُ عَقْلٌ أَوْ ضَمِيرٌ، مَا اسْتَدْعَى مَوْقِفًا شَرْعِيًّا وَوَاعِيًا يُوْجِّهُ النَّاسَ وَيُحْصِنُهُمْ فِكْرِيًّا وَدِينِيًّا أَمَامَ هَذَا الْمَدِّ الْجَدِيدِ.

فِي هَذَا الْمَنْعَطِ التَّارِيخِيِّ الْمَفْصَلِيِّ، لَمْ يَكُنِ الشَّيْخُ الشَّهِيدُ مُحَمَّدُ الْمَدَائِنِيُّ

﴿﴾ رجلاً عادياً في زاوية منسية، بل كان في موقع حساس، يتقدم الصفوف بصفته معتمد المرجعية الدينية العليا في قضاء المدائن، يُترجم صوت النَجف الأشرف إلى لغة النَّاس، ويجعل من منبر الجمعة منصّةً لتثبيت البوصلة في قلب الإعصار.

لم يكن يخوض في السياسة بدافع الرأي الشخصي أو الهوى، بل كان يرى نفسه جندياً في ثغر من ثغور المرجعية، ويؤدّي وظيفته الشرعية في بيان رأي المرجعية وإرشاد النَّاس إلى ما فيه مصلحتهم الدينية والدنيوية وينقل توجهاتها حرفاً حرفاً، ويبلغ توصياتها بدقة وأمانة لا تعرف المساومة، وغيره لا تهادن المصلحة ولا المجاملة

وقف سماحته من الأحزاب موقف العالم الملتزم، لا موقف المتحزب المتعصب، فكان يحذّر النَّاس من الانخداع بالشعارات الرنانة، ويدعوهم إلى الثبّت من النيات والغايات، ويذكرهم دوماً بأنّ الولاء ينبغي أن يكون للدين أولاً، ثم للمرجعية والوطن، لا للأحزاب والعناوين الطارئة.

ومن خلال منبر الجمعة الذي كان يشكل في ذلك الوقت نافذة الوعي الأولى، كان سماحته يبلغ النَّاس ما يصدر من المرجعية العليا من بيانات وتوجيهات، وخاصة ما يتعلق منها بالموقف من التيارات والأحزاب السياسية التي بدأت تغزو الساحة العراقية، بعضها يرفع شعارات إسلامية، وأخرى تحمل عناوين علمانية أو لادينية، وقد كان لزاماً على العلماء والخطباء أن يبينوا للناس الحق من الباطل، ويكشفوا الغطاء عن الأجندات المشبوهة.

كان يُنبّه إلى خطورة الانتماء العشوائي لكيانات «تدعي شيئاً وتخفي شيئاً آخر»، خاصّة تلك التي تحمل نزعات علمانية أو تقصي الدين من خطابها وسلوكها، وكان يحذّر النَّاس من الانخداع بالشعارات البراقة، أو الانجرار وراء العناوين المضلّة، داعياً إلى الثبّت، ومذكراً دائماً بأنّ الولاء الحقيقي يجب أن يكون للدين، وللمرجعية، وللوطن. ويؤكد أنّ معيار القرب والبعد منها يجب أن

يكون بميزان العقيدة والالتزام بمنهج أهل البيت عليه السلام.

وكان رحمه الله دائماً ما يجيبُ الإخوة المؤمنينَ عند سؤالهم له عن الانتماء للأحزاب السياسية بأننا نحترم كل الأحزاب، لكن لا نحبُّ الانتماء لها. لأنها سوف تختلف فيما بينها لاحقاً، وأوصيكم بالتمسك بالمرجعية فحسب لأنها سبيل النجاة.

ومن المنبر، ظلَّ صوته يعلو بالتحذير والبصيرة، لا ترهيباً ولا ترغيباً، بل محبةً وخوفاً على الناس من ضياع الهوية وتسلب المشروع المضاد. كان صريحاً جريئاً، لكنه في غاية الأدب والاتزان، لا يُخاصم حزباً بعينه، ولا يُجامل على حساب الثواب.

لقد كان الشيخ المدائني صوتاً نقياً للمرجعية في زمن الفتنة، وسراجاً يُنير درب الناس في مرحلة التأسيس لمرحلة جديدة في العراق، حاملاً في خطابه التحذير، وفي قلبه الحب للناس، وفي عقله الحكمة والرؤية. فكان بحق، رجل المرحلة، الذي وقف على خط النار الفكري والسياسي، لا ليتمي، بل ليرشد ولا ليركض خلف منصب أو يتزين بعنوان، بل ليقف كالسراج في أول الظلام، يُنير الطريق لمن ضلَّته الحيرة، ويحمل رسالة المرجعية بعقل الفقيه، وقلب الداعية، وضمير الشهيد الآتي من الغد.

موقفه من الانتخابات العامة النيابية عام ٢٠٠٥

حين أُطلَّ عام ٢٠٠٥، كان العراق يُكابد جراحه المفتوحة، وسط انقسام سياسي مريع، وتحديات أمنية خانقة، ومشهد دستوري لم تتضح معالمه بعد. لكن المرجعية الدينية العليا لم تغب عن هذا المفصل التاريخي، بل حملت لواء التوجيه، ودعت إلى المشاركة الواعية في الانتخابات بوصفها فرصة لحفظ الهوية، وانتزاع القرار من براثن الاحتلال والإرهاب.

وفي قلب هذه اللحظة الفاصلة، كان صوتُ الشيخ الشهيد محمود المدائني رحمه الله

حاضرًا، يصدِّحُ من منبر الجمعة في المدائن، حاملاً كلمات المرجعية وتوجيهاتها، يشرِّحها للناس، يُفسِّرُها، ويُفكِّكُ معانيها، ثم يعيدُ بثها في النفوس نورًا وبصيرةً. كان موقفه صدِّي أمينًا لصوت النَجفِ الأشرف، وأداءً صادقًا للمسؤولية الشرعية التي نذر لها روحه.

ومن هذا المنطلق، نهض وكلاء المرجعية الدينية العليا ومعتمدوها في مختلف المدن العراقية للاضطلاع بمهمة تثقيف الناس وتوعيتهم بأهمية المشاركة في رسم مستقبلهم، وكان في طليعتهم الشيخ الشهيد محمود المدائني (رضوان الله عليه)، الذي حمَّل نفسه مسؤولية شرعية وتاريخية تجاه أهله وبلده.

في خطابه، كان يُبين للناس أن المشاركة في الانتخابات ليست مجرد خيارٍ سياسي، بل هي واجبٌ شرعيٌّ ووطنيٌّ، ومحطةٌ مفصليةٌ لتثبيت الهوية الدستورية للشعب العراقي، وفرصةٌ لانتزاع القرار من براثن الاحتلال والإرهاب، وأن المقاطعة نوعٌ من التفريط بالحق، وفسخٌ للمجال أمام أعداء الوطن والدين. وكان يُدرك أن هذه المشاركة ليست سهلةً في قضاء كـ المدائن، كانت تميزه التهديدات، وتحاصره فتن الطائفية، وتُهيمن على بعض مناطق جماعات إرهابية لا تقيم وزنًا للحياة ولا للناس.

كان سماحته يتابع بكل اهتمام ودقة كل ما يصدر عن المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف من بياناتٍ وتوصياتٍ حول الانتخابات، لا سيما الفتاوى والدعوات التي صدرت لحث الناس على المشاركة الفاعلة، وكان يدرسها ويحلِّلها، ثم يعرضها للناس على منبر الجمعة وفي اللقاءات العامة والخاصة، مُبينًا أن المشاركة في الانتخابات تمثل واجبًا شرعيًا ووطنيًا في ظل تلك الظروف، وأن الصمت أو المقاطعة يعني التفريط بالحقوق وترك الساحة للأعداء.

واجه الشيخ المدائني ظروفًا معقدة، فقضاء المدائن (الذي كان يغلب على سكانه التنوع الديموغرافي) كان مسرحًا لصراع طائفيٍّ وأمنيٍّ، وقد تبنَّت التَّنظيمات

الإرهابيَّة وعلى رأسها تنظيمُ القاعدة خُطَّةٌ مُحكمةٌ لمنع النَّاسِ مِنَ الذَّهابِ إلى صناديقِ الاقتراع، حتَّى بلغَ بهمُ الإجرامُ أن يهدِّدوا النَّاسَ علناً بقطعِ أصابعِهِم إنَّهم شاركوها في التَّصويتِ.

ولم يكنِ الشَّيخُ يُلقِي الكلامَ مِنْ بُعْدٍ، أو يصمْتُ أو يَتَغاضى فهو لم يخضع، ولم يُبدِ تردِّداً، بل رفعَ صوتهُ عالياً وقالها صريحةً مدويةً: «سأشاركُ في الاستفتاء حتَّى وإنَّ كانَ الصندوقُ مُلغماً»، ثمَّ أردفها بإصرارٍ يعبقُ باليقينِ والفخر: «أنا أوَّلُ من سيذهبُ للمشاركةِ في الانتخابات». كالترامِ فعليٌّ على الأرضِ.

وفي نهاية عام ٢٠٠٤ ميلادية، وعند دعوة آية الله العظمى السيِّد السيستانيّ (دام ظلُّه) للمشاركةِ الفاعلةِ بالانتخابات، باعتبارِ أنَّ تلكَ الانتخاباتِ سوفَ يتمخِّضُ عنها كتابَةُ الدُّستورِ العراقيّ، شرعَ الشَّيخُ بتوزيعِ الأشخاصِ المقرَّبينَ منه على قضاءِ المدائنِ للبدءِ بثقيفِ النَّاسِ بأهميَّةِ الانتخاباتِ رغمَ احتمالِ تعرُّضهم للقتلِ. ويروي أحدُ أصدقائه قائلاً: خرَّجنا مع الشَّيخِ كي نحث النَّاسَ على المشاركةِ في الانتخاباتِ في منطقةِ الجعارةِ والورديةِ، وكانت سيارتُنا هي الوحيدةُ في الشارعِ، لانحَمَلُ معنا سوى بندقيَّةِ آليَّةٍ واحدةٍ فقط للدِّفاعِ عن أنفسنا فيما لو تعرَّضَ الإرهابيُّونَ لنا.

تحوَّلَ مُصلَّى الرسولِ الأعظمِ ﷺ إلى واحةٍ وعيٍ وسَطَ اللَّهيبِ، تُعقدُ فيه اللقاءاتُ والدوراتُ التثقيفيَّةُ، وإلى مركزٍ حيويٍّ في المدينة، تُقامُ فيه الدَّوراتُ التثقيفيَّةُ، وتُلقى المحاضراتُ الانتخابيَّةُ، وتُنقَلُ فيه توجيهاتُ المرجعيَّةِ الدينيَّةِ، وتُوزَّعُ فيه القوائمُ الانتخابيَّةُ، رغمَ ما وصله من تهديداتٍ مباشرةٍ من تنظيمِ «أنصارِ السُّنة» الإرهابيِّ. كان يُديرُ المشهدَ بنفسه، ويشرفُ على التنسيقِ مع وكلاءِ البطاقةِ التموينيَّةِ لتسهيلِ توزيعِ القوائمِ، في ملحمةٍ تحدُّ تُسجَلُ للأحياءِ والشَّهداءِ معاً.

وفي يومِ الانتخاباتِ وبعدَ استشهادِ الشَّيخِ محمود (رضوان الله عليه) يروي أحدُ أصدقائه قائلاً: كان من الواجب علينا أن نذهبَ ونحشدَ النَّاسَ مِنْ أَجلِ المشاركةِ،

وكان مركز قضاء المدائن وطريق الكوت - بغداد تحت سيطرة العصابات الإجرامية لكن ذلك لم يمنعنا من الذهاب إلى المركز الانتخابي في ناحية جسر دياي التابع لقضاء المدائن والمشاركة وسط ظروف أمنية قاسية وصعبة.

وقد بلغ الإرهاب في غطرسته أن صادر كل القوائم من الوكلاء في القضاء، إلا امرأة مؤمنة اسمها فضة الشهيدة التي رفضت الخضوع، والانصياع، فدعت موقفها الثابت من دمه، واستشهدت، وارتقت إلى الله شهيدة الموقف والإباء.

ثم جاءت الضربة الكبرى في محاولة لقتل المشروع برُمته باغتيال الشيخ المدائني نفسه الذي طالته يد الغدر، فبيل الانتخابات بفترة وجيزة، في محاولة لاغتيال الوعي قبل أن يبلغ الصندوق، وترهيب الناس ومنعهم من التوجه إلى صناديق الاقتراع، حتى لا تصل أصابعهم إلى الحبر فارتقى شهيداً قبل الانتخابات (طيب الله ثراه).

لكن الدم لم يسكت الصوت، بل أججه. لم يسكت الكلمة، بل أشعلها، خرج الناس ورافق الشيخ، وتلامذته، وأحباؤه يوم الاقتراع لإكمال المسيرة، مشاة وراكبين، يحملون رسالة الشيخ وإرثه، ومعاهدين دمه الزاكي أن لا يذهب هدراً، ويرددون قسمة، ويسقون صناديق الاقتراع من دمه الطاهر، لا بالحبر وحده.

وكان ذلك اليوم، يوماً من أيام الله.. يشهد فيه الصندوق لدم الشهداء، لا لحبر الأصابع.

رأيه في الاستفتاء على الدُّستور

في عام ٢٠٠٣، بينما كان العراقُ يَنْزِفُ جِراحَ الاحتلالِ، انفجَرَ الجدُّ كبركانٍ حولَ محورٍ مصريٍّ: كيفَ يُكْتَبُ دستورُ البلادِ؟ أعلنتُ سلطاتُ الاحتلالِ تشكيلَ «مجلسٍ مُعَيَّنٍ» لصياغةِ الدستورِ، وكأنَّها تُمسِكُ بمخاضِ تاريخِ العراقِ بيدٍ من حديدٍ. لكنَّ مرجعيةَ النجفِ الأشرفِ، بقيادةِ السيِّدِ السيستانيِّ (حَفِظَهُ اللهُ)، رأتَ في ذلكَ مؤامرةً لسرقةِ إرادةِ الشعبِ.

تحرَّكَ وكلاءُ المرجعيةِ في المدنِ كُنُسورٍ تحمي عُشَّ السيادةِ: الشيخُ المدائنيُّ في المدائنِ حولَ خُطْبِ الجُمُعَةِ إلى مَنصَباتٍ تُفجِّرُ الوعيَ: «الدستورُ ليسَ ورقةً تُملَى علينا، بل هو رُوحُ أجدادنا تُنادينا: «لا تُفَرِّطُوا في أصواتكم».

والشيخُ الكربلائيُّ أطلقَ إنذارًا كالرعدِ: «سُئِلَ إضرابًا عاِمًا يُطَيِّحُ بِخُطَطِ المُحتلِّ إن لم تُجرَ الانتخاباتُ».

كانتَ بياناتُ المَراجعِ، شَرارةٌ أشعلتْ ثورةً سلميةً، في ١٤ نيسانَ ٢٠٠٤م تدفُقُ أكثرَ من مئةِ ألفِ مُتظاهِرٍ في شوارعِ بغدادَ كنهرٍ بشريٍّ يَهْدِرُ: «نعمَ للانتخاباتِ.. لا للتعيينِ».. مشهدٌ أسكتَ العالمَ: شيوخٌ عاجزونَ، شبابٌ، نساءٌ.. جميعُهُم يصرخونَ بدمٍ واحدٍ: «السَّيِّستانيُّ صوتُ العراقِ».

حتَّى الأممُ المتحدةُ ارتبكتْ أمامَ إرادةِ كَجبلٍ لا يَنكسرُ. تحوَّلتِ المظاهراتُ إلى زلزالٍ سياسيٍّ غيَّرَ مَسارَ التاريخِ: أُلْغِيَ مجلسُ التَّعيينِ، ووُقِعَ على إجراءِ انتخاباتٍ عامَةٍ. انضمَّ مراجعُ النجفِ الأشرفِ إلى السيِّدِ السيستانيِّ كسُورٍ منيعٍ يُدافعُ عن شرعيةِ صناديقِ الاقتراعِ.

في قلبِ هذهِ العاصفةِ، كانَ الشيخُ الشَّهيدُ حلقةَ الوصلِ الحَيَّةِ يُنظِّمُ شبابَ المدائنِ لنقلِ المُحتجِّينَ إلى بغدادَ بسياراتٍ مُتهالكةٍ، ويُحوِّلُ فتاوى المرجعيةِ إلى شِعاراتٍ تُلهبُ حماسَ المواطنينِ.

معركة الدستور كانت ولادةً جديدةً للعراق، وصارَ الدستورُ لاحقاً ضريحاً مكتوباً يحملُ دماءَ الشهداء الذين سقطوا في المظاهرات. «سقطت دباباتهم.. وانتصرت دمعهُ أرملةٌ خرجت تطلبُ حقَّ ولدها في دستورٍ حرٍّ.. تلك هي المعجزةُ العراقية».

لم تكذَّ تهديداً أصداءُ مظاهرة بغداد، حتَّى خرجَ في البصرة نصفُ مليونٍ مُتظاهِرٍ كبحرٍ يغلي بالغضبِ المُقدَّس، كانت رسالتهم كالصاعقة: «الانتخاباتُ الحرةُ أو سنحوّل الجنوبَ إلى بُركانٍ يلفظُ أحلامكم».

وفي شباط ٢٠٠٤، وبينما كان العالمُ يُناقشُ مصيرَ العراق في نيويورك، استقبلَ وكلاءُ السيّد السيستاني وفدًا من عشائر الرميثة (حيثُ انطلقت شرارةُ ثورة العشرين).

وبينما كانت العيونُ على البصرة والنجف، كان الشيخُ الشهيدُ في المدائن: يُنظّمُ حلقاتَ شبابٍ ينقلُ لهم توجيهاتِ المرجعيةِ الرشيدةِ ومواقفها.

في الأيامِ الأخيرة قبل استشهاده، تحوّل الشيخُ محمودُ المدائني إلى نهرٍ يجرفُ الخوفَ من قلوبِ أهالي المدائن كان يطوفُ الأزقةَ المظلمةَ ويُناشدُ الناسَ:

«هذه الورقةُ ليست حبراً بل دماءُ شهدائنا المُجمّدةِ التصويتُ بـ«نعم» هو انتصارٌ لروح الحسين (عليه السلام) فينا!»

في سُرَاديبِ الخوفِ، حيثُ كانت الجماعاتُ الإرهابيةُ تُهدّدُ بقطعِ أصابعِ المُصوّتين، جمَعَ الشبابُ قائلاً: «إذا قُطعتْ أصابعُكم، صوّتوا بأقدامكم! فالدستورُ سيحمي أطفالكم من أن يُصبحوا أشلاءً مثلكم».

قبلَ أشهرٍ قليلةٍ من يومِ الاستفتاء، وفي ليلةِ ١٢ كانون الثاني ٢٠٠٥، اختطفَ الظلامُ صوتَ الشيخِ الشهيد. اغتالته أيادُ مُجرمةٍ لأنه: كشفَ في خطبه كيفَ أنّ «نعم» للدستور تعني «لا» للاحتلال والإرهاب معاً.

كان يخاطبُ للتكفيريينَ في وجههم: «ستقتلونني.. لكنَّ كلمتي ستولدُ من جديدٍ في صناديقِ الاقتراع». استشهدَ قبلَ أن يُدليَ بصوته، لكن دمه صوتُ ألفِ مرَّةٍ.

يومَ الاستفتاء، حَدَثَ ما لم تتوقعه: أرملةٌ خرجتْ باكيةً، وضعتْ «نعم» في الصناديقِ قائلَةً: «هذا صوتُ من الشيخِ محمودٍ.. نُهديه لِمَن قتلوه». وشابُّ يُلوحُ بصورةِ الشيخ: «لقد علمني أنَّ الأملَ أقوى من كلِّ سلاحٍ». لم يُشاركِ الشيخُ في التصويتِ جسدياً، لكنَّ روحَهُ حضرتْ في كلِّ صندوقِ اقتراعٍ.

وحينَ أُعلنتِ النتائجُ، رفعَ الشيخُ الكربلائيُّ يديه داعياً: «اللهم اجعل هذا الدستورَ فاتحةَ خيرٍ لشعبٍ قدَّم الشهداءَ قرباناً لهُ».

واليوم، عندما تُقرأ المادةُ (١٥) من الدستورِ التي تنصُّ على أنَّ: «لكلِّ فردٍ الحقُّ في الحياةِ والأمنِ والحريةِ، ولا يجوزُ الحرمانُ من هذه الحقوقِ أو تقييدها إلاَّ وفقاً للقانون، وبناءً على قرارٍ صادرٍ من جهةٍ قضائيةٍ مُختصةٍ»، سيستذكرُ الجميعُ كيفَ رحلَ الشيخُ المدائني قبلَ أن يضعَ ورقتهُ في الصندوق.. وكيفَ تحوَّلَ دمه المسفوكُ على أرصفةِ المدائن، إلى حبرٍ يكتبُ: «نعم» بأحرفٍ من نورٍ لا تمحوها رياحُ الخيانةِ.

الفصل الرَّابِع

من مناقب الشَّهيد ﷺ

كَانَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْمَدَائِنِيُّ مِثَالًا حَيًّا لِلرُّوحِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْأَصِيلَةِ: وَوَاعِظًا بِالْحَسَنِ، وَمُصْلِحًا لَا يَصْطَدِّمُ، وَمُرَبِّيًا يَزْرَعُ الْكَلِمَةَ كَمَا تُزْرَعُ الْبَذْرَةُ فِي أَرْضٍ عَطَشَى. فِي زَمَنِ كَانَتْ فِيهِ الْفِتْنُ تَتَكَاثَرُ، وَالضَّبَابُ يَخِيَّمُ عَلَى الْمَفَاهِيمِ، اخْتَارَ الشَّيْخُ أَنْ يَكُونَ نُورًا هَادِيًا لَا صَاحِبًا، وَأَنْ يَمْشِيَ بَيْنَ النَّاسِ لَا فَوْقَهُمْ، وَأَنْ يُعِيدَ لِلدِّينِ صُورَتَهُ الرَّحِيمَةَ الْعَاقِلَةَ، دُونَ أَنْ يَتَنَازَلَ عَنِ الثَّبَاتِ وَالْمَبْدَأِ.

هَذِهِ الْقِصَصُ لَا تُنْقَلُ هُنَا بِوصفِهَا مَوَاقِفَ مَنْ الْمَاضِي فَحَسْبُ، بَلْ بِوصفِهَا نِمَاجَ حَيَّةٍ لِمَا يُمْكِنُ أَنْ تَصْنَعُهُ الْكَلِمَةُ الصَّادِقَةُ، وَالْمَوْقِفُ النَّزِيهُ، وَالرُّؤْيَا الْوَاعِيَةُ. هِيَ شَوَاهِدٌ عَلَى أَنَّ رَجُلًا وَاحِدًا، إِذَا صَدَّقَ مَعَ رَبِّهِ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَغَيِّرَ الْكَثِيرَ... مِنْ دُونِ صَخْبٍ، وَمِنْ دُونِ سُلْطَةٍ.

الْكَلِمَةُ الَّتِي غَيَّرَتِ الطَّرِيقَ

فِي ذَاكِرَةِ أَهْلِ الْمَدَائِنِ، تُرَوَّى قِصَّةٌ بَسِيطَةٌ، لَكِنَّهَا تَشْبَهُ الْمِفْتَاحَ الَّذِي يَفْتَحُ أَبْوَابًا كَثِيرَةً مِنَ الْمَعَانِي.

كَانَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْمَدَائِنِيُّ يَنْتَمِي إِلَى عَائِلَةٍ رَيفِيَّةٍ مُؤْمِنَةٍ، تَعْمَلُ فِي الزَّرَاعَةِ وَتَرْبِيَةِ الْمَوَاشِي، كَمَا هُوَ حَالُ كَثِيرٍ مِنَ الْعَوَائِلِ الْبَسِيطَةِ فِي أَرْيَافِ الْعِرَاقِ.

وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ، أُصِيبَتْ بَعْضُ الْمَوَاشِي بِعَارِضٍ صَحِيٍّ، فَاسْتُعِينَ بِطَبِيبَةٍ بَيْطَرِيَّةٍ -كَانَتْ مِنْ أَبْنَاءِ الْعَامَةِ- جَاءَتْ لِلْكَشْفِ عَلَى الْحَالَةِ، قَبْلَ مَوْعِدِ الْغَدَاءِ. وَلِأَنَّ أَهْلَ الشَّيْخِ مَعْرُوفُونَ بِكَرَمِهِمْ، دُعِيَتِ الطَّبِيبَةُ إِلَى الْمَائِدَةِ.

وفيما الجميعُ يستعدُّ لتناولِ الطعام، رفعَ الشيخُ صوتهُ متعمِّداً من غرفة مجاورة، وكأنه في حوار مع أحد أفراد أسرته قائلاً:

«طبيبة ممتازة... مظهرها يوحي بأنها مهيبة، وأخلاقها عالية... ولا ينقصها إلا أن تتوجَّ كلَّ ذلك بحجاب، يزيدها وقاراً. يا ليتها تدركُ ذلك.»

لم يُوجَّه كلامه إليها مباشرة، لكنها سمعته بوضوح. ولم ترد. ولم يُعلق أحد. ومَرَّ الموقفُ كأنه عابرٌ... لكنَّه لم يكن كذلك.

بعدَ سنين، التقتُ هذه الطبيبةُ بأحدِ أشقاءِ الشيخ، في مناسبة اجتماعية، وسألته عن العائلة، ثمَّ قالتَ له بشيءٍ من التأثر:

«لا أنسى ذلكَ اليومَ حينَ جئتُ إلى مزرعتكم دونَ حجاب، وما سمعته من أخيك الشيخ، والله، من يومها لم أخلع حجابي، وما زلتُ حتى اليوم.»

كانتِ الطبيبةُ من مذهبٍ آخر، لكنها لم تجد في كلمات الشيخ تعصباً، ولا إكراهاً، بل صدقاً هادئاً، وغيرَةً شفافةً، واحتراماً لمكانتها قبلَ نصيحها.

بهذه العبارة العابرة، مارسَ الشيخُ أمراً بالمعروفِ لا جرحَ فيه، ونهياً عن المنكرِ لا استعلاء فيه.

لم يصرخ، لم يُعنّف، لم يهاجم. بل قدّم صورةً لما يجب أن يكونَ عليه أتباعُ مدرسة أهل البيت عليه السلام: غيرُونَ على العِفَّة، حريصُونَ على الكرامة... لكنهم هادئون، صادقون، لا يُفرِّقون بينَ امرأةٍ وامرأةٍ، ما دامتِ الحرَّةُ حرَّةً.

لقد بيّنَ هذا الموقفُ أن الخطابَ الإسلاميَّ الأصيلَ لا يحتاجُ إلى منبرٍ دائماً، ولا إلى بيانٍ مكتوب، بل يكفي أن يكونَ صاحبه ثابتاً على ما يؤمنُ به، صادقاً في غيرته، نظيفاً في أسلوبه. وحينئذٍ... قد يتغيَّرُ الآخرونَ من حيث لا يتوقع.

موقفه من الدَّعوات المنحرفة

يروى أحدُ أصدقاء الشيخ الشهيد أنهم في أثناء زيارة استشهد الإمام العسكريِّ (عليه السلام). في ٨ من ربيع الأول ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م، قائلاً: « كنا معه في العتبة المقدسة، ودخل أناسٌ من أتباع المتمرّج الصرخي. وبدأوا بتوزيع الأوراق والصور التي تدعو له، وكان تعليقُ الشيخ على هذا الموقف أنه وصفه بالشخص المنحرف، مؤكداً أننا سنلمس ذلك قريباً، وأوصانا بعدم الالتفات لما يقوله هؤلاء المنحرفون، وعدم الاكتراث بهم مهما بلغت أعدادهم من الكثرة.

عِمامةٌ بحجم التَّضحية

يروى الأستاذ عدنان دروش، الصديق المقرب والأخ الروحي للشيخ محمود المدائني، أنه بعد استشهد الشيخ، وانتقاله للسكن في بغداد، رأى رؤياً لا تزال محفورة في ذاكرته لا تغيب. قال: رأيتُ أنَّ الشَّيخ محمود جاء يطرق باب بيتنا القديم في المدائن. فتحتُ الباب... وإذا به واقفٌ، كما عهدته، بوجهه النوراني، بهيئته وهدوئه، فاندفعتُ نحوه بفرح عظيم، لا تصفه الكلمات. كان الشوقُ له عميقاً، غائراً، كأنه لم يُشف حتى بعد استشهاده.

دخلنا إلى المنزل. وفي تلك الأيام، كانت ابنتي مريضةً جداً، وقد قرَّر الأطباء إجراءَ عملية جراحية خطيرة لها. وما إن جلس، حتى نظر إليَّ بعينه الواثقتين، وقال بكلماته الهادئة التي تعرف كيف تُطمئن القلب: «لا تخف... ولا تهتم. ابتك بخير. لا تقلق.» هدأت نفسي، وجلستُ أتحدثُ معه، نملأُ اللحظة بكلماتٍ صغيرة ومعانٍ كبيرة، كما كان يفعل دائماً. لكن شيئاً غريباً لفت نظري: العِمامة التي على رأسه... كانت ضخمة، كبيرة جداً، تفوق الحجم المألوف كثيراً. سألتُه باستغراب: «شيخنا... لماذا عِمامتُك بهذا الحجم؟ فابتسم ابتسامته التي أعرفها، ثم قال: «منذ

تاريخ استشهادي، في كلِّ سنةٍ، يقومُ سماحةُ السيِّد عليِّ الحسينيِّ السيستانيِّ (دامَ ظلُّه) بوضعِ عِمامةٍ أكبرَ على رأسي... حتى صارتُ بهذا الحجم الذي تراه.»

استيقظتُ من المنام، وعيناي تدمعان، وقلبي يختلجُ بشيءٍ لا أعرفُ له اسمًا... لكنه كانَ يقينًا. في منطقِ الحوزة، العِمامةُ ليستُ لباسًا، بل رايةٌ مسؤوليّة، وشارةٌ علم، وتاجُ جهادٍ، وكلّما عظمتِ العِمامةُ، دلَّ ذلكَ على مقامٍ أرفع، ومكانةٍ أقربَ في عالمِ القربِ والجزاءِ.

أمّا أن يكونَ سماحةُ السيِّد السيستانيِّ (بنفسه) هو من يُكبِّرُ العِمامةَ عامًّا بعدَ عام... فذلكَ رمزٌ لا يفهمُ إلا في سياقِ الرِّضا الكاملِ من المرجعيةِ العليا، لا عن دمِ الشيخِ فحسب، بل عن خطِّه، ونهجه، وطريقه.

كانتِ الرؤيا، بكلِّ بساطتها، إعلانًا هادئًا من السَّماء: أنَّ من يُخلصُ في الأرض... تعلقو عِمامتهُ في السَّماءِ.

في زمنِ الفوضى.. موقفٌ لا يُشترى

في ربيعِ عام ٢٠٠٣، حينَ سقطَ النظامُ وارتفعتْ غبرةُ الفوضى، انهارتْ مؤسساتُ الدولة، وغابتِ السلطةُ، وخرجَ الناسُ ينهبونَ ما يقعُ تحتَ أيديهم: مؤسساتٌ، مستشفياتٌ، معاملٌ، حتى بيوتِ الآخرين... واشتهرَ في العراقِ آنذاك مصطلحُ «الحواسم»، وصارَ النهبُ في أعينِ البعضِ «غنيمةً»، و«حقًا مسلوبًا»، و«فرصةٌ لا تُعوَّضُ».

وفي وسطِ هذا الانهيارِ الأخلاقيِّ، علا صوتٌ مختلفٌ. كانَ صوتُ الشيخِ محمودِ المدائنيِّ... لا يصرخُ، لكنه لا يسكتُ. لا يهاجمُ الناسَ، لكنه يضعُ لهمُ ميزانًا واضحًا لا يحتملُ التواء: «إذا دعاكم أحدٌ إلى بيته، وأنتم تعلمونَ أنَّه استولى على مالٍ عامٍّ... فأخبروني. حتى لا أستجيبَ لدعوته، وسأكلّمه مباشرةً.» كانتِ

كلماته لا تُشبهُ المواقفَ الرمادية.

ينقلُّ أحدُ أصدقائه أنه قد قُدِّمت له من أحد الموجودين عباءةٌ جديدةٌ، فلم يلبسها وأعطاهَا في اليوم نفسه لأحد الفقراء.

رفضَ الشيخ المجاملةَ في بيتٍ جُهِّزَ بمسروقاتٍ، أو طُلِيتَ جدرانهُ بمالٍ نُهَبَ من خزائن الدولة.

لم تكن تلكَ تعليماتٍ ظرفية. بل كانت ثابتةً دائمةً مبنيةً على مواقفٍ مبدئية.

كان يرى في القبولِ دعوةً للفوضى، وفي المجاملةِ تزكيةً للحرام، وفي التغاضي تبريراً للانحراف.

وكان يؤمنُ أنَّ المجتمعَ لا يُبنى على أعمدةٍ من المالِ المسروقِ، ولا تُقامُ فيه العدالةُ على أساسٍ من الفسادِ.

لم يكتفِ بالتحذيرِ بينهُ وبينَ خواصِّه، بل صعدَ منبرَ الجمعةِ، وجعلَ من هذا الجرحِ حديثاً دائماً.

كان يخطبُ قائلاً: «المالُ العامُّ أمانةٌ... والاعتداءُ عليه ظلمٌ، لا تبرُّرهُ الظروفُ، ولا تُسقطُهُ الشُّعاراتُ». أرادَ أن يعلمَ الناسَ أنَّ الأخلاقَ لا تسقطُ بسقوطِ الأنظمةِ، وأنَّ الفتنَ لا تبرُّرُ الحرامَ، وأنَّ المؤمنَ يُعرفُ في مثل هذهِ المحنِ، لا في الهدوءِ فحسبَ وهكذا، لم يكنِ الشيخ يطلبُ مستحيلاً، بل يُذكِّرُ بما غابَ في الزَّحامِ: أنَّ الموقفَ النُّظيفَ، في زمنٍ يتسخ فيه كلُّ شيءٍ... هو أثمنُ من الذهبِ.

دفاعاً عن التعايشِ وتثبيتاً للشرعيةِ

بعدَ سقوطِ النظامِ النافقِ عامَ ٢٠٠٣، وحين كان العراقُ يغلي على وقعِ الفوضى، دخلتُ مدينةَ المدائنِ في اختبارٍ خطيرٍ من اختباراتِ الفتنة. فقد جاء رجلٌ

معهمَّ منتَم إلى أحدِ الأحزابِ الشَّيعية، يصحبُهُ رتلٌ منَ السياراتِ، ومعه رجلٌ دينٍ وناشطونٌ حزبيُّونَ، واتَّجهوا جميعًا نحوَ مرقِدِ الصحابيِّ الجليلِ سلمانِ المحمديِّ (رضوانَ اللهِ عليه) في محاولةٍ للسيطرةِ عليه.

كانَ الهدفُ المُعلنُ: «إدارةُ المزارِ باسمِ الطائفة». لكنَّ الأسلوبَ الذي سلكوه فجَّرَ الغضبَ في القلوبِ: طُرِدَ القائمونَ السابقونَ -وهم منَ أبناءِ العامَّةِ التابعينَ لوزارةِ الأوقافِ- ونُصبتْ صورٌ داخلَ الضريحِ، وقيلتْ كلماتٌ لم تكنْ موفقةً، فأثارَ ذلكَ موجةً استياءٍ شعبيٍّ شديدٍ. كادَ الناسُ أن يتقاتلوا. السَّلاحُ بدأ يُعدُّ في الخفاءِ، والغليانُ في الأزقة، والطرفانِ على شفا حفرةٍ منَ نارِ الطائفية.

في تلكَ اللَّحظةِ الحرجة، لجأَ القائمونَ على المزارِ إلى الشيخِ محمود المدائنيِّ، في مصلَّى الرِّسولِ الأعظم، يستجدونَ بحكمته، ويعولونَ على مكانته. فما تردَّدَ لحظةً. نهَضَ بنفسه، وتوجَّهَ إلى الرجلِ المعمم، وجلسَ معه في لقاءٍ طويلٍ متوترٍ، محاولاً احتواءَ الأزمةِ قبلَ أن تنفجرَ.

لكنَّ الرجلَ بدأ كلامَهُ بادِّعاءٍ كبيرٍ: «أنا مكلفٌ منَ سماحةِ السيِّدِ السيستانيِّ بإدارةِ المزارِ. وأنتَ أضعفتَ دورَ الشيعةِ في المدائنِ... ولستَ معتمدَ المرجعيةِ أصلاً لمَ ينفعلِ الشيخُ.

بلُ ردَّ بباتٍ لا يخلو منَ عتبٍ، وقالَ: «إنَّ أردتَ الصَّلَاةَ، فبابُ مسجدِ الرِّسولِ الأعظمِ مفتوحٌ لك... لكن اتركْ هذا الأسلوبَ الاستفزازيَّ، فهو لا يُرضي أحداً، ويؤذي الشيعةَ قبلَ غيرهم. الوقتُ ليسَ وقتَ استعراضٍ، بل وقتَ حكمةٍ.»

وبقوةِ منطقهِ وثباتِ موقفهِ، استطاعَ أن يفرضَ التراجعَ. انسحبَ الطرفُ المقابلُ بهدوءٍ، وانطفأتْ نارُ كانتَ على وشكِ الاشتعالِ، من دونِ إطلاقِ رصاصةٍ، ولا صعودِ منبرٍ... بل بموقفٍ واثقٍ. لكنَّ الشيخَ لم يكتفِ بذلكَ.

بلُ أرادَ أن يثبتَ شرعيَّتَهُ علناً، ويقطَعَ بابَ الشُّكوكِ والافتراءاتِ وهو الذي نال

التزكية كمعتمد للمرجعية من الشيخ العلامة باقر القرشي (قد) ففي اليوم التالي، شكّل وفدًا رسميًا، وتوجّه إلى النجف الأشرف، حيث التقى الوفدُ بسماحة السيد محمّد رضا السيستاني (دام ظلّه)، نجل المرجع الأعلى.

وهناك، قيلت الكلمة الفصل: «الشيخ محمود المدائنيّ هو معتمدنا في قضاء المدائن». عاد الوفدُ، وانتشر الخبرُ، وثبت موقعُ الشيخ في أعين الجميع، لا كخطيب ولا كعالم دين فحسب، بل كمرجعية ميدانية، تحفظُ التعايش، وتفهمُ حساسية المرحلة، وتديرُ الموقفَ بحكمةٍ واستقلالٍ.

لقد أثبت الشيخ يومئذٍ أنّه لا يُشترى باسم المرجعية. ولا يُسكّت بصوت الحزبية. وأنّ وحدة المدائن، بُسّتها وشيعتها، أقدس عنده من كرسيٍّ أو صورة. كان يدرك أنّ شرعية المنبر لا تأتي من فوق، بل تُتزع من احترام الناس، ومن رضا المرجعية حين تُسأل لا حين تُزج في كل صراع.

إصلاح بالدعوة لا بالتصادم

حين دخل الشيخ محمود المدائنيّ إلى بعض قرى الريف، لم يكن يحمل معه خطاباً تقليدياً، ولا نبرةً سلطويةً. بل جاء وفي جعبته مشروع إصلاح متكامل، يبدأ بتقويم العادات التي لا تنسجم مع تعاليم أهل البيت (عليه السلام)، ويصل إلى بناء وعي ديني وثقافي راسخ في النفوس. لم يأت ليصطدم بعادات الناس، بل ليُقنّعهم بالتي هي أحسن.

بدأ عمله بهدوء وثبات، يتلمّس الممارسات الشائعة، ويعرضها على ميزان الشريعة. ومن أوّل ما واجهه، كان انتشار الحفلات التي تختلط فيها الموسيقى بالرقص في الأعراس والمناسبات الاجتماعية، مثل حفلات «الچوبي» و«المطبق». لم يرفع صوته، ولم يشتدّ على الناس، بل حدّثهم بلهجة الأب المشفق، وبين لهم أنّ

الفرح الحقيقي هو ما يُرضي الله، وأنَّ كرامة العرس لا تُصانُ إلا بطهارة المجلس. وبفضل حكمته وتأثيره الروحيِّ، بدأت هذه المظاهر تتلاشى، شيئاً فشيئاً، بلا ضجيج، ولا صدام. ثمَّ التفتَ إلى مسألة الحجاب، فلم يطرَحها كشكلٍ خارجيٍّ فحسب، بل كهويَّة وقيمة.

كان يخاطبُ الأمهاتِ والبناتِ بلطفٍ، ويربطُ الحجابَ بعفة الزهراء (عليها السَّلام). ومع الأيام، بدت علاماتُ التغيير واضحةً في لباسِ النساءِ وسلوكِ الفتياتِ، لم تحتِ الإكراه، بل بفهمٍ ومحبة. وإلى جانب الإصلاح الاجتماعيِّ، أطلقَ الشيخ دوراتٍ فقهيةً وعقائديةً استهدفتُ فئةَ الشَّبابِ والناشئة.

علَّمَهُم فيها مبادئ الدين، وفقه الصلاة، وأصول التشيع، بأسلوبٍ مبسَّطٍ جعلَ الدينَ محبوباً وسهلاً، لا ثقيلاً ولا معقداً.

ولأنَّه أدرك طبيعة الشَّبابِ، وحاجاتهمُ العاطفية والاجتماعية، لم يغفلَ عن دعوة المتردِّدينَ منهم إلى الزواج، فكان يسعى بنفسه لتقريبِ وجهاتِ النظرِ بين العوائل، ويخفِّفُ من المهور، بل يساعدُ المتزوِّجينَ الجددَ بما يستطيعُ، من خلالِ علاقاتِهِ الواسعة.

وهكذا، أصبحَ كثيرٌ من الشَّبابِ ينظرونَ إليه كأبٍ يُرشِدُهُم إلى الطريقِ، لا كواعظٍ يُناديهِم من بعيدٍ. كان حضورُهُ في القرى هادئاً... لكنَّهُ كان عميقاً.

لا يهدِمُ المجتمعَ لبنينه من جديدٍ، بل يُعيدُ تشكيلَهُ من داخلِهِ، بالحكمة، والصبر، والمحبة.

لا تزكية للظالمين

بعد سقوط النظام المجرم عام ٢٠٠٣، وبينما كان المشهد العراقي يتقلَّب في زوايا التغيير، خرج من ركام الماضي بعض الوجوه القديمة...

رجال كانوا بالأمر من أعمدة حزب البعث، من شيوخ عشائر ووجهاء ومنتفعين، يعودون اليوم بلباس جديد، يبحثون عن فتحة ينفذون منها إلى زمن لا يشبههم.

كانوا يعلمون أن الناس لم ينسوا، وأن الأيدي المملَّخة لا تُغسل بسهولة... فبدأوا يبحثون عن يمنحهم «الشرعية» أمام المجتمع، ويبيض صفحاتهم السود، ولو بكلمة. وكانت أعينهم على الشيخ محمود المدائني.

لم يكن اختيارهم عبثاً. فالرجل له مكانة دينية واجتماعية عريضة، وكلمته مسموعة، وسيرته نقيّة كصفحة ماء. وكانوا يظنون - أو يتمنون - أنه قد يقبل، مراعاة للعرف، أو دفعاً لشر، أو تحت ضغط المجاملات.

لكنهم واجهوا جداراً لا يلين. قالها الشيخ بصوت لا يعرف الالتواء: «لا أزكي من ساند الظلم، وساهم في إذلال الناس... ولو بكلمة».

رفضه لم يكن تصفية حسابات، ولا رد فعل شخصياً. بل كان موقفاً دينياً أخلاقياً نابعاً من قناعة راسخة مفادها أن من مدَّ يده للبعث، وسكت عن القهر، بل شارك فيه على أي مستوى كان، لا يستحق أن يكافأ بالتزكية، ولا أن يلمع بتوصية.

فالتزكية، عند الشيخ، ليست خطاباً يقال... بل أمانة تُحمَل. وأن يشهد لظالم بنظافة اليد، هو خيانة لدماء الشهداء، ولآهات السجناء، ولمبادئ التوحيد والعدل التي عاش الشيخ لأجلها.

وهكذا، بقي صامداً أمام العاصفة، يذكّر الناس بكلمته الخالدة: «الدين لا يُستخدم لتبييض وجوه الظالمين... والصوت الذي صاح في وجه الطغيان، لا يجوز أن يتحوّل إلى ختم على ورقة».

الرَّاية التي لم تُهَن

في يوم من أيام ما بعد السقوط، وبينما كانت المدائن تلملم جراحها في زمنٍ تتربّص فيه الفتن من كلِّ صوبٍ، قرَّر ثلاثة من الشباب المؤمنين أن يرفعوا راية الإمام الحسين عليه السلام فوق برج البريد في قلب المدينة.

والراية كما هو معلوم هي إعلانٌ ولواءٌ، وصيحةٌ محبةٌ، ورمزٌ لدم لا يزال يُهدرُ في ضمير الأوفياء.

لكن بعدَ يومين، وفي غفلةٍ من الزمن، أقدم بعض شباب أهل العامة على إنزال الرّاية لم تكن الخطوة عبثيةً، بل جاءت ردّ فعلٍ على إشاعة غريبة: «طائرة مروحية أنزلت الراية من جهة ما!»

وهكذا، في مشهدٍ مُلتبسٍ، نُزعت رايةُ الحسين، وتسَلَّلت إلى الأجواء رائحةُ الفتنه.

لم يكن ردُّ الشَّيخ محمود المدائني انفعالياً، بل استقبل وفداً من أبناء العامة جاء يعتذر عما حدث، مؤكّدين أنّ الفعل فردي، وأنهم لا يريدون إشعال فتنة. كان ردُّه موزوناً كعادته، فيه الحزم دون تهوّر، والصدق دون تصعيد.

قال بهدوءٍ حمل ما هو أبلغ من الغضب: (الإمام الحسين عليه السلام هو كفيل بالقصاص ممّن ارتكب هذا الفعل). وفي حين هبَّ بعض الشباب لإعادة رفع الراية، نصّحهم الشَّيخ بالتريث، وقال لهم: «الظروف لا تسمح... الحكمة أن تنتظر.»

لكن الغيرة لا تُكبح بسهولة، فاعترض أحدهم قائلاً: «ولم لا نرفعها؟» فأجابهُ الشَّيخ بكلمة أوقعت في القلوب رجفةً: «لقد رأيتُ في عالم الرؤيا نهاية من أنزل الراية.» وما هي إلا أيّام، حتى دوى انفجارٌ عنيفٌ في أرجاء المدينة. وحين انجلى الغبار، تبين أنّ من أنزل الراية قد قُطعت أشلاؤه بانفجارٍ رمانة يدوية.

بلغ الخبرُ الشَّيخ، فاغرورقت عيناه بالدموع، وتمتم بصوتٍ خافتٍ تخنقه

العبرة: «ألم أقل لكم؟ لقد رأيت نهايتهم»

لكنَّ الحكاية لم تنته بعد.

فالشخصُ الثاني الذي شارك في إنزالِ الراية، أُصيبَ لاحقاً في تدريبٍ لإحدى الجماعاتِ الإرهابية، وانطفأَ بصرُهُ بنارٍ قاذفةٍ أحرقتُ وجهَهُ... وكانت تلك نهايته.

هكذا، حفظتِ السماءُ للرَّايةِ كرامتها، دونَ أن تُسفكَ دماء، ودونَ أن يُشعلَ الشيخ شرارةً تأر.

لقد اختزلَ هذا الموقفُ كثيراً من ملامح الشيخ محمود المدائنيَّ كغيرته على رموزِ أهل البيت عليهم السلام، ورفضه القاطع لأيِّ مساسٍ بها. وحكمته في وأدِ الفتنة، حينَ دعا إلى الصبرِ والتريثِ بدلَ الردِّ بالمثل.

ورأى بورعه وروحهِ الإيمانيةِ العالية، أنَّ ما جرى هو بصمةٌ غيبيةٌ، لكنه لم يستغلها، بل بكى لها. وأنَّ رايةَ الحقِّ لا يُدافعُ عنها بالصَّخَبِ والسَّلاحِ، بل بالتوكُّلِ على الله وأهل البيت عليهم السلام... حتى لو هبَّت عليها العواصفُ.

إطفاء نار المنكر

بعد سقوطِ النظامِ البائد عام ٢٠٠٣، وبينما كانَ الناسُ يحاولونَ التقاطَ أنفاسِهِم من بينِ ركامِ الحربِ والقمعِ، بدأتْ بعضُ الظواهرِ السلبيةِ تُطلُّ برأسِها من فجواتِ الفوضى، مستغلةً غيابَ الدولةِ وتراخي القانونِ.

إحدى تلك الظواهرِ كانتْ بيعُ المشروباتِ الكحوليةِ علناً في الأسواقِ، ولا سيما في المناطقِ الشعبيةِ والمختلطة، في مشهدٍ لم يكنْ يتخيله أحدٌ في مجتمعٍ كـ «المدائن»، المعروفِ بتحفظهِ الدينيِّ والاجتماعيِّ.

لكن الشيخ محمود المدائني لم يُطأطيَّ الرأسَ لهذا المنكرِ، ولم يتعاملْ معه

كأمرٍ واقع. بل صعدَ منبرَ الجمعة، وبنبرةٍ جمعت بينَ الغيرة والحكمة، أعلنها بوضوح: «هذا منكرٌ لا يُقبلُ في أرضٍ يُذكرُ فيها اسمُ الله، ولا في سوقٍ يمر فيه أبناءُ الزهراء» كانت خطبته نارية، نعم... لكنها مسؤولة. لا تحرّض، بل توجه. لا تشتم، بل تُنذر.

دعا النَّاسَ إلى أن يغضبوا لله، لا لأنفسِهِم، وأن لا يسكتوا عن الحرام وقد صار يُباعُ في وَضَحِ النَّهارِ.

وجهَ خطابه للعشائر، ونبّه التجار، والتفتَ حتى إلى أصحابِ المحالِّ أنفُسِهِم، يُذكرهم بعواقبِ هذا الفعلِ، ديناً ودنيا.

كانت ثورته نهضةً وعي. وكان لكلمته من الهيبة ما جعل القلوب تصغي، لا الأذانَ فحسب.

ومع مرورِ الوقت، وبفضلِ الصّدق الذي حملته خطبته، والتأثير الذي زرعه خطابه في النفوس، أُغلقت محالُّ بيعِ الخمر، وعاد الحياءُ إلى مكانه، دون أن تُراقَ قطرة دم، أو تُشعلَ فتنة.

لقد أثبت الشيخ، بهذا الموقف، أن الإصلاح لا يحتاجُ إلى سلطة، بل إلى كلمة صادقة تُلقى من منبرِ الجمعة، فيسمعها الناسُ بقلوبهم قبل آذانهم.

عبرتان بسبب الشعر

يروى أحدُ طلابه: كنتُ شاباً في مقتبلِ العمر، وقد قرّرتُ أن أواكبَ (الموضة) بشعرٍ طويلٍ مرفوعٍ إلى الأعلى بطريقةٍ كنتُ أراها في المرأةِ قمةً الأناقة... وربما كان بعضُ الناسِ يرونها قمةً الجرأة! وذاتَ يوم، التقيتُ الشيخ. رمقني بنظرةٍ هادئةٍ وابتسامةٍ جادة، ثم قال بنبرةٍ لطيفةٍ لكنها قاطعة.

- أنا لا أحبُّ أن أرى أحدًا من جماعتي بهذا الشَّعرِ.

وقبل أن أردّ، تابع بليّن لا يخلو من الحزم:

- اذهب واحلقْ شعركَ

أردتُ أن أتملّصَ، فقلت متصنِّعًا العُسرَ:

- ما عندي فلوسٍ.

كنتُ أظنُّ أنّي خرجتُ من المأزقِ، لكن الشيخَ، ببساطته الذكيّة، قال فورًا:
- اذهب إلى حَسَنِ الحلاقِ، وقل له إن الشيخَ أرسلك، وسيحلقه لك مجانًا.
ضحكتُ ضحكةً باهتةً وقلت له: حاضر، أنا ذاهب إليه.

لكن، بصراحةٍ، لم أذهب. لم أكن مستعدًا للتنازل عن (الستايل) بهذه السرعة،
فالأمُرُ يحتاج إلى وداع يليقُ بشعرٍ «تعبتُ عليه» كثيرًا! ومَرَّتْ الأيامُ... ثم جاء اليومُ
الذي قررتُ فيه أن أمثّلَ. حلقْتُ شعري، وشعرتُ بخفّةٍ في رأسي لا أدري: أهَي
من الحلاقةِ أم من الراحةِ النفسيّة بعد تنفيذِ الأمرِ؟ ذهبتُ إلى بيتِ الشيخ، وكان
عنده رجلٌ معروفٌ من أهلِ المنطقة. دخلتُ مبتسمًا، وقلت له بفخرٍ:

- شيخنا، شفتُ شلون حلقت؟.

- نظر إليّ، ثم مال برأسه قليلًا، وتفحّصني بضحكةٍ لم تكتمل، وقال:

- لا، لا... هذه الحلاقةُ ما زالت تحتاجُ إلى تعديلٍ! خفف أكثر.

ثم التفت إلى الضيف وسأله ممازحًا:

- ما تقول أنت؟ مو يحتاج بعد شوية تخفيف؟

أجاب الرّجلُ سريعًا وهو يهزُّ رأسه:

- بلي، بلي... بعده يحتاج.

ضحك الشيخ من قلبه، ثم ضمني إليه وقبلني بمحبة، وهو لا يزال يضحك.
خرجتُ من عنده في ذلك اليوم وأنا أحمل بين الضحكة والموقفِ درسين لا
أنساهما:

الأولُ أنَّ التواضعَ لا يُعلم بالمواعظِ، بل يُلهم بالمحبة.
والثاني أنَّ الحبَّ الحقيقي يوصل الرسالة، حتى لو كانت عبرَ شعرة!

على ماذا نصليّ إذن

كان مسجدُ الرَّسولِ الأعظم ﷺ في أحدِ أحياءِ المدائنِ المُنهكة، حيثُ الانقطاعُ
الكهربائيُّ صار عادةً، لا استثناءً.

وفي ظلِّ هذا الظرفِ، ومع كونِ المسجدِ يضمُّ مصلىً وجماعةً، وتُقامُ فيه
أنشطةٌ دينيةٌ وتعليميةٌ يومية، جاء بعضُ المصلين إلى الشيخ محمود المدائني،
يحملون اقتراحاً عملياً: « لنمدَّ خطاً كهربائياً من الحيِّ المقابل، فهو أقلُّ انقطاعاً
نحتاجه لصلاة الجماعة، وللبرامج المستمرة »

كان المطلبُ بسيطاً في ظاهره، ومبرراً بلغة الواقع. لكن الشيخ ردَّ بكلمةٍ
أطفت فكرة التمييز من أصلها: « وعلى ماذا يُصلي الناسُ إذن؟ فليبقَ حالنا حالَ
الحيِّ... لا يجوز أن نُميز أنفسنا. »

لم يبحث عن فتوى تُجيز، ولا عن مخرج إداريٍّ. بل رفع ميزان العدالة فوق
كلِّ الاعتبارات، ورفض أن يُرفقه بيتُ الله في حيٍّ تُطفأ بيوتُهُ كلَّ ساعة.

لقد آمن أنَّ التقوى الحقيقية لا تُختبرُ في المواقفِ الكبيرة فحسب، بل في هذه
اللحظات الصامتة التي لا يراها الناسُ... ولكن يراها الله.

وفي موقفٍ آخر، اقترح عليه بعضهم أن تُستخدم «الصفةُ الدينية» للحصولِ

على حصّة من وقود المولدة، عبّر اسم المسجد أو اسمه هو شخصياً، من باب أن الجهات الرسمية كثيراً ما تتغاضى أمام العناوين الدينية.

لكن الشيخ رفض بشدّة، وقال بلهجة لا تحتل التأويل: «لا أقبل أن يُستغلّ اسمي، ولا اسم المصلي، في أمر لا ينالُه الناسُ عامة... إن لم يكن لنا فيه نصيبٌ بالعدل، فلا نأخذُه باسم الدين.» هكذا، علّمهم الشيخ بما هو أبلغ من الوعظ: بصمته، بثباته، وبقدرته على قول «لا» حين تبدو «نعم» أسهل بكثير. علّمهم أن من يستمدُّ النور من الله، لا يطلبه من أسلاك الكهرباء. بل من صدق النية وعدالة القلب.

هداية بلا خصام

كان بيتُ الشيخ محمود المدائني في كثير من الأحيان ساحةً للحوار العميق، ومنبراً للمناظرات الفكرية الهادئة التي جرت بينه وبين عددٍ من المخالفين في العقيدة، من أهل الفكر والثقافة والوجهة.

وكان بعض أولئك الزائرين يطلبون لقاءً بنية النقاش، لا الجدل، مدفوعين ببحثهم الجاد عن الحقيقة. فكان الشيخ يستقبلهم برحابة صدر، ويهيئ لهم بيئة من الاحترام المتبادل، بعيداً عن منطق الغلبة أو الانتصار الذاتي.

في تلك المجالس، لم يكن هناك مكانٌ للصوت المرتفع، ولا لأساليب الإحراج، بل كان الحوار يتسم بالهدوء، ويقوم على البرهان والدليل، ضمن روح أخوة صادقة، وشفافية عالية.

وكان الشيخ حريصاً على أن لا تتحوّل تلك اللقاءات إلى معركة، بل إلى نافذة للتفهم، وبوابة للتقارب. وقد أفضت بعض تلك الجلسات، بتوفيق الله، إلى هداية عددٍ من الشخصيات التي تركت مذهبها السابق، واعتنقت مذهب أهل البيت (عليه السلام).

عن قناعةٍ، وبدأت رحلةً جديدةً من الوعي والولاءِ.

لقد كان أسلوبُ الشَّيخ في المناظرة امتدادًا لنهج أهل البيت عليهم السلام لا يُقْصِي المخالفَ، ولا يُسْفِهُ المختلفَ، بل يعرِّض الحجَّةَ، ويزرع بذرةً، ويترك للقلب والعقل أن يُثْمرا.

فما أكثر الذين تغيَّروا... لا بسبب خطابٍ عالمٍ شديدٍ، بل بسبب كلمةٍ مؤدَّبةٍ، أو ابتسامَةٍ صادقةٍ، أو نقاشٍ هاديٍّ جرى في زاوية بيتٍ. ناهيك عن الأصدقاء الكُثُر الذين التزموا بوصيَّته عليه السلام في إرسال الشباب للالتحاق بالحوزة العلمية .

دموعه على أسوار النجف

في خِصَمِّ زخمِ المعارك التي عصفت بمدينة النجف الأشرف في الخامس والعشرين والسادس والعشرين من شهر آب عام ٢٠٠٤م، انطلق موكبُ قضاء المدائن لاستقبال المرجع الأعلى سماحة السيِّد السيستاني في تسع عشرة حافلة تحمل قلوبًا تواقَّةً إلى لقاء مرجعيَّتها الروحية، يقودها الشَّيخ الشهيد، ذلك الرجل الذي كان إيمانه أوسع من الخطر المُحدِّق.

وكانت الحافلة التي تُقلُّ الشَّيخ تسيرُ عبر شريطٍ من الظلام، حتى انبلجت أمام عينيه صورةُ النجف الأشرف ... المدينة المنكوبة التي مرقتها مواجهة طاحنة لا تعرف الرحمة. الجدران مهشمة كقلوب الثكالي، والشوارع تحكي قصصًا من الدماء والدخان. وما إن وقع بصرُ الشَّيخ على ذلك المشهد حتى انهمرت دموعُه كأنها نهرٌ من الحزن المكتوم. وقف صامتًا، تلتأُّ كلماتُه في حلقه، فلا لسان يُعبر عن هذا الألم الذي رأيانه في عينيه - كما يروي أحد مرافقيه - الذي يضيف قائلاً: كان بكاءُه خطبةً بلا كلماتٍ، وصرخةً بلا صوت. ثم انطلقنا إلى مكتب سماحة المرجع الأعلى آية الله العظمى السيِّد السيستاني عليه السلام، حيث نقل إلينا الشَّيخ ما جرى في ذلك اللقاء المقدس، فكان كالندي يُحيي أرواحًا أنهكها العطش.

إِغَاثَتُهُ لِلْمَلْهُوفِ وَمَرْوَعَتُهُ الْفَذَّةَ

من المفارقاتِ المثيرة والجديرة بالذِّكرِ ما حصلَ في ليلةٍ من ليالي عام ٢٠٠٤م، ويرويه أحدُ شهودِ العيان، حين كان السكونُ يلفُ المدينةَ كغطاءٍ من حريرٍ أسود، تجرَّأتْ مجموعةٌ من المخالفين على محاولة اقتحامِ سِياجِ مسجدِ الرِّسُولِ الأعظمِ ﷺ، ذلك الحرمُ الآمنُ الَّذي كانَ ملاذنا الروحي ومكانَ لقائنا مع الخالقِ سبحانه وتعالى. أرادوا تدنيسَ جدرانِهِ المقدَّسةِ بتعليقِ صورٍ زائفةٍ لمعاركِ الفلوجة، كما زعموا، فما كانَ من حُرَّاسِ المسجدِ الأبرارِ إلَّا أن صدَّوهم بوابِلٍ من الرصاص، فولَّوا هاربين كالجرذان تحتَ جُنْحِ الظلام، متجهين نحو بيتِ الشيخِ الراحلِ رحمه الله.

وفي ساعةٍ متأخرةٍ من الليل،، دقوا بابَ الشَّيخِ بعنفٍ كدقِّ الموتى على أبوابِ الأحياء وما إن فتحَ لهم البابَ حتى خرجَ معهم - رَغَمَ الظلامِ الحالِكِ - عائداً إلى المسجدِ وفي صباحِ اليومِ التالي، عندما انتشرَ الخبرُ كالنارِ في الهشيم، سارعنا إلى الشيخِ الشهيدِ نستفسرُ منه بقلوبٍ مليئةٍ بالقلق: «كيفَ خرجتَ معهم وحدك؟ كان الأجدَرُ أن تتصلَ بنا لنرافقَكَ، فهو لاءِ قتلةٍ منحرفون لا يؤمنَ جانبَهُم!»

فتبسَّم الشَّيخُ بهدوئه المعهودِ، وقال بصوتِهِ الواثقِ: «إنَّهم جنباءٌ استنجدوا بي ولم يجدوا ملاذاً غيري فلم أستطعُ أن أردَّهم خائبين». كانت كلماتُهُ كالبلسمِ على جراحنا، تذكيراً بشجاعتهِ النادرةِ التي لم تُثْنِها ظروفُ الخوفِ والرعبِ التي عَمَّتِ المدينةَ، حتَّى إنَّ محالَّ التجارِ في المدائنِ كانتْ تُغلقُ أبوابها باكراً خوفاً في تلكِ الأيامِ العاصفةِ.

الفصل الخامس

حادثةُ الاغتيال: جريمةٌ طائفيةٌ بأدواتٍ تكفيريةٍ

في مساءٍ خانقٍ من ليالي قضاء المدائن، وبعد أن أذّن للعشاء وهدأت الأزقة، ارتفع في مُصلى الرسول الأعظم -الطيب - القريب من مرقد الصحابيِّ الجليل سلمان عليه السلام - صوتُ صلاةٍ خاشعةٍ، يؤمُّها الشيخ محمود المدائني، ذلك الصوتُ الَّذي طالما صدحَ بالحكمة، ودعا إلى التعقل، ونادى بالوحدة... لكن يدًا طائفيةً غادرةً كانت قد قرّرت إسكاته إلى الأبد.

لقد بدت معالمُ الجريمة واضحةً منذُ البداية، فالنظامُ البعثي، الذي سقطَ تحت أقدام العراقيين، لم يسقط من دون أن يخلف وراءه بذورَ الطائفية وأشواكها. لقد مارسَ البعثيون الصداميونَ الطائفيةَ بإصرارٍ سلطوي منهجي، حتى بعد سقوط دولتهم، فعادوا من سراديبِ الهزيمة متلحّفين بعبادة الإرهاب، يوقظون الضغائن، ويشعلون الفتن، ويستهدفون رموزَ الوعي والاستقامة. وكان الشيخُ الشهيد في طليعة مَنْ وضعوا أنفسهم سداً منيعاً أمامَ هذا السيلِ الطائفي الجارف، لا شيءٍ سوى أَنَّهُ معتمدُ المرجعية الدينية العليا، ووجهُها المضيءُ في المدينة، وصوتُها الَّذي يوقظُ الضمائرَ ويؤنسُ القلوب.

وتباينَ موقفُ أبناءِ المكوّنِ السنيِّ في المدائن من شخصيته؛ فقلّةٌ حكيمةٌ منعتهم ضمائرُهم من خذلانه، وقد عرفوا فيه رجلاً لا يسعى إلى نفوذٍ، بل إلى حقنِ الدماء، فحرصوا على سلامته، لكنهم ما لبثوا أن غادروا القضاء تحت وقعِ التهديد والوعيد. أمّا الكثرةُ، فانسأقت خلفَ مشروعِ طائفيٍّ مشبوهٍ، رأت في الشيخ حَجَرَ عثرةٍ يجبُ إزاحته بأيِّ ثمنٍ، فتواطأت مع الجماعاتِ التكفيريةِ وسلمت له رأسَ الحكمة على مذبِحِ الغدرِ.

واجهَ الشيخ كلَّ ذلك بجلدِ المؤمن وبصيرةِ الوليِّ، فعقدَ اللقاءاتِ، واجتمعَ

بأئمة الجوامع، وشيوخ العشائر، ووجهاء القضاء، وممثلي الدوائر، مستنيراً بتوجيهات المرجعية، محاولاً احتواء الفتنة قبل أن تستفحل. غير أن الخطابات المتشنجة كانت تغطي على العقل، والحق كان أسبق من النصح، فانفرط عقد المدينة، وسادها منطق الدَّم.

حتى جاء مساء الأربعاء، الأول من شهر ذي الحجة سنة ١٤٢٥ هـ. في ذلك المساء الذي لم يكن مساءً عادياً، بل صفحةً داميةً طويت فيها حياة رجلٍ لم يغب عن مدينته يوماً.

كعادته، قصد مسجد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) لأداء صلاتي المغرب والعشاء، ولم يكن يعلم أن هذه الصلاة ستكون آخر ركعاته في الدنيا.

بعد الفراغ من الصلاة، خرج الشيخ بهدوئه المعتاد، وكانت السيارة بانتظاره قرب الحسينية، فدعاه أحد المصلين للركوب، فأجابه الشهيد عماد ناجي مماًزحاً: (اركبوا ويانا، بلكت الله قاسم لنا الشهادة ويا الشيخ)، فرد عليه الشيخ ضاحكاً: (وين صاعدين؟ تريدون تستشهدون؟).

لكنها كانت مزحةً ثقيلةً تحملُ نبوءةً خفيةً... ركب الشيخ السيارة، ومعه: الشهيد عماد ناجي، والشهيد أحمد عايد خلبوص، والشهيد يحيى كاظم بدن، والطفل الشهيد محمد محمود المدائني، فلذة كبده ونور عينيه.

وما هي إلا لحظات... حتى انهال رصاص الغدر

كان الطريق المؤدّي إلى مرقد الصحابي الجليل سلمان عليه السلام شبهً موحش تلك الليلة، فيما بدا قضاء المدائن وكأنه يحبس أنفاسه. الأسواق مغلقة، الشوارع خالية، الهواء مثقل بالخوف... كأن المدينة على موعدٍ مع نازلةٍ مجهولة.

في تلك اللحظات، ركب الشيخ الشهيد محمود المدائني سيارته، متوجهاً مع رفاقه لشراء بعض الألبان. لم يكن أحدٌ يعلم أن الخطر بات قاب قوسين أو أدنى،

لكن نذيرُهُ كَانَ فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنَ الطَّرِيقِ.

فَجَاءَتْ، وَعَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، خَرَجَتِ الْمَجَامِيعُ الْإِرْهَابِيَّةُ مِنْ مَكَامِنِهَا، وَأَحَاطَتْ بِالسَّيَّارَةِ مِنَ الْجِهَاتِ كُلِّهَا، وَفَتَحَتْ نِيرَانَهَا بِكَثَافَةٍ وَهَمْجِيَّةٍ، وَأَمَامَ أَعْيُنِ بَعْضِ الْمَارَّةِ الَّذِينَ تَجَمَّدُوا مِنْ هَوْلِ الْمَشْهَدِ. كَانَتْ جَرِيْمَةً دَامِيَّةً، اسْتَهْدَفَتْ عَقْلَ الْمَدِينَةِ وَقَلْبَهَا النَّابِضَ بِالْإِيْمَانِ.

صَرَخَتْ الشَّهيدُ مُشْتَاقٍ الْجَابِرِيِّ، صَاحِبِ مَحَلِّ الْأَلْبَانِ، شَقَّتِ الصَّمْتَ: (لَقَدْ قَتَلُوا الشَّيْخَ الْمَدَائِنِيَّ).

وَهُرَّعَ بِاتِّجَاهِهِمْ بِكُلِّ مَا يَمْلِكُ مِنْ شَجَاعَةٍ، لَعَلَّهُ يُسَعِّفُ أَوْ يَصْرُخُ أَوْ يَمْنَعُ... لَكِنَّ الْقَتْلَةَ لَمْ يَكْتَفُوا بِضَحَايَاهُمْ، فَعَادُوا إِلَيْهِ، وَسَقَطَ شَهِيدًا بِرِصَاصِ الْغَدْرِ، مُضَرِّجًا بَدَمَ الْإِبَاءِ.

وَحَدَّهُ السَّائِقُ نَجَا، نُقِلَ لَاحِقًا أَنَّهُ خَرَجَ مِنَ السَّيَّارَةِ لَا يُصَدِّقُ أَنَّ الرِّصَاصَ لَمْ يُصِبْهُ، وَقَدْ كُتِبَ لَهُ النَّجَاةُ مِنْ مَجْزَرَةٍ سَبَقَتْ فِي ذَاكِرَةِ الْمَدِينَةِ طَوِيلًا.

لَقَدْ اسْتَشْهَدَ الشَّيْخَ، وَابْنُهُ، وَرِفَاقُهُ فِي شَهْرٍ كَانَ يُفْتَرَضُ أَنْ تَتَوَقَّفَ فِيهِ الدَّمَاءُ احْتِرَامًا لِقُدْسِيَّتِهِ وَهُوَ شَهْرُ الْمُحَرَّمِ الْحَرَامِ... لَكِنَّ الرِّصَاصَ لَمْ يُرَاعِ لَا شَهْرًا وَلَا حُرْمَةً وَلَا دِينًا.

وَكَانَتِ الْجَرِيْمَةُ مِنْ تَنْفِيذِ تَنْظِيمِ (الْقَاعِدَةِ)، وَتَنْظِيمِ (أَنْصَارِ السَّنَةِ)، وَبِمُسَانَدَةٍ مِنْ بَقَايَا الْأَجْهَزَةِ الْأَمْنِيَّةِ الْبَعَثِيَّةِ. وَقَدْ تَبَنَّى تَنْظِيمُ (أَنْصَارِ السَّنَةِ) رَسْمِيًّا الْعَمَلِيَّةَ، فِي بَيَانٍ صَدَرَ بَعْدَ التَّنْفِيذِ، كَأَنَّهُمْ يَتَفَاخَرُونَ بِمَجْزَرَةٍ طَائِفِيَّةٍ لَنْ تُمَحَى آثَارُهَا مِنْ ذَاكِرَةِ الْمَدَائِنِ.

كَادَتْ الْفَاجِعَةُ أَنْ تُشْعَلَ نَارًا لَا تُبْقَى وَلَا تَذُرُ، لَكِنَّ الشَّيْخَ، حَتَّى بَعْدَ مَوْتِهِ، كَانَ أَسْبَقَ مِنَ الْقَتْلَةِ. فَقَدْ تَرَكَ وَصِيَّةَ خَالِدَةٍ، دَعَا فِيهَا إِلَى ضَبْطِ النَّفْسِ، وَنَبَذِ الْإِنْتِقَامَ، وَعَدِمَ تَوْجِيهِ التُّهْمَةِ إِلَى أَيِّ مِنْ أَبْنَاءِ الْمَدِينَةِ، بَلْ إِلَى وَعِيٍّ جَدِيدٍ يُمَيِّزُ الْعَدُوَّ الْحَقِيقِيَّ،

وَيُحَصِّنُ النَّسِيحَ الاجْتِمَاعِيَّ مِنَ التَّمَزُّقِ.

يروى حارسُ الحسينية عمار نزار قائلاً: في ليلةِ الحادثةِ ودَّعَنَا الشَّيْخُ علي غير عاديته، وكأنَّه يودُّعُنَا الوداعَ الأخيرَ، وكانت قلوبُنَا مقبوضةً، ونشعرُ بأنَّ هنالك حدثًا ما سيحدث، وماهي إلَّا خمسَ عَشْرَةَ دقيقةً عقبَ ذهابه حتَّى سمِعنا أزيزَ الرِّصاص، قبل أن ينهالَ الخبرُ على رؤوسنا كالصَّاعقة بأنَّ الشَّيْخَ محمود هو الَّذي كان مستهدفًا وبأنَّه قد استشهد.

وفي الحالِ اجتمعَ الشَّيْعةُ في المستشفى، وكانوا في حالة غليان وغضب شديد، ولولا تدخلُ الحاج فنجان (والد الشهيد) وأبو صادق (شقيق الشَّيْخ) وتأكيدُهما على ضرورةِ الالتزامِ بوصيةِ الشَّيْخ الشهيد لحدثَ ما لا يُحمدُ عقباه.

جرى تشييعُ الشهداء في موكبٍ مهيبٍ، بدأ من الكاظمية المقدَّسة، ثمَّ كربلاء، وانتهى في النجفِ الأشرفِ، حيثُ احتضنَهم وادي السَّلام، ليكونَ مثواهم الأخيرَ، معَ الَّذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

لقد خططَ الإرهابيون تخطيطًا مُحكمًا لعمليةِ الاغتيالِ الغادرة من بثِّ جواسيسهم بين النَّاس، إلى قطعِ الكهرباء في الساعة نفسها التي جرتُ فيها عمليةُ الاغتيالِ الغادرة. وعن الإمام الصادق (عليه السَّلام) أنه قال: (ما كُلُّ ما يُعْلَمُ يُقالُ، ولا كُلُّ ما يُقالُ حانَ وقتهُ، ولا كُلُّ ما حانَ وقتهُ حَضَرَ أهْلُهُ). ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾.

تأبينُ الشَّيخ الشَّهيد وأثرُ استشهادهِ في المدائني

استشهد الشَّيخ محمود المدائني رحمته الله كَانَ زلزالاً روحياً وأخلاقياً هزَّ وجدانَ المدائني من أقصاها إلى أقصاها، وترك في روحها ندبةً لا تندملُ. فهو لم يكن مجردَ حادثةٍ عابرةٍ في سجلِّ الاغتيالاتِ السياسيةِ والدينيةِ التي عصفت بالعراق بعد ٢٠٠٣، إذ خسرَ الناسُ رجلاً كَانَ منبراً يمشي على قدميه، ووجهًا مضيئاً للمرجعيةِ في زمنِ الالتباسِ الرويَّةِ وتكالِبِ الفتنِ.

في اليومِ التالي، خيمَ الحزنُ على المدينةِ كما لم يُعرف لهُ مثيلٌ. أغلقت المحالُّ، وتوقفتِ المجالسُ، وجفتِ الكلماتُ، وباتَ الناسُ يتهاَمسونَ: «اغتالوه لأنَّهُ قالَ كلمةَ حقٍّ، ولأنَّهُ لم يُبايعِ الفوضى».

كَانَ التشييعُ رسالةً بحدِّ ذاته. رجالٌ ونساءٌ وأطفالٌ، جاءوا من كلِّ الأزقةِ والقرى والضواحي، بعضهم لم يعرفه عن قربٍ، لكنهم جميعاً شعروا أنَّ رحيله قد نزعَ شيئاً من أرواحهم.

وفي الكاظمية، ومن ثم كربلاء، ثم النجف، سارتِ النعوشُ الطاهرة، تُرْفَعُ على الأكتافِ، والدموعُ تسبقُ الأقدامَ. وعلى ضريحِ الإمامِ أميرِ المؤمنين عليه السلام، وُضِعَ الجسدُ الطاهرُ، في موضعٍ طالما تمنَّاهُ الأوفياءُ.

في المدائني، لم ينسَ الناسُ وصيته، بل جعلوها عهداً. فعلى الرغمِ مِنَ الألمِ والغضبِ، لم تُسجلْ حادثةُ انتقامِ واحدةٍ، بل تحولتِ الحسينيةُ التي استشهد بِجوارِها إلى منارةٍ للوعي، ومركزٍ للتائبين، وموسمٍ دائمٍ للحديثِ عَنِ الصبرِ والشهادةِ.

وفي أعقابِ حادثةِ الاغتيالِ المؤسفةِ لآبد من الإشارةِ إلى موقفِ أهلِ المدائني من أبناءِ العامة، الذين خرجتْ جموعٌ غفيرةٌ منهم في مظاهراتٍ عارمةٍ، حاملينَ لافتاتٍ كُتِبَ عليها: (الفتنةُ نائمةٌ، لَعَنَ اللهُ مَنْ أيقظَهَا).

لقد غرسَ الشيخُ الرَّاحِلُ في مجتمعه، غرسًا طيبًا أنبتَ قيمَ التسامح، وعزَّزَ روحَ التعاونِ والإخاءِ، فكانَ (رضوان الله عليه) خيرَ مُعلِّمٍ وخيرَ داعٍ إلى الوحدةِ والسَّلامِ.

ارتفعت صورُهُ في الطُّرقاتِ، كأن مَلامحَهُ لم تَغِب. ورَدَّدَ الأَطفالُ، والرِّجالُ، والنِّساءُ ذَكَرَ فضائِلِهِ ومَحاسِنِهِ في جَلَسَاتِ الدِّعاءِ، حتَّى صارَ ذِكرُهُ جُزْءًا من نَسِيجِ المَدِينَةِ وهُويَتِها.

لَقَدْ حاولَ القَتَلَةُ أن يُسَكِّتوا صَوْتَهُ، فَصارَ كُلُّ صَوْتٍ في المَدائِنِ يُعِيدُهُ. وأرادوا أن يُرهبوا النَّاسَ، فإذا بِكُلِّ بَيْتٍ صارَ بَيْتًا من بُيوتِ المَرَجِيعَةِ.

أما دُمُهُ، فَلَمْ يَهْدِرْ، بَل صارَ حَبْرًا يُكْتَبُ بِهِ تاريخُ المَدِينَةِ الجَدِيدِ: مَدِينَةُ نَفَضَتْ عنها خَوْفَها، وَمَضَتْ في طَريقِ اختارَهُ لَهَا الشَّيخُ: طَريقِ الوَعْيِ، والثَّباتِ، والولاءِ.

التَّداعِياتُ والنَّاتِجُ لِاسْتِشْهادِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ المدائنيِّ

لَمْ تَكُنْ حادِثَةُ اغْتِيالِ الشَّيْخِ الشَّهِيدِ مُحَمَّدِ المدائنيِّ فَاجِعَةً عابِرَةً فَحَسَبَ في سِجِلِّ العُنْفِ الَّذِي عَرَفَهُ العِراقُ بَعْدَ سُقُوطِ النِّظامِ، بَل كانت زَلْزالًا اجْتِماعِيًّا وأَمْنِيًّا، أَفَرَزَ نَتائِجَ عَمِيقَةً امتَدَّ أَثَرُها لِسَنَوَاتٍ.

خَسارَةُ المَرَجِيعَةِ لِمُعْتَمِدِها المِيدانيِّ

فُجِعَتِ المَرَجِيعَةُ الدِّينِيَّةُ العُلْيَا في النَّجَفِ الأَشْرَفِ بِفَقْدِ أَوَّلِ مُعْتَمِدِ لَهَا في قَضائِ المَدائِنِ، رَجُلٌ كانَ يُجَسِّدُ صَوْتَهَا ومَوْقِفَها في المِيدانِ، ويؤدِّي دَوْرَها التَّوْجِيعِي والروحي في قَلْبِ مَدِينَةٍ مُضْطَرِبَةٍ. لَقَدْ أَحدَثَ غيابُهُ فراغًا لا يُسَدُّ بِسُهولةٍ، وارْتَبَكَ النَّاسُ، وسادَ الصَّمْتُ مِنْبَرِ الجُمُعَةِ.

استشهادُ ثلَّةٍ من خيرة المؤمنين

لَمْ يَكُنِ الشَّيْخُ وَحْدَهُ فِي السَّيَّارَةِ الَّتِي اغْتِيلَ فِيهَا. فَقَدْ ارْتَقَى مَعَهُ نَجْلُهُ الطِّفْلُ مُحَمَّدٌ، وَالْمُؤَذِّنُ عِمَادُ نَاجِي، وَالْحَاجُّ أَحْمَدُ عَايِدٌ، وَالشَّابُّ يَحْيَى كَاطِمٌ، وَصَاحِبُ مَحَلِّ الْأَلْبَانِ الشَّهِيدُ مُشْتَقُ الْجَابِرِيِّ. وَجُوهٌ مُؤَمِّنَةٌ، وَرَكَائِزُ اجْتِمَاعِيَّةٌ، غَابُوا دَفْعَةً وَاحِدَةً، فَعَمَّ الْحُزْنُ، وَزَادَ الشَّعُورُ بِالْخِذْلَانِ وَالْفَقْدِ.

بَثُّ الرُّعْبِ فِي قُلُوبِ السُّكَّانِ

نَفَذَتِ الْجَرِيمَةُ فِي الْعَلَنِ، أَمَامَ النَّاسِ، فِي وَضَحِ النَّهَارِ. كَانَتْ رِسَالَةً مَوْقَعَةً بِالرَّصَاصِ: «أَنْتُمْ مُسْتَهْدَفُونَ». لَمْ تَنْتَظِرِ الْعَوَائِلُ كَثِيرًا، فَاخْتَارَتِ الْهَرَبَ عَلَى أَمَلِ النِّجَاةِ، تَارِكَةً بَيُوتًا، وَذِكْرِيَّاتٍ، وَمَقَابِرَ لَمْ تُكْمِلِ الْفَاتِحَةَ عَلَى أَحِبَّائِهَا.

التَّداعياتُ الأَمَنيَّةُ والسِّيَاسيَّةُ والدِّينيَّةُ

بِدايَةُ التَّهْجِيرِ القَسْرِيِّ

كَانَ اغْتِيالُ الشَّيْخِ إِذَا نَا بَدْءَ مَرْحَلَةٍ جَدِيدَةٍ مِنَ التَّهْجِيرِ الْمُمنَهَجِ بِحَقِّ شِيعَةِ المَدائِنِ. لَمْ تَعُدِ البُيُوتُ آمِنَةً، وَلَا الأَحْيَاءُ مَأْهُولَةً. سَنَوَاتٌ مِنَ الإِنْكَسَارِ وَالدَّمُوعِ، غَادَرَ فِيهَا النَّاسُ تَحْتَ وَطْأَةِ الخَوْفِ، وَتَرَكَوا وَرَاءَهُمْ حِكَايَاتٍ مَبْتُورَةً.

صُعُودُ الجَمَاعَاتِ الإِرْهَابِيَّةِ

بِغِيَابِ الشَّيْخِ، تَمَدَّدَتِ الجَمَاعَاتُ التَّكْفِيرِيَّةُ، وَاسْتَفْحَلَ نُفُوذُهَا. وَأَصْبَحَتْ بَعْضُ أَهْلِي المَدائِنِ تُدَارُ كَأَنَّهَا إِمَارَاتٌ لِلْحَرْبِ، يَحْكُمُهَا السَّلَاحُ، وَتُسَاقُ بِأَوَامِرِ التَّكْفِيرِ، وَتُدَارُ بِعَقْلِ الإِنْتِقَامِ وَالدِّمَاءِ.

إِنْكَشَافُ الإِنْقِسَامِ الطَّائِفِيِّ

حَادِثَةُ الإِغْتِيَالِ كَشَفَتِ المَسْتَوْرَ مِنَ الإِنْقِسَامِ الدَّاخِلِيِّ. بَعْضُ أبنَاءِ السَّنَةِ أَثَرُوا الصَّمْتَ، وَآخَرُونَ وُضِعُوا فِي قَفْصِ التَّهْمَةِ زُورًا، فِيمَا اخْتَارَ قَلَّةٌ مِنَ الشَّجْعَانِ الوُقُوفَ مَعَ الحَقِّ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَصْمُدُوا طَوِيلًا أَمَامَ العَاصِفَةِ.

خَطَرُ الفِتْنَةِ

اقْتَرَبَتِ المَدَائِنُ مِنَ حَافَةِ الهَاوِيَةِ. كَانَتِ النَفُوسُ تَغْلِي، وَالعُيُونُ دَامِعَةً، وَالسَّلَاحُ فِي مُتَنَاوِلِ الجَمِيعِ. غَيْرَ أَنَّ وَصِيَّةَ الشَّهِيدِ سَبَقَتِ الرِّصَاصَةَ، وَأَطْفَاتُ نِيرَانِ الفِتْنَةِ قَبْلَ أَنْ تَشْتَعَلَ، وَأَبْقَتِ المَدِينَةَ وَاقِفَةً، وَإِنْ كَانَتْ تَنْزِفُ.

التداعيات النَّفسية والاجتماعية

الإحساسُ بالعزلة والخذلان

تَسأَلُ النَّاسُ: أَيْنَ الدَّوْلَةُ؟ مَنْ يَحْمِي الدِّمَاءَ؟ لِمَاذَا تُذْبَحُ الأرواحُ، ولا يُسألُ عَنِ القاتِلِ؟ اتَّبَعَ الجُرْحُ، وانحسرَ الأملُ، وَنَبَتَتْ فِي القُلُوبِ بُدُورُ الخَوْفِ، والخِذلانِ، والتوجسِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

نُمُو الحسِّ الثَّارِي

رَغَمَ وصيةِ الشَّيخِ الشَّهيدِ، إِلَّا أَنْ صَوْتًا آخَرَ بَدَأَ يعلو: الصَّمْتُ ضَعْفٌ، والحِلْمُ لا يُجدي. وَمِنْ رَحِمِ الحُزَنِ، خَرَجَ الغَضَبُ، وَتَسَلَّلَ إِلَى بَعْضِ القُلُوبِ خِطَابٌ لا يُشَبِّهُ الحِكْمَةَ الَّتِي رَبَّى عَلَيْهَا الشَّيخُ أبناءَهُ.

التَّأثيرُ السِّياسيُّ والدِّينيُّ

ارتفاعُ صَوْتِ المرجعيةِ ضدَّ الإرهابِ

استَدَلَّتِ المرجعيةُ الدِّينيةُ بهذهِ الفاجعةِ لِتؤكدَ أَنَّ الإرهابَ لا يُفَرِّقُ بَيْنَ السِّياسَةِ والدِّينِ، وَأَنَّهُ يَسْتَهْدِفُ الإنسانَ فِي صَلَاتِهِ، ووَحْدَتِهِ، وأَمْنِهِ، وَأَنَّ مَواجهَتَهُ ليست خِيارًا، بَلْ فَرَضًا شرعيًا وأخلاقيًا.

تحوُّلُ الشَّيخِ إلى رَمزٍ جامعٍ

رَغَمَ طائِفيَةِ الجَريمةِ، ظَلَّتْ صُورَةُ الشَّيخِ الشَّهيدِ مُحترَمةً فِي عُيُونِ السَّنةِ الْمُعتَدِلينَ، الذينَ عَرَفُوا فِيهِ صِمامَ أَمَانٍ، لا مَشروعَ فِتْنَةٍ. وَهَكَذَا، بَقِيَ بَعْدَ رَحيلِهِ كَمَا كَانَ فِي حَيَاتِهِ: جِسْرًا لا خَنْدَقًا.

المسار... وماذا بعد الشَّهادة ؟

حالة الانكسار والرُّعب

في الأيام الأولى التي أعقبت الجريمة، خيمَ صمتٌ ثَقِيلٌ على المدائني... كان الحُزنُ ممزوجاً بالخوفِ، والدموعُ ممزوجةً بالقلقِ. أتباعُ أهل البيت (عليهم السَّلام) شَعَرُوا بِالْيَتَمِ، وَقَدْ غُيِّبَتْ عَنْهُمْ الْيَدُ الَّتِي كَانَتْ تَوَاسِيهِمْ وَتَحْمِيهِمْ وَتَرْبُطُهُمْ بِالمرجعية العُليا. بَدَأَ وَكَانَ الْمَشْرُوعُ الطَّائِفِي، الَّذِي ظَلَّ الْبَعْثِيُّونَ وَالتَّكْفِيرِيُّونَ يُرَكِّبُونَ لَهُ أَجْنَحَتَهُ فِي الْخَفَاءِ، قَدْ بَدَأَ يُحَلِّقُ عَلَى أَرْضِ الْوَاقِعِ، يَحْصِدُ الْأَرْوَاحَ وَيُفْرِغُ الْأَحْيَاءَ. وَبَدَأَتْ مَوَاجَاتُ التَّهْجِيرِ، وَالْخَطْفِ، وَالتَّفْجِيرِ، حَتَّى غَدَتِ الْمَدِينَةُ، فِي بَعْضِ أَحْيَائِهَا، أَشْبَهَ بِمُنْفَى مَفْتُوحٍ لَا مَأْوَى فِيهِ لِأَبْنَاءِ الْهُوِيَّةِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهَا.

امتصاصُ الفِتْنَةِ بِوَصِيَّةِ الشَّهيد

لَكِنَ الشَّيْخُ، حَتَّى وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الشَّهَادَةِ، سَبَقَ الْقَتْلَةَ بِخُطُوبَةٍ... فَكَتَبَ وَصِيَّتَهُ بِمِدَادِ الْحِكْمَةِ وَالْدَّمِ، دَاعِيًا فِيهَا إِلَى عَدَمِ الْإِنْتِقَامِ، وَعَدَمِ اتِّهَامِ أَيِّ طَرَفٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْمَدِينَةِ، مُوصِيًا بِأَنْ يُحَوَّلَ دَمُهُ إِلَى نُورٍ، لَا إِلَى نَارٍ. لَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ الْوَثِيقَةُ بِمَثَابَةِ دِرْعٍ رُوحِي وَاجَهَ بِهِ الْمَجْتَمَعُ الْمَكْلُومُ عَاصِفَةَ الْغَضَبِ، فَتَحَوَّلَتْ دِمَاؤُهُ إِلَى دَعْوَةٍ لَضَبْطِ النَّفْسِ، لَا لِاسْتِباحَتِهَا. لَقَدْ أَثَرَتْ وَصِيَّتُهُ، فِي الشَّيْعَةِ، وَفِي كُلِّ مَنْ بَقِيَ فِيهِ بَصِيصٌ مِنْ ضَمِيرٍ، حَتَّى مِنْ أَبْنَاءِ الطَّوَائِفِ الْآخَرَى، وَأَكَدَتْ أَنَّ الشَّهيدَ لَمْ يَكُنْ حَارِسَ طَائِفَةٍ، بَلْ حَامِلَ مَشْرُوعٍ وَطَنِيٍّ وَأَخْلَاقِيٍّ مُتَجَاوِزٍ لِلطَّوَائِفِ وَالْإِنْتِمَاءَاتِ.

تحرُّك المرجعية والقوى الواعية

سارعت المرجعية الدينية العليا إلى احتضان المدينة الجريحة، فبادرت إلى بث الطمأنينة، وتواصلت مع الوجهاء والعقلاء من مختلف المكونات، لتعيد شيئاً من الأمل إلى الناس. أما القوى الواعية في المجتمع، فقد نهضت بما يشبه المسؤولية الرسالية، مُستلهمَةً من سيرة الشيخ، لتدعو إلى الوحدة، وترمم الثقة، وتزرع بذور المرحلة القادمة بدم الشهداء، لا بالحقْد والخِذلان.

استعادة تدريجية للوجود الشيعي

رغم تواصل التهديد والخطر لسنوات، ورغم بقاء بعض الجراح مفتوحة، إلا أنَّ المهاجرين بدأوا يعودون شيئاً فشيئاً. والعوائل التي هجرتها النار، أعادها الحنين والحق. ومع تراجع قبضة الجماعات الإرهابية، وتلاشي سطوة بقايا البعث، بدأت ملامح الهوية تعود إلى الأحياء المنكوبة. لقد كان دم الشيخ ورفاقه هو الجبرُّ الجديُّ الذي كُتب به وعي المدائني، بعد أن حاول الطغاة محو كل شيء. فتحول الشيخ إلى رمز.

رَكْبُ الشَّهادة... الَّذِينَ مضوا مع الشيخ

١- الشهيد عماد ناجي عبود الربيعيَّ

تاريخ الولادة: ١٢ كانون الأوَّل ١٩٦٣ - بغداد

مكان الإقامة: قضاء المدائن - بغداد

العمر عند الاستشهاد: ٤٢ عامًا

تاريخ الاستشهاد: ٢٠٠٥

نجلُ الشهيد عماد ناجي عبود الربيعيَّ في بغداد يومَ ١٢ كانون الأوَّل من عام ١٩٦٣، وتَرعرعَ في أحيائها حتَّى استقرَّ به المَقامُ في قضاء المدائن، تلكَ المدينةُ التي عاشتَ في سنواتٍ ما بَعْدَ سقوطِ النظامِ البعثيَّ ظروفًا شديدةً الصُّعوبةَ، تَميَّزتْ بانعدامِ الأمنِ، وتفشِّي الفوضى، وتهوُّرِ الجماعاتِ الإرهابيةِ التكفيريةِ التي استهدفتِ المؤمنينَ ورموزَ التشيع.

في خِصَمِّ هذه المحنِّ، كان الشهيدُ عمادُ مِنَ الرِّجالِ الذينَ لم تَلِنْ عَزيمَتُهُمْ، بل ازدادُوا ثباتًا وشجاعةً. اتَّصفَ بثقافةٍ دينيةٍ واضحةٍ، وكان صاحبَ قلبٍ حيٍّ ولسانٍ ذاكِرٍ، يحثُّ الناسَ على الصَّلَاةِ والالتزامِ بالدينِ، ويشاركُهُم آمالَهُم وآلامَهُم. لم يكنْ مِنَ المُتفرِّجينَ على الأحداثِ، بل كان مِنَ العاملينَ المجاهدينَ السَّاعينَ لإِعلاءِ كلمةِ الله، وبثِّ روحِ الوعي والصُّمودِ في النُّفوسِ.

كان الشهيدُ مُؤدِّنَ مُصلى الرسولِ الأعظمِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في المدائن، كما عُرِفَ بقراءتهِ للأدعيةِ، فكانَ صَوْتُهُ المُفعمُ بالإيمانِ يملؤُ المكانَ، ويستنهضُ الأرواحَ. وَقَدْ سارَ في خَطِّ التبليغِ والدعوةِ إلى اللهِ إلى جانبِ العالمِ المُجاهِدِ الشيخِ محمود المدائنيَّ، وكانَ مِنْ أوفى رفاقِهِ وأعوانِهِ في الطريقِ الصَّعبِ.

وفي يومِ الاستشهادِ، جاءَ الشهيدُ إلى المصلى بدراجتهِ الهوائيةِ كعادتهِ،

ولكنهُ رافَقَ الشَّيخَ محمودًا في السَّيارة. فاستَغَرَبَ مَنْ حوْلَهُ، وسأَلُوهُ: «جئتَ على دراجتِكَ، فلماذا تتركُها وتركبُ مع الشَّيخِ؟»، فأجابَهُم بصفاءِ نيةٍ وصدقِ عزيمةٍ: «أريدُ أَنْ أُستَشْهَدَ».

وقد صدَّقَ اللهَ فَصدَّقَهُ، فما هي إِلَّا لحظاتٌ حتَّى كانَ مِنَ الشَّهداءِ الَّذِينَ التحقُوا برَبِّهِم مع الشَّيخِ ورفاقِ الدربِ. لقد تركَ الشَّهيدُ عمادَ لَنَا، كعائلةٍ ومحبِّينَ، رصيْدًا مِنَ الفخرِ والاعتزازِ، ورمزًا مِنَ رموزِ الإيمانِ والشَّجاعةِ في زمنِ الشَّدَّةِ. وبقيتْ ذِكرُهُ حاضرةً في قلوبِ كُلِّ مَنْ عَرَفَهُ، شاهدةً على جهادٍ صامتٍ، وشهادةٍ ناطقةٍ.

٢- الشَّهيد أحمد عايد خلبوص البدري

تاريخُ الولادة: ١٩٧٠

مكانُ الإقامة: قضاء المدائن - بغداد

الانتماء المذهبي: من أتباع مذهبِ أهلِ البيتِ عليه السلام
السَّيرةُ والالتزامُ الدينيُّ:

نشأ الشَّهيدُ أحمد البدري في بيئَةٍ مؤمنةٍ، وكانَ مِنَ المصَلِّينَ الملتزمينَ والمُواطنينَ على حضورِ الصَّلواتِ الجماعيةِ في مُصلَّى الرِّسولِ الأعظمِ عليه السلام، الذي أسَّسَهُ وأشرفَ عليه الشَّيخُ الشَّهيدُ محمودُ المدائني .

وقد تميَّزَ الشَّهيدُ أحمد بروحِهِ المتديِّنةِ وَحُبِّهِ للمعرفةِ الدِّينيةِ، إذ كانَ حريصًا على الاطلاعِ على مسائلِ العقيدةِ والفقهِ، ومُحبًّا لقراءةِ كُتبِ الدِّينِ ومجالسِ أهلِ البيتِ عليه السلام.

وكانَ يَحْرِصُ على أداءِ الصَّلواتِ في أوقاتها، والحضورِ إلى خُطْبِ الجمعةِ والدروسِ التي كانَ يلقيها الشَّيخُ الشَّهيدُ. وقد نالَ شرفَ الشهادةِ في اللحظةِ التي

استُهِدِفَ فيها الشيخُ المدائنيُّ، إذ كانَ برفقته في السيارة نفسها، فارتقى شهيداً معه مساءً يوم استشهاده بعد أدائهما صلاة العشاءين.

واقعة الاستشهاد:

في مساء عام ٢٠٠٥، وبعد انتهاء صلاة العشاءين، استهدف الإرهابيون السيارة التي كانت تقل الشيخ محمود المدائني ومرافقيه في قضاء المدائن، فاستشهد الشهيد (أحمد عائد البدري) في الحادثة نفسها، مُضِرّاً بدم الشهادة، شاهداً على الإيمان والوفاء والطريق.

ذكرى وبصمة:

بقي اسمُ الشهيد (أحمد عائد خلبوص البدري) خالداً في قلوب أبناء المدائن، وخصوصاً رواد المصلى الذين عرفوه بالتقوى والصفاء، وقد جعل من حياته مثلاً للمؤمن الصادق الذي بذل نفسه في سبيل دينه ومبادئه.

٣- الشهيد يحيى كاظم بدن الزيداوي

تاريخ الولادة: ١ شباط ١٩٧٣

عددُ الأبناء: ثلاثة أولاد وبنت

مكانُ الإقامة: قضاء المدائن - بغداد

تاريخُ الاستشهاد: ٢٠٠٥

وُلِدَ الشهيد (يحيى كاظم بدن الزيداوي) في الأول من شباط عام ١٩٧٣، ونشأ في بيئة مؤمنة مستقرة في قضاء المدائن، حيث أسس عائلة مباركة تتكوّن من ثلاثة أولاد وبنت، وكان مثلاً للأب الحنون، والمربي الملتزم، والمؤمن المخلص.

تميّز الشهيد يحيى بتعلقه الشديد بالصلاة والقرآن الكريم، وكان من المواطنين

على الحضور في مصلى الرسول الأعظم ﷺ، لا يترك فريضة ولا نافلة، وكان قارئاً للقرآن الكريم بصوتٍ خاشع، ومؤذناً في منزله، يعلو صوته بالنداء للصلاة، فيوقظ به أهل البيت والجيران على طاعة الله.

لم يكن حاضراً في الصُفوف فحسب، بل كان مشغولاً بمعرفة أمور دينه، يسأل، ويتعلم، ويحرص على العمل بما يعلم وكان شديد القرب من الشيخ محمود المدائني، يسعى إلى رضاه، ويأتمر بتوجيهاته، ويشعر أن طريق الشيخ هو طريق الهداية والجهاد والخدمة. لذا كان من المتصقين بالمشروع الرسالي الذي حمّله الشيخ في منطقة المدائن.

وفي يوم الحادثة المفجعة عام ٢٠٠٥، حيث اغتيل الشيخ محمود المدائني على يد الجماعات الإرهابية، كان الشهيد يحيى برفقته، ثابتاً غير هَيَّابٍ، ليلتحق معه في موكب الشهداء، شاهداً على الإيمان، وقريناً للصدق، وعنواناً للوفاء.

ترك الشهيد يحيى وراءه عائلة تفتخر به، وأبناءً يسيرون على نهجه، وسيرة نقية طاهرة تسكن قلوب محبيه، وتبقى حية في ذاكرة المدائن التي أنجبت رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

٤- الشهيد مشتاق جاسم محمد رضا الجابري

تاريخ الولادة:

١٩٨٢ مكان الولادة: المدائن / بغداد

التَّحصيلُ الدراسي: السادس الاعداي

العمل: أعمال حرّة

الوضع العائلي: أعزب

وُلِدَ في منطقة المدائنِ بغداد، عاشَ فيها ودرسَ إلى أن وصلَ لسنِّ البلوغ. هاجرَ إلى إيرانَ مع العائلةِ بسببِ حُكمِ النظامِ البائدِ وطغيانه، بقي ثلاثَ سنواتٍ هناك، قلبُهُ يَجُنُّ للعودةِ إلى الوطنِ بسببِ الغربةِ وما عاناهُ مِنْ فَقْدانِ الأصدقاءِ والصَّحبةِ، إلى أن عاد بعد سقوطِ النظامِ إلى المدائنِ.

كانَ الشهيدُ مشتاقاً مثلاً للخُلُقِ الطيِّبِ والالتزام، معروفًا بينَ أهلهِ وأصدقائه بالصِّدقِ والاحترام. عاشَ حياتهَ ببساطةٍ، وسَعَى دائِماً لمساعدةِ مَنْ حولَهُ، وكانَ محبوباً مِنْ الجميعِ، باراً بوالديه، يصلُّ رحمةً، متواضعاً، يُحيي الشعائرَ الحسينيةَ، ومتاثراً.

باستشهادِ الإمامِ الحسينِ (عليه السلام)، والقضيةِ الحسينيةِ، كانَ يكرهُ الظلمَ الذي تَعرَّضَ له الحسينيونَ آنذاك في المنطقة.

كانَ (رحمته) مواظباً على صلواتِهِ في مُصَلَّى الرَّسولِ الأعظمِ حتَّى في الظروفِ الصَّعبةِ ونفسي الإرهابِ.

هواياته: المطالعةُ، قراءةُ الكتبِ الدِّينيةِ، التصويرُ، الشَّعرُ والكتابةُ. كانَ يطمحُ أن يكونَ مؤثِّراً أو ذا مكانةٍ محبوبَةٍ لمن حولَهُ.
قصةُ استشهادِهِ:

في يومِ الحادثةِ الأليمةِ، تأخَّرَ مُشتاقٌ عَنِ العودةِ، وكانَ والدُهُ قد وصلَ إلى البيتِ قبلَهُ، وسألَ عن سببِ التَّأخيرِ، فقلَّ له إِنَّهُ ربَّما بقيَ في الحسينيةِ. تُروى شهاداتٌ بعضُ مَنْ حضرَ الحادثةَ أنَّ الشيخَ محموداً طلبَ مِنْ مُشتاقٍ أن يفتحَ لهم البرادَ ليأخذوا اللبنَ لوجبةِ الفطورِ، فخرجوا جميعاً من الحسينيةِ، واتجهوا نحوَ السوقِ.

يقولُ فارس، صاحبُ البرادِ الذي كانَ يعملُ فيه مُشتاق، إنَّ السوقَ كانَ قد أُغلقَ بالكاملٍ، ما يدلُّ على وجودِ عِلْمٍ مسبقٍ بالجريمةِ. وعندَ تنفيذِ عمليةِ الاغتيالِ

التي اسْتُشهِدَ فيها الشيخُ محمود المدائني، وابْنُهُ مُحَمَّدٌ، والمُؤَدِّنُ عماد، شاهدَ مشتاق ما حَدَثَ، فنَزَلَ مِنَ البرادِ، وصرخَ مستنكراً، وشاتماً المجرمينَ، فعادُوا إليه، وأطلقُوا عليه وإِبلًا مِنَ الرِّصاصِ، فأصِيبَ بطلُقٍ في رأسِهِ، وآخَرَ في صدرِهِ، وسقطَ شهيداً في موكبِ الشهادةِ.

رحلَ (مشتاق الجابري) وهو في رِيعانِ شبابه، شهيداً مع الشهداء، مجاوراً لأولئك الذين أَحَبَّهُمْ، ورافقَهُمْ في دربِ الحسينِ (عليه السلام)، وأملَهُ أن يُدفنَ في وادي السلام، قد تحققَ. فسلامٌ عليه يومَ ولدَ، ويومَ اسْتُشهِدَ، ويومَ يُبعثُ حياً.

لقد كانت وفاته خسارةً كبيرةً لعائلته ومحبِّيه، ولا يزالُ صدَى مظلوميته حاضراً في قلوبِ كلِّ مَنْ عَرَفَهُ. رَغَمَ الألمِ، يبقى الشهيدُ مشتاق حياً في الذاكرة والقلوبِ، وسيظل اسمُهُ رمزاً للمظلومية، والصَّبْرِ، والكرامةِ.

٥- الشهيد محمد محمود فنجان المدائني

سنة الولادة ١٩٩٦ م

مكانُ الإقامة: قضاء المدائن - محافظة بغداد

العمر عند الاستشهاد: ١٠ سنوات

المرحلة الدِّراسيَّة: الصف الرَّابِعُ الابتدائي

نبذة عنه:

الشَّهيدُ مُحَمَّدٌ هو الابْنُ البكرُ للشَّهيدِ الشيخِ محمود المدائني. نشأ في كنفِ أسرةٍ مؤمنةٍ، وتربَّى في جوٍّ دينيٍّ ملتزم، حيثُ كانَ ملازماً لوالده في الذهابِ إلى (مُصَلَّى الرَّسُولِ الأعظم)، يتناوبُ مع شقيقه في مرافقةِ والده يوماً بعدَ يومٍ وقد شاءتْ إرادةُ اللهِ أن يكونَ اليومُ الَّذي وقع فيه الهجومُ الغادرُ هو يومَ محمد، فكانَ

برفقة والده في السيارة التي استُهدِفت في ذلك العمل الإجرامي.
صفاته وسيرته:

عُرِفَ الشهيد محمد بوجهه الملائكيِّ النَّقيِّ، وكانَ مِنَ التلاميذِ المتفوقينَ في دراسته، هادئَ الطَّباع، حسنَ الخُلق، محبًّا لوالده وملازمًا له، يتمتعُ بعلاقةٍ عاطفيةٍ وروحيةٍ خاصةٍ معه. كانَ كثيرَ التعلُّقِ بمُصلى الرسولِ الأعظم، ويحبُّ الصلاةَ والاقترابَ من أجواءِ الإيمانِ التي كانتَ تحيطُ بوالده الشهيد.
تفاصيلُ استشهاده:

استشهدَ محمد المدائنيَّ في اللحظةِ نَفْسِها التي اغتيلَ فيها والدُّهُ، مساءً عام ٢٠٠٥، بعد أداءِ صلاةِ العشاءين، عندما أطلقَ الإرهابيُّونَ النَّارَ على سيارَةِ الشيخ محمود ومَن معه، لِيَسْقُطَ الطُّفْلُ البريُّ شهيداً إلى جانبِ والده ورفيقهما، تاركاً جرحاً عميقاً في قلبِ والدته، وجدِّه، وسائرِ العائلة، ومثلَ استشهادهُ دليلاً آخرَ على وحشيةِ الجريمةِ التي لم تميزَ بينَ كبيرٍ وصغيرٍ.
أثرُ استشهاده:

تركَ استشهادهُ مُحَمَّدَ المَّا كَبيراً في قلوبِ محبِّيه وأهلِهِ، وقد جسدَت جريمَتُهُ صورةً من صورِ الفجورِ والإجرامِ التي طالَتِ الأبرياءَ، بل وتجاوزتْ كُلَّ حدودِ الإنسانية، حين امتدتْ يَدُ الغدرِ إلى طفلٍ لم يَعْرِفْ شيئاً مِنَ الحياةِ وبراءَتِها. وقد أصبحَ استشهادهُ رمزاً يُستَحْضَرُ حين يُدْكَرُ ظُلْمُ الطغاةِ ووحشيَةُ التكفيريين.

الفصل السَّادس

نشيح الكلمات

كانت شهادةُ الشيخ محمود المدائني رحمه الله زلزلة هزت أركانَ الحقِّ في العراق. حينَ سَقَطَ جَسَدُهُ الطَّاهِرُ بَيْنَ دَمَاءِ رَفَقَائِهِ، ارتَفَعَ صَوْتُ الحِكْمَةِ ينادي: هذا قَمَرٌ غَابَ لِيُشْعَلَ فَجْرَ الجِهَادِ.

تَهَادَتْ إلينا رسالاتُ المخلصين ممَّن عَرَفُوهُ، كُلُّهَا تنحني إجلالاً لسلوكِ الرجلِ الذي جَعَلَ مِنْ دَمِهِ قِنْدِيلاً يَهْدِي الأُمَّةَ. في كلماتهم تَجَلَّتْ حَقِيقَةُ واحدة: مَاذَا يقولُ العالَمُ في رحيلِ مَنْ كَانَتْ حَيَاتُهُ دَرْسًا وَمَمَاتُهُ مِثَاقًا؟.

نَحْفَظُ هنا بعضَ صورِ الوفاءِ لتكونَ شَهِودًا على أَن الشَّهيدَ لم يَمُتْ.. إِنَّمَا انطوى في صدورِ المؤمنين كالنُّورِ الَّذِي لَا يُطْفَأُ.

كلماتُ العلماءِ وطلبةِ العلمِ فيه ومعارفه

لَمْ تَكُنْ مَكَانَةُ الشَّيْخِ الشَّهِيدِ مُحَمَّدٍ الْمَدَائِنِيِّ رَحِمَهُ اللهُ مُقْتَصِرَةً عَلَى قَضَاءِ الْمَدَائِنِ، بَلِ امْتَدَّتْ لِتَلْقَى التَّقْدِيرَ وَالْإِجْلَالَ مِنْ أَعْلَامِ الْحُوزَةِ الْعِلْمِيَّةِ وَأَسَاتِذَتِهَا، مِمَّنْ عَرَفُوا صِدْقَهُ وَوَرَعَهُ وَجُهْدَهُ الْمُخْلِصَةَ فِي نُصْرَةِ الدِّينِ وَخِدْمَةِ الْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ فِيهِ الْعَلَامَةُ الْمُحَقِّقُ الشَّيْخُ بَاقِرُ شَرِيفُ الْقُرَشِيِّ (قُدَّسَ سِرُّهُ): مُشِيرًا بِيَدِهِ الْمُبَارَكَةِ إِلَى: «لَوْ أَتَيْتُ إِلَى الْمَدَائِنِ، فَلَا أَصْلِي إِلَّا خَلْفَ هَذِهِ الْعِمَامَةِ، الشَّيْخِ الشَّهِيدِ الْمَدَائِنِيِّ، فِي تَعْبِيرٍ بَلِيغٍ عَنْ ثِقَتِهِ بِالشَّيْخِ الشَّهِيدِ.

وَفِي لِقَاءٍ آخَرَ جَمَعَهُ بِوَفْدٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْمَدَائِنِ، حَمَلَهُمْ أَمَانَةٌ رُوحِيَّةٌ وَأَخْلَاقِيَّةٌ بِقَوْلِهِ:

(هَذِهِ الْعِمَامَةُ أَمَانَةٌ عِنْدَكُمْ، فَحَافِظُوا عَلَيْهَا). مُؤَكِّدًا عَلَى مَسْئُولِيَّتِهِمْ فِي صَوْنِ النَّهْجِ الَّذِي حَمَلَهُ الشَّيْخُ، وَالِدْفَاعِ عَنِ الْمَبَادِئِ الَّتِي ضَمَّى مِنْ أَجْلِهَا.

كلمة الشيخ علاء الحاج يوسف أبو الطَّابوق (مدرسة الحاج يوسف أبو الطابوق الدينيَّة) النَّجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم
والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ، مَصَابِيحِ الْهُدَى
وَسَفَنِ النَّجَاةِ، وَاللَّعْنُ الدَائِمُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ.
يَا لَهَا مِنْ فَاجِعَةٍ تَنْتُنُّ لَهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَبْكِيهَا عَيُونُ الْمُخْلِصِينَ، حِينَ
فُجِعْنَا بِنَبَأِ ارْتِحَالِ الْأَخِ الْعَزِيزِ، وَالْمَجَاهِدِ الْوَلَائِيِّ، الشَّيْخِ مُحَمَّدِ الْمَدَائِنِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)،
وَكَيْلِ الْمَرْجِعِ الْأَعْلَى سَمَاحَةِ آيَةِ اللَّهِ الْعَظْمَى السَّيِّدِ عَلِيِّ السَّيِّسْتَانِيِّ (دَامَ ظِلُّهُ
الْوَارِفِ) فِي الْمَدَائِنِ، تِلْكَ الْبَلَدَةُ الَّتِي طَيَّبَتْهَا ذِكْرَى آلِ مُحَمَّدٍ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)،
فَكَانَ الشَّيْخُ شَهِيدَهَا الصَّادِقَ فِي وَلَائِهِ، الثَّابِتَ فِي مَبْدِئِهِ، الْمُرَابِطَ عَلَى خَطِّ الْوَلَايَةِ
حَتَّى أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِخَاتَمَةِ تُشْبِهُ سِيرَتَهُ.

كَانَ الْفَقِيهُ الرَّاحِلُ عَلَمًا مِنْ أَعْلَامِ الْحُوزَةِ وَرَكْنًا مِنْ أَرْكَانِ الْعَمَلِ الرَّسَالِيِّ فِي
مَدِينَتِهِ، جَمَعَ بَيْنَ عَمَقِ الْفِكْرِ وَنَقَاءِ السَّرِيرَةِ، فَاِمْتَاَزَ بِعِلْمٍ مَتِينٍ فِي الْفَقْهِ وَالْعَقِيدَةِ،
وَهِمَّةٍ فِي خِدْمَةِ النَّاسِ لَا تَعْرِفُ الْفُتُورَ، وَلِسَانٍ نَاطِقٍ بِالْحَقِّ لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ
لَائِمٌ.

عَاشَ الشَّيْخُ الْمَدَائِنِيُّ مُؤْمِنًا صَادِقًا، يَرَى فِي خِدْمَةِ الْمَرْجِعِيَّةِ امْتِدَادًا لِحُطِّ
الْإِمَامَةِ، وَفِي رِصِّ الصُّفُوفِ وَاجِبًا دِينِيًّا مُقَدَّسًا، فَكَانَ إِذَا دَعَا إِلَى الْوَحْدَةِ نَظَرَ
الْقُرْآنَ بِلِسَانِهِ، وَإِذَا وَقَفَ فِي وَجْهِ الْبَاطِلِ أَشْرَقَتْ فِي عَيْنِهِ مَلَامِحُ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ
السَّلَامُ).

لَمْ تَكُنْ وَفَاتُهُ مَوْتًا اعْتِيَادِيًّا، بَلْ شَهَادَةً فِي سَبِيلِ الْمَبْدَأِ، إِذْ لَاقَى رَبَّهُ وَهُوَ قَائِمٌ
عَلَى ثَغْرِ مَنْ ثَغُورِ الْعَقِيدَةِ، يَحْرُسُ وَحْدَةَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَزْرَعُ فِي الْقُلُوبِ بِذُورَ الْوَلَاءِ
لَأَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ).

رَحَلَ جَسَدُهُ الطَّاهِرُ، لَكِنْ فِكْرُهُ بَاقٍ فِي تِلَا مَذْتَبِهِ، وَصَوْتُهُ مَا زَالَ يَدُوي فِي الْمَنَابِرِ:

(اثبتوا على نهج المرجعية، فهي صراطُكم المستقيم، وعروةُ نجاتِكم المتينة).
هكذا ختمَ حياته كما عاشها، مجاهداً في سبيلِ الله، حاملاً رايةَ الولاية، ثابتاً
على طريقِ النَجفِ الأشرف، خطَّ السيّد السَّيستاني (دام ظلُّه الوارف)، وحركة
العلماء العاملين الذين جعلوا من العلمِ مسؤوليّةً، ومن الدِّينِ موقفاً، ومن المرجعية
ملاذاً للأمة.

كان (رضوان الله عليه) يرى أنَّ القوَّة في الأمة من قوَّتها الرُّوحية، ووحدتها في
ولايتها لله ولحججه، فكان لا ينامُ إلاَّ بعد أن يزورَ جرحى المؤمنين، ويُصلحَ بين
المتخاصمين، ويقوِّي علاقةَ النَّاسِ بالمرجعية.

كم من قلب هُدا، وكم من بيتٍ أصْلَحه، وكم من شابٍّ أيقظَ فيه روحَ الالتزام،
فصارَ موته صدمةً لأنَّ المدائنَ فقدت راعيها، والحوزةَ فقدت ركنًا من أركانها.
فسلامٌ عليك أيُّها الشَّيخُ الشَّهيدُ، سلامٌ على عِلمِكَ وصبرِكَ، سلامٌ على
دموعِكَ التي كنت تذرُفها لله، وسلامٌ على تلك الخطى التي سعت بين المصلين
تذكُّرهم بالله وبأوليائه.

نم قريِر العين يا من بذلت النفسَ لله، فقد خلَّدت في قلوبِ المؤمنين رمزاً
للثبات والصِّدق.

وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا، بَلْ
أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

اللَّهُمَّ اجعلْ مقامه في عليين، مع محمَّدٍ وآله الطَّاهرين، وارزُقْ ذويه الصَّبرِ
والسُّلوان، وأجرِ الأمة في مصابها بهذا الأخِ الجليل.

علاء الحاج يوسف أبو الطَّابوق

مدرسة الحاج يوسف أبو الطَّابوق الدِّينية

النَّجف الأشرف

كلمة الشيخ مهدي المدائني (معمد المرجعية في مدينة المدائن)

بسمه تعالى

الكتابَةُ عن عظيم مغامرةٍ في القولِ واقتحامٍ لمعقلٍ من المهابةِ يلفُّه جلالُ الصمتِ. فاللغةُ هنا تقفُ عاجزةً، والأدواتُ تتقصّفُ دونَ أنْ تلامسَ شاطئَ الحقيقةِ، والكاتبُ يُحسُّ في داخلِهِ بذلكِ التناقضَ المهيبَ: بينَ علوِّ المقصدِ وسموِّ الغايةِ، وبينَ قصورِ الباعِ وضعفِ الوسيلةِ. ولكنِ الوفاءَ دينٌ، والحبُّ بلاءٌ جميلٌ، يدفعانِ المرءَ إلى اقتحامِ المُحالِ، رَغَمَ علمِهِ بأنَّه يدخلُ عالمًا يفوقُ طاقةَ الوصفِ.

إنَّ مَنْ عايشَ تلكَ الشخصيةَ النادرةَ، أو أدركَ شيئاً من سيرتها العطرة، يدركُ أنَّ الكلامَ عنها محاطٌ بهالةٍ من التَّوقيرِ، تُحاصرُ الأفلامَ قبلَ أنْ تتحرَّكَ، وتفرضُ على القلبِ خشوعاً كلّما همَّ اللِّسانُ بذكرِها. إنَّنا هنا لا نتحدّثُ عن رجلٍ عابرٍ، بل عن قامةٍ شامخةٍ رفعتْ صرَحَ الإيمانِ في ظلامِ اللَّيلِ. عن أستاذه وشيخه الشَّهيدِ، الشَّيخِ محمود المدائني (طابَ ثراه)، الَّذي كانَ كالشَّمسِ أضاءتْ قريةً ومدينةً بعدَ ظلامِ دامسٍ، وأنعشتْ في النفوسِ روحَ التشييعِ، وردّتْ إلى القلوبِ نورَ الهدايةِ بعدَ أنْ كادَ الجهلُ يطبقُ على العقولِ في حِقبةٍ عاصفةٍ من تاريخِ العراقِ.

عرَفَتِ الرَّجُلُ قبلَ سقوطِ النِّظامِ البعثيِّ، في أيَّامِ المشروعِ الوليدي: (الجماعةِ الصَّالحةِ). كانَ يعملُ في صمتٍ، ويضعُ لَبَنَةً لَبَنَةً في بناءِ النفوسِ، ويعيدُ بوصلةَ القلوبِ إلى مرجعيةِ الدِّينِ العليا. يقيمُ حلقاتِ الفقهِ والعقيدةِ في الخفاءِ، ويُجمَعُ المصلِّينَ تحتَ سَمعِ السُّلطةِ وبصرِها، صلاةً جماعةً كانتْ في ذلكَ الزَّمانِ شجاعةً وإعلاناً. وهو الَّذي أمسَكَ بيدي ذاتِ يومٍ، فقادني إلى النِّجفِ الأشرفِ، إلى رحابِ الحوزةِ العلميَّةِ، ليغرسَ فيها نواةً طيِّبةً تقوِّدُ المرحلةَ القادمةَ، وتنفذُ النَّاسَ مِنَ التَّيهِ. كانَ يحملُ همَّ تلاميذه كما يحملُ همَّ أُمَّتِهِ، يراعُهُم ويتابعُ خطواتِهِم برفقِ الأبِ وعينِ القائدِ.

تعلَّمتُ منه، قبلَ أنْ أتلقَّى عنه مسألةً فقهيةً، أعظمَ الدُّروسِ: تعلَّمتُ الصبرَ الجميلَ على الطَّاعةِ، والغيرةَ المحمودَةَ على حرَماتِ الدِّينِ، والانضباطَ الَّذي كانَ

يرأه جواز سفر طالب العلم إلى المعالي. لم يكن يكتفي بنقل المتون إلينا، بل كان يصهرنا في بوتقة الأخلاق، ويعلمنا كيف نعيش الفقه حياةً، وكيف نلبسه في تعاملنا وسلوكنا. كان صارماً في الحق كالسيف، رحيماً بالضعفاء كالأم، لا يردُّ سائلاً، ولا يخذل ملهوفاً.

وبعد السقوط، انطلق الرجل كالنهر الجارف. أسس أول حسينية في قضاء المدائن، وارتفع الأذان فيها بشهادة الولاية: (أشهد أن علياً ولي الله). وكنت من أوائل من استودعهم أمانة هذا المشروع، فكنت أحمل رسائله وهموم الناس إلى مرجعية النجف، إلى مكتب سماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني (دام ظلّه). وكان يؤكد عليّ، بحرص الفقيه وورعه، أن تكون الأجوبة بخطّ ولسان سماحة السيد محمد رضا السيستاني (دام عزّه)، دقة في النقل، وتحريراً للحكم الشرعي.

وكانت له أيدٍ بيضاء، لا تُحصى ولا تُعدّ، في كفالة الفقراء وأهل الحاجة في المدائن. وحين دبّ الخطر، وبدأت تهديدات الجماعات الإرهابية تتزايد، اجتمعنا حوله (نحن ثلّة من تلاميذه) نبئت في داره حُرّاًساً له. فيضحك منا مرةً قائلاً: (جئتم لحراستي أم لتكونوا عبئاً عليّ؟) ومرةً يحدث في أعيننا بنظرات ثاقبة ويقول: (يا شيخ... ادع لي بالشهادة، لي ولعائلي). كان ينظر إلى الأفق البعيد، وكأنه يرى المصير الذي كتبه الله له، فيستقبله بقلب مطمئن.

ولم تكن أمنيته مجرد كلام، فقد سبقت شهادته وصيةً مباركة، كانت آية من آيات فراسته وحكمته. وصيةً لولاها لانغرس المدائن في بحر من الدماء يوم فُجعت به، لكنها (بعناية الله) كانت صمام الأمان الذي حمى الناس، وطوى صفحة الفتنة قبل أن تُقرأ.

ومضى شيخنا على دربه، مقبلاً غير مدبرٍ، حتى نال مبتغاه: الشهادة في سبيل الله ودينه. فجاء مساء الأربعاء يحمل في جعبته الفاجعة التي لا يزال القلب يعجز عن وصف هولها: اغتيال الشيخ وأستاذنا، ومعه فلذة كبده الشهيد محمد، وأربعة

من خيرة أصحابه. يومٌ كادتُ أنْ تنفجرَ فيه المدائنُ غضبًا وحرْنًا، لولا أنَّ حكْمتهُ الباقيةَ (حتى بعدَ رحيله) كانتُ حارسًا لأهلها.

وبعدَ استشهادهِ، واصلنا السَّيرَ على الدربِ الَّذي رَسَّمَهُ. وحينَ شُرِّفْتُ بحملِ مسؤوليةِ الاعتماديةِ في قضاءِ المدائنِ، أحسستُ بثقلِ الأمانةِ، وعظمِ التركةِ. لقد تركَ لنا الأرضَ الطيبةَ التي غرسَ فيها جذورَ الهدايةِ، والأسسَ الرَّاسخةَ التي بناها بعلمه، وجهادهِ، ودمه الطاهرِ.

وها أنا اليومَ، أقفُ أمامَ ذكراهُ، والقلمُ يرتعشُ، والقلبُ يعجزُ عن الإحاطةِ بعظمتهِ. لكنَّه العهدُ الَّذي أخذَهُ علينا، والوديعةُ التي حملناها مِنْ بعدهِ: أنْ يبقى ذكرُهُ منارةً تهتدي بها الأجيالُ، ومشروعُهُ حيًّا ينبضُ بالعطاءِ، ودمُهُ الطاهرُ شاهدًا علينا (لا لنا) يومَ نقفُ بينَ يدي اللهِ.

رحمَكَ اللهُ يا شيخِي، يا مَنْ ملأتَ أعمارنا إيمانًا، وعَلَّمْتنا معنى أنْ تكونَ خادِمًا للدينِ. لقد جعلتَ مِنْ حياتِكَ درسًا في التضحيةِ، ومِنْ موتِكَ شهادةً على صدقِ اليقينِ.

سلامٌ عليكِ يومَ ولدتَ، ويومَ بذلتَ نفسك في سبيلِ الحقِّ، ويومَ استشهدتَ، ويومَ تبعثَ حيًّا معَ الشهداءِ عندَ ربِّكَ.

وأسألُ اللهَ (بحقِّ محمَّدٍ وآلهِ الطَّاهرينِ) أنْ يمنَّ عليَّ بصدقِ النيةِ وإخلاصِ العملِ، وأنْ يشبِّتني على خطِّكَ الَّذي خططتهُ بدمِكَ، وألَّا أفرطَ في أمانتِكَ التي تركتها في أعناقنا. وأنْ يحشرنِي في زمركَ، تحتَ لواءِ الحسينِ (عليه السَّلامُ)، غيرَ مُبدِّلٍ ولا مُغيِّرٍ.

إنَّه نعمَ المولى ونعمَ النصيرُ.

الخادمُ الأقلُّ، مهديُّ المدائنيِّ.

كلمة السيّد هاشم العوّادي (طالب في الحوزة العلميّة / النّجف الأشرف)

بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لا شكّ في الإنسانِ ومن خلالِ مسيرته في الحياة يلتقي بأشخاص متعدّدين ومختلفين في الصّفات والإمكانيّات، فمنهم من يكون اللقاء معه لمرحلة، ثمّ يكمل الإنسان مشواره في الحياة، ومنهم من يستمرّ معه إلى فترة أطول، ومنهم من يرتبط به إلى آخر المشوار.

وممّا لا شكّ فيه أيضاً أنّ من تُفارقُهُ في مسيرة حياتك ربّما لا يترك له أيّ أثرٍ عليك، وبالتالي يزولُّ عن الذاكرة وتغيّب صورته، فضلاً عن اسمه، إلّا أنّ هناك بعض الأشخاص، وبالرّغم من أنّ مرافقتك لهم في هذه الحياة لا تكون طويلة، إلّا أنّه يستطيع أن يترك بصماته في الذاكرة، وبالتالي تبقى صورته واسمُهُ في الذاكرة، وتبقى سيرته على الشّفاة مستمرة، وكأنّ الأحداث التي تلت رحيله تسعى إلى ترسيخ اسمه وصورة في سجلّ التّاريخ والذاكرة.

الشيخ محمود المدائنيّ إحدى الشخصيات الدينيّة ممّن تصدى لخدمة المجتمع في مجال الوعظ والإرشاد والتبليغ، وتعليم النّاس علوم أهل البيت، إضافةً إلى تعليمهم جملةً من القيم والأعراف والتقاليد التي استقاها من أسرته التي كانت وما تزال لها شأنٌ في بيئتها الجغرافيّة.

لم تكن علاقتي به طويلة، ولم تكن اللقاءات بيننا متيسّرة بسبب خصوصيّة المرحلة التي تعرّفنا بها على بعض، فقد كانت مرحلة مليئةً ومزدحمةً بالعمل التبليغيّ، والسّعي في تأمين احتياجات المؤمنين في مرحلة غابت فيها سلطة الدّولة والقانون، ولم يبقَ من حاكم بين النّاس إلّا الدّين والأخلاق، فقد تعرّض العراق خلال هذه المرحلة إلى احتلالٍ أمريكيّ، تمّ خلالها إسقاط السلطة السياسيّة، وبدأت النّاس تتّجه إلى المساجد والحسينيّات، ملتفةً حول إمام المسجد والحسينيّة.

لم يدخر الشيخ المرحوم محمود المدائنيّ جهداً ولا وقتاً ولا طاقةً إلّا قدّمها في خدمة المؤمنين، بالرّغم من التّحديات التي كان يواجهها، سواءً الصحيّة منها،

أو تحديات البيئة الاجتماعية التي تتسم بالتعددية، فقد كانت وما تزال المدائن مدينة التعدد الديموغرافي، ولذا كانت إحدى مناطق استهداف المشاريع الإرهابية التي تسعى إلى إثارة العُنف والبغضاء بين أبناء المجتمع الواحد، وهذا ما رأته خلال زيارتي له المعدودة إلى مكانه الذي كان يقيم فيه، يؤم المصلين ويُقيم مجالس العزاء، والتي تشرفت بحضور البعض منها، فوجدتها عامرة بأهل المدائن ومن جميع مكوناتها المذهبية.

كان صبوراً على البلاء، محتسباً ما يلاقه عند الله سبحانه وتعالى، وهو ما أكدته وصيته التي كتبها وعرفت اغتياله، والتي أوصى فيها على ضرورة التمسك بنهج الأئمة عليهم السلام، ووصايا المرجعية الدينية في ضرورة الحفاظ على وحدة الصف بين جميع مكونات أبناء المدينة، وسد مساحات الفراغ التي يمكن للأعداء أن ينفذوا منها.

لقد ترك الشيخ محمود المدائني فراغاً كبيراً في مدينته، إذ كانت لحكمته في إدارة الأمور، ووسطيته التي تميز بها عن الآخرين، ودقته في التشخيص، دور كبير في تمهيد الطريق لمن يأتي من بعده لمواصلة العمل والخدمة للمؤمنين. رحم الله الشيخ محمود المدائني، ومن لبي نداء السماء في تلك العشيّة معه، وحشرهم الله مع محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

كلمة السيد رياض الفاضلي (طالب في الحوزة العلميَّة/ النِّجف الأشرف)

نسمة من عطر الماضيِّ

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على سيِّد المرسلينَ وآله الطَّاهرينَ
واللَّعنُ الدَّائمُ على أعداءِ الدِّينِ إلى قيامِ يومِ الدِّينِ.

وبعد:

رُوي عن أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالبٍ (عليه السَّلَام) أنَّه قال: «قيمةُ كلِّ
امرئٍ ما يُحسِنُهُ» نهج البلاغة.

وهذه الكلمةُ الشَّريفةُ من جوامعِ الكَلِمِ التي تنطوي على حكمةٍ عاليةٍ لا يعلمُ
غَوَرُها إلَّا اللهُ تعالى، وهو العالمُ بما استكنَّ فيها من معانٍ ومعارفٍ. وقد وقفَ
العلماءُ وشُراحُ الحديثِ طويلاً عند هذه الكلمة، وامتدحوا معناها، ولكنَّهم - رَغَمَ
جهدِهِم - اعترفوا بالعجزِ عن الإحاطةِ بكلِّ دلالَتِها ومقاصدِها، لما فيها من العمقِ
والعظمةِ والارتباطِ الوثيقِ بنظامِ القيمِ الإلهيَّةِ في تقييمِ الإنسان.

وهذه العبارةُ الموجزةُ تربطُ بين قيمةِ الإنسانِ وبين ما يُحسِنُهُ من أعمالٍ
وصفاتٍ وأفكارٍ. فالإنسانُ - بحسبِ مقاييسِ السَّماءِ - لا يُوزَنُ بما يملكُ من متاعِ
الدُّنيا، ولا بما حازَهُ من مراكزٍ، بل بما يحسُنُ من علمٍ وعملٍ وخُلُقٍ وإخلاصٍ.
ومن يتأمَّلُ الآياتِ الكريمةَ والرواياتِ الشريفةَ يجدُ أنَّ للعلمِ مكانةً فريدةً؛ إذ
جعلَ الإسلامُ للعلماءِ منزلةً تسبقُ كثيراً مِنَ المنازلِ، حتَّى جاءَ في الحديثِ الشَّريفِ
أنَّ مِدادَ العلماءِ أفضلُ من دماءِ الشُّهداءِ، وهذه مرتبةٌ لا ينالُها إلَّا من أخلصَ النِّيَّةَ
وتحمَّلَ مسؤوليَّةَ العلمِ.

فإذا اجتمعَ العلمُ والعملُ والتَّضحيةُ والفداءُ، كان صاحبُها في ذروةِ المقاماتِ
السَّاميةِ. وهنا يُطلُّ علينا نموذجٌ مضِيٌّ من نماذجِ العلماءِ العاملينَ الذينَ جمعوا بين
العلمِ وخدمةِ النَّاسِ، وبينَ الورعِ والشَّجاعةِ، وبينَ الخطابةِ والتبليغِ، وهو الشَّهيدُ
الشيخُ محمود المدائنيَّ (رحمه الله)، أحدُ رجالِ المرجعيَّةِ العليا في النِّجفِ

الأشرف، وأحد النُجوم التي أفلت جسداً وبقيت نوراً في الذاكرة والوجدان. كان الشيخ محمود المدائني (رحمه الله) عالماً عاملاً ثقةً أميناً، وخطيباً مميّزاً جمع بين حسن البيان وعمق الفكرة، وبين الورع في السلوك والصّلاية في الموقف. وقد نقل لي الأخ العزيز عامر العقابي واقعةً تكشف عن عمق ورعه وتقواه، إذ قال: إنَّ الشيخ (رحمه الله) كان إذا دُعِيَ إلى بيتٍ لزيارةٍ أو مناسبةٍ، يسأل عن صاحب الدار: هل هو ممن سرق من الأموال العامة؟ فإن كان الجواب "نعم"، امتنع عن دخول البيت. وهذا - في حقيقته - ليس موقفاً عابراً، بل هو درسٌ عمليٌّ في النهي عن المنكر، ورفضٌ للتطبيع مع الفساد، وحافزٌ للمجتمع كي يُعيد النظر في علاقاته ومعاييرهِ. ومن هنا ندركُ أنَّ سيرة الشيخ ليست أحداثاً تُروى للتاريخ، بل دروساً مستمرةٌ صالحةٌ للمبلِّغ والطَّالِب والوجيه الاجتماعيّ.

إنَّ هذا الورعَ وتلك التّقوى لم يكونا مظهرًا شكليًّا فحسب، بل جزءاً من شخصيته الأصيلة. فقد عُرِفَ عنه التّواضعُ، والدّقّةُ في التّعامل مع النّاس، والصّدقُ في أداء الأمانة العلميّة والاجتماعيّة، فجمع بين العلم والخطابة والعمل الاجتماعيّ، فكان بحقّ نموذجاً للعالم الذي يُحسنُ علمه وعمله، فتكونُ قيمته عند الله عظيمَةً. صلةٌ بلا لقاء

لم تجمعني بالشيخ المدائني الأيام بلقاءً مباشراً، ولكنَّ الله تعالى جمعني به في طريق واحد، هو طريق طلب العلم وخدمة المؤمنين. كما أنَّنا ننتمي إلى القضاء نفسه، وهذا الانتماء مكنني من متابعة أخباره وسيرته، فشعرتُ بأنَّ بيني وبينه قواسمَ مشتركة تُشعرني بالألفة والمحبة. ولعلَّ هذا الشعور هو الَّذي يدفعني اليوم إلى تتبُّع تفاصيل حياته العلميّة والتبليغيّة والاجتماعيّة، لأنَّ حياة العلماء ليست ملكاً لهم وحدهم، بل هي ملكٌ لكلِّ من يسيرُ في درب الهداية والمعرفة.

وقد مرّت عليّ مواقفٌ عدّة تمنيتُ فيها وجوده المبارك، واحتجّتُ فيها إلى نصيحته، أو إلى ثباته في مواجهة تقلّبات الزّمان. وهذا الشُّعور وحده يكشفُ عن مقدار قيمته في النفوس، ويؤكدُ أنَّه كان شخصيّةً ملهمةً قادرةً على أن تصدّي

للمشاكل، وأن تهدي الآخرين بخطابها وسلوكها.

معنى القيمة في شخصه الشريف

حين نعودُ إلى كلمة أمير المؤمنين (عليه السَّلام): «قيمةُ كلِّ امرئٍ ما يحسنه» نجدُ أنَّها تنطبقُ على الشَّيخ المدائنيَّ انطباقاً واضحاً. فقد أحسنَ العلمَ، وأحسنَ العملَ، وأحسنَ خدمةَ النَّاسِ، وأحسنَ الورعَ في السُّلوكِ، وأحسنَ الخطابةَ والبيانَ، فاجتمعتُ فيه صفاتٌ جعلتُ قيمتهُ عند الله عَظيمةً، وعند النَّاسِ رَفيعةً. وما من فضيلةٌ ذُكرتُ في هذه السَّيرةِ إلَّا وهي جزءٌ من ذلك الإحسانِ الَّذي جعلَ له هذه المنزلةَ السَّاميةَ.

لقد كان (رحمه الله) قدوةً في تحمُّلِ الصَّعابِ، لم يعرفِ الكسلَ ولا التردُّدَ، وكان ذا همَّةٍ عاليةٍ تُشعلُ الغرائمَ من حوله. ولذلك حظيَ بثقةَ العلماءِ والفضلاءِ وأبناءِ مجتمعه. ومكانةُ كهذه لا يصلُ إليها إلَّا القليلُ، لأنَّها تحتاجُ إلى نيَّةٍ صادقةٍ ومعرفةٍ عميقةٍ وصبرٍ طويلٍ.

إنَّ شخصياتٍ كهذه لا ينبغي أن تغيب عن ذاكرة المجتمع، لأنَّها تمثل تجاربَ حيَّةً يُستضاء بها في دروب الهداية. فهؤلاء هم الذين يرفدوننا بمبادئِ الهمةِ العاليةِ، ويغرسون فينا حبَّ العلمِ، ويذكروننا بأنَّ طريق الصَّلاح يبدأ من صدق النِّيَّةِ والعملِ الدَّؤوبِ.

وليس الحديث عن الشَّيخ محمود المدائنيَّ حديثٌ حنينٍ إلى الماضي، بل هو حديثٌ مسؤوليَّةٌ تجاه الحاضر والمستقبل. فإذا كان هو قد قضى نحبه في طريق خدمة الدين وأهله، فإنَّ على من يأتي بعده أن يتعلَّم من سيرته كيف يكون العالم قدوةً، وكيف يكون المبلِّغ مؤثراً، وكيف يُحسن الإنسان في عمله ليحسن في قيمته عند الله تعالى.

إنَّ قيمة العلماء العاملين لا تُقاس بسنوات حياتهم، بل بما يتركونه من آثار. والشَّيخ الكنانيُّ ترك أثراً طيباً في نفوس المؤمنين وفي منهج التبليغ وفي أخلاق الورع الاجتماعي. وهذا ما يجعل سيرته مصدر إلهامٍ متجدِّدٍ للطلاب والمبلِّغين

والوجهاء الاجتماعيين.

إنَّ الشخصيات من أمثال الشيخ الشهيد محمود المدائنيَّ (رضوان الله عليه) تمثِّل رصيَداً معرفياً وأخلاقياً لا يجوز للأجيال أن تغفل عنه؛ فهي نماذج تجسّد العلم العامل، والورع، والشجاعة التي تحفظ القيم في أحلك الظروف. إنَّ مطالعة سير هكذا رموز هي حاجة تربويّة وفكريّة تُعين الطالب والمبلِّغ والباحث على فهم معنى الإخلاص والصدق وتحمل المسؤولية.

فالسير المضيئة تصنع الوعي، وتعيد تشكيل الضمير، وتختصر على السائرين طريقاً طويلاً من التجربة. ومن واجبنا أن نُحيي ذكراهم، ونستلهم من حياتهم قوّة تهدي الحاضر وترسم ملامح المستقبل.

رحم الله الشيخ الشهيد محمود المدائنيَّ ، وجمعه مع أوليائه الذين قضوا نحبتهم على ولايتهم وخدمتهم، وجعل ذكراه نوراً يُستنار به لكل طالبٍ للعلم ورافعٍ لراية الحق. ونسأل الله تعالى أن يوفّقنا جميعاً لأن نحسن ما نقوم به، كي نكون عند كلمة أمير المؤمنين (عليه السلام) من أهل القيمة الحقيقية.

السيد رياض الفاضلي - ١٤٤٧ هـ

رأي السيد السبزواري (دامت بركاته) بالشيخ الشهيد:

يروى أحد أصدقاء الشهيد قائلًا: منذ عرفته في عام ١٩٩٧. وأنا أذهب معه لزيارة النَجفِ الأَشرَفِ. وكان دائمًا ما يتردد إلى جامع السبزواري. واللقاء بالسيد عليّ السبزواري. (دامت بركاته) نجل آية الله العظمى السيد عبد الأعلى السبزواري (قدّست نفسه). وكان السيد يوصي دائمًا بملازمة الشيخ والافتداء به، والأخذ بنصائحه، ويصفه بأنه صاحب دينٍ وخلقٍ عالٍ.

شهادة أحد مرافقيه أثناء زيارته للشيخ باقر القرشي

ذهبنا إلى النجفِ الأَشرَفِ، في زيارة الإمام عليّ (عليه السّلام). وبعد إتمام الزيارة، ذهبنا إلى زيارة العلامة والباحث الشيخ باقر شريف القرشي (قدّس سرّه)، في المكتبة الخاصة به. وعند سماع الشيخ القرشيّ بقُدومنا، نهَضَ من مكانه، وتقدّم نحونا. على الرغم من كِبَرِ سنّهِ والمنزلة العلميّة التي يحملها، رَحَّبَ بنا أوّلاً. وقال بالحرف الواحد: أهلاً بشيخي ومفتي أهلِ المدائن. وهنا قبلَ عِمامةَ الشَّيخِ محمود، وأوصى به خيرًا.

هنا قلتُ للشيخ محمودٍ ممازحًا: لقد أوصاك شيخ باقر بنا، ضحك، وقال: أوصاني أم أوصاكم؟

هنا عرَفْتُ المنزلة العلميّة للشيخ، ومدى العلاقة بالمرجعية، وما يحمل من علمٍ حوزويّ.

كلمةُ الشيخ حيدر التميميَّ (طالب في الحوزة العلمية في النجف

الأشرف):

قالَ تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا، بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) لَقَدْ كَانَ الشَّهيدُ السَّعيدُ، سَمَاحَةُ الشَّيخِ محمود المدائنيَّ، قِمةً في الخلقِ والطَّيِّبَةِ، وَكَانَ مِنْ طُلَّابِ الحَوْزَةِ العِلْمِيَّةِ العَامِلِينَ، والمُشْتَغِلِينَ بالدَّرْسِ الحَوْزَوِيِّ في النَجَفِ الأَشْرَفِ. وَكَانَ مِنَ الدَّعَاةِ في مَنْطِقَتِهِ، سَاعِيًا إِلَى خِدْمَتِهَا بِكُلِّ تَفَانٍ وإِخْلَاصٍ.

وَكَانَ - بالنسبة لي - نِعَمَ الإِخِ والصَّدِيقِ، الَّذِي تَشَارَكْتُ مَعَهُ تِلْكَ الأَيَّامَ بِحُلُوقِهَا وَمُرَّهَا، وَقَدْ رَأَيْتُ فِيهِ رُوحَ التَّسَامُحِ والمُحَبَّةِ، تِلْكَ الرُّوحَ الَّتِي كَانَ يُحَسِّدُ عَلَيْهَا مِنْ قَبْلِ كَثِيرٍ مِنْ إِخْوَانِنَا فِي الحَوْزَةِ العِلْمِيَّةِ؛ لِمَا تَحَلَّى بِهِ مِنْ صَبْرٍ وبِشَاشَةٍ، وَرُوحٍ إِيمَانِيَّةٍ صَادِقَةٍ، نَابِعَةٍ مِنْ مَحَبَّتِهِ لِدِينِهِ وَمَذْهَبِهِ، وَالَّتِي انْعَكَسَتْ عَلَى سُلُوكِهِ.

وهُوَ مِنْ بَيْتٍ عُرِفَ بِالتَّوَدُّعِ وَحُبِّ آلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ). فَقَدْ كَانَ مُجَدِّدًا فِي تَعَلُّمِ الدَّرْسِ الحَوْزَوِيِّ، مُتَفَقِّهًا فِي الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، حَرِصًا عَلَى تَطْبِيقِهَا وَتَعْلِيمِهَا لِلنَّاسِ بِكُلِّ حُبٍّ وَتَفَانٍ، رَغَمَ الظُّرُوفِ القَاسِيَةِ الَّتِي كَانَتْ سَائِدَةً فِي زَمَنِ الطَّاعِيَةِ المَقْبُورِ، وَالَّتِي كَانَتْ تَحُدُّ مِنْ عَمَلِ المُبَلِّغِينَ والمُرْشِدِينَ.

وَكَانَ مُتَسَامِحًا وَمُعْتَدِلًا أَثْنَاءَ التَّبْلِغِ، لِذَا كَسَبَ مَحَبَّةَ النَّاسِ، فَضْلًا عَنْ إِخْوَانِهِ مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ. كَانَ صَاحِبَ نَفْسٍ سَخِيَّةٍ، وَرُؤْيَا ثَابِتَةٍ تَحْتَوِي الْجَمِيعَ.

وَلَا أُنْسِي ذَلِكَ الْيَوْمَ، عِنْدَمَا كُنَّا فِي مَدْرَسَةِ البروجردِي، وَجَاءَ أَمْنُ النِّظَامِ المَقْبُورِ لِيَلْقُوا القَبْضَ عَلَيْهِ، وَقَدْ رَأَاهُمْ، فَحَذَرَنِي كَالْإِخِ الَّذِي يَخَافُ عَلَى أَخِيهِ.

طِيلَةُ السِّنِينَ الَّتِي عَشْنَاهَا مَعًا، لَمْ أَرْ مِنْهُ إِلَّا كُلَّ خَيْرٍ، وَكَانَتِ البَشَاشَةُ تَعْلُو مُحْيَاهُ، وَرُوحُ الأَخُوَّةِ تَجْرِي فِي عُرُوقِهِ. كَانَ نَمُودَجًا لَطَالِبِ الْعِلْمِ الصَّالِبِ، الْمَكَافِحِ، الْمَتَزَوِّدِ مِنْ مَعِينِ الحَوْزَةِ العِلْمِيَّةِ فِي النَجَفِ الأَشْرَفِ.

وكانَ كلُّ طَلَبَةِ العلمِ في مدرَسَةِ البروجردي يَكُونُ لَهُ الإِحترامُ، حتَّى مَنْ
يخْتَلِفُ مَعَهُ في الرَّاي، فَلَمْ يَكُنْ مَترَمَتًا، بل كانَ يَسْمَعُ مِنَ الجَميعِ دُونَ اسْتِثْنا.
لقد فَقدنا بفقدِه أَخًا وصَديقًا لا يُعَوِّضُ، ولكن شاءَ اللّهُ أَنْ يُلَحِّقَه بِرِكبِ الشَّهادَةِ
والصديقين، وَحَسَنَ أُولَئِكَ رَفيقًا، وَيَخْتَمُ حَياتَهُ مَعَ المَظلومينَ، في طَريقِ الشَّهادَةِ،
طَريقِ أئِمَّةِ الهُدَى الميامينَ، وَيَحْشِرُهُ مَعَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ كَمَا قالَ تَعالَى: (يا أَيُّهَا
النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي في عِبادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي)

كَلِمَةُ الشَّيْخ عبدِ الحليمِ العباديِّ (مُعتمد المرجعية الدينية العليا في محافظة

ديالى - ناحية السَّلام):

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ وَجَلِيلِ خِطَابِهِ:

(وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ) صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمُ.

يَعَدُّ الشَّهِيدُ رَمْزًا لِلتَّضَحِّيَةِ وَالْكَرَامَةِ وَالْفِدَاءِ، فَهُوَ يُضْحِي بِنَفْسِهِ وَرُوحِهِ فِي سَبِيلِ وَطَنِهِ وَامْتِهِ وَمِنْ الَّذِينَ ضَحَوْا بِنَفْسِهِمْ، أَخُونَا وَصَدِيقُنَا الْعَزِيزُ، الشَّهِيدُ السَّعِيدُ الشَّيْخُ محمود المدائني (رضوانُ الله عليه)، شَهِيدُ الْوَطَنِ وَالْحُوزَةِ الْعِلْمِيَّةِ فِي النَجَفِ الْأَشْرَفِ.

فَإِنَّتِ تَحْمِلُ أَعْلَى دَرَجَاتِ الْإِيمَانِ، وَأَسْمَى أَلْقَابِهِ. إِنَّ الشَّهَادَةَ الَّتِي حَقَّقَتْهَا تَظَلُّ شَاهِدَةً عَلَى وَلَائِكَ، وَلَوْطَنِكَ، وَسَتَظَلُّ ذِكْرًا خَالِدَةً فِي قُلُوبِنَا وَتَارِيخِنَا.

يَا أَيُّهَا الشَّهِيدُ، يَا مَنْ قَدِمْتَ دَمَكَ وَنَفْسَكَ، وَابْنَكَ الشَّهِيدَ مُحَمَّدَ (رضوانُ الله عليه)، وَرُوحَكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدَفَاعًا عَنْ مَبْدِئِكَ وَعَقِيدَتِكَ، لَقَدْ كَانَ فِرَاقُكَ صَعْبًا قَاتِلًا، أَوْجَعَ قُلُوبَنَا جَمِيعًا.

رَحِمَكَ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ، وَرَزَقَنَا اللَّهُ شَفَاعَتَكَ يَوْمَ الْوُرُودِ، إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

أَخُوكَ الْمَفْجَعُ، وَالْمَقْصَرُّ فِي حَقِّكَ.

كلمة الشيخ علي النَّاصريِّ (طالب في الحوزة العلميَّة/ النجف الأشرف):

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
(مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ.
هذه الآية الكريمة لها مصاديق كثيرة، ومن جملة تلك المصاديق: الشهيد الشيخ محمود المدائني (رحمه الله). عرفته في تسعينيات القرن المنصرم، وصحبته فترة من الزمن، حيث كنّا نسكنُ سوياً في مدرسة السيد البروجرديّ، في الحوزة العلميَّة في النجف الأشرف.

وكانَ هذا الرجل، المدائني، إنساناً يَحْمِلُ كُلَّ صفاتِ الرجلِ المؤمن؛ فهو متواضعٌ، مُلتزمٌ بجميعِ تعاليمِ الدِّينِ الحنيفِ، طيّبُ المعشرِ، دَمِثُ الاخلاقِ، كريمُ النفسِ، مُترسِّلٌ في حياته اليوميَّة.

وإلى جانبِ تحصيله العلمي، كانَ مواظباً على حضورِ الدروسِ حتى في أوقاتِ التعطيلِ، ومع ذلك كانَ مبلغاً ناجحاً في تبليغه، مخلصاً في نقلِ الأحكامِ إلى عامَّةِ الناسِ.

سارعهُ الأجلُ، وأخذتهُ الشهادةُ وهو في أوجِ عطائه. فقدناه أخاً عزيزاً كريماً، ينتمي إلى اسرةٍ كريمةٍ في قضاءِ المدائِنِ، حيثُ كانَ والدُهُ المرحومُ الحاج الشيخ فنجان من وجهاءِ قومه وزعيمِ أسرته، وهو الآخرُ دَمِثُ الأخلاقِ، حَسَنُ السيرةِ زُرته في مكانه ومُضيفه، فوجدتهُ كريماً جليلاً محترماً، مَسْمُوعَ الكلمةِ عند قومه.

نسألُ اللهَ تعالى للشيخ محمود المدائنيَّ علوَّ الدَّرَجَاتِ، ولوالديه الرَّحِمَاتِ، وأنَّ يحشُرَهُمُ اللهُ سبحانه وتعالى مع مَنْ كانوا يَتَوَلَّوْنَهُمْ وَيُدَافِعُونَ عَنْ حُبِّهِمْ وَلَائِهِمْ مُحَمَّدٌ وَآلُ مُحَمَّدٍ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

حَفِظَ اللهُ مَنْ بَقِيَ مِنْ أولادِ الشيخِ الراحلِ وإخوته وعشيرته، وجَعَلَهُمْ خَيْرَ خَلْفٍ لِخَيْرِ سَلَفٍ، وإلى أرواحِ المُتَوَفِينَ منهم نُهدي ثوابَ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ.

كَلِمَةُ السَّيِّدِ أَحْمَدَ الشَّرْعِ (طالِب في الحوزة العلميَّة / النَّجف الأشرف):

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾

وَرُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ):

(أَفْضَلُ الْجِهَادِ: بَذْلُ النَّفْسِ).

إنَّ هذه النفسَ الكريمةَ التي قَدَمَتْ نَفْسَهَا في سَبِيلِ المبادئِ الدِّينيةِ السَّاميةِ، والتي كانَ الشَّيْخُ الشَّهِيدُ محمود المدائني (رَحِمَهُ اللّهُ) حَامِلًا لِيَوَاقِفُهَا، ومَجْسِدًا لِقِيَمِهَا، لَخَلِيقُ بِنَا أَنْ نَقِفَ عِنْدَهَا وَقِفَةً تَامِلٍ وإِجلالٍ، نَسْتَذَكِّرُ مَنَاقِبَهَا، ونُخَلِّدُ آثارَهَا الَّتِي بَقِيَتْ شَاهِدَةً عَلَى صِدْقِهِ وإِخلاصِهِ في خِدْمَةِ النَّاسِ والمنطقَةِ الَّتِي عاشَ فيها. رَحِمَهُ اللّهُ، فقد بذَلَ جُهدَهُ كُلَّهُ في إِيصالِ المسأَلَةِ الشَّرعيَّةِ الرَّصينيَّةِ، كما لَمْ يَتَوَانَّ عَنْ أدَاءِ الخِدْمَةِ الإِجتماعيَّةِ، حتَّى مِنْ داخِلِ خِيَمَةِ والدِهِ المَرْحومِ الحاجِّ الشَّيْخِ فَنجان (رَحِمَهُ اللّهُ)، الَّتِي تَحَوَّلَتْ إِلى مَنارَةٍ لِلنَّاسِ، يَجِدُونَ فيها العِلْمَ والنُّصْحَ والمُواساةَ.

عَرَفْنَاهُ طالِبًا حَوْزَوِيًّا ناجِحًا، مثابِرًا، مجتهدًا، حاضِرًا لِلدُّروسِ المُقرَّرةِ في الحَوْزَةِ الشَّريفةِ بدرجةٍ عالِيَةٍ مِنَ الإِجتهادِ والإِخلاصِ. وكيفَ لا يَكُونُ كَذَلِكَ، وهو الَّذِي احتَلَّ مكانَةً خاصَّةً في قَلْبِي، لِمَا تَمَيَّزَ بِهِ مِنْ أَخلاقٍ رَفِيعَةٍ وسُلوكٍ نَبِيلٍ، وَخُلُقٍ عالٍ.

أَسأَلُ اللّهُ جَلَّ جَلالُهُ أَنْ يَتَغَمَّدَهُ بِوَاسِعِ رَحْمَتِهِ، وَيُدْخِلَهُ فِسْيحَ جَنَّاتِهِ مَعَ الشَّهداءِ، وَعِنْدَ سادَتِهِ أَهْلِ البَيْتِ (عليهمُ السَّلامُ)، في مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقتدرٍ.

ولا شَكَّ أَنَّ الشُّهداءَ أحياءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، نَسْتَلِهُمُ مِنْ ذِكْرِهِمُ الشَّفاعةَ،

وَنَسأَلُ اللّهُ بِهِمُ المَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ مِنَ الرَّبِّ الكَرِيمِ.

كلمة الشيخ عبد الأمير الدريعيّ (مُعتمد المرجعيَّة الدينيَّة العليا في بغداد /

ناحية الوحدة ومجمع بسماية فرع A):

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

عَرَفْتُ سَمَاحَةَ الشَّيْخِ الشَّهِيدِ مُحَمَّدٍ فَنجان (رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ) مِنْذُ أَيَّامِ الدِّرَاسَةِ فِي النَّجَفِ الْأَشْرَفِ، غَيْرَ أَنَّ مَعْرِفَتِي بِهِ تَعَمَّقَتْ بَعْدَ سَقُوطِ الطَّاعِيَةِ (لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ)، حِينَ اسْتَقَرَّ فِي مَدِينَةِ الْمَدَائِنِ، فِي بَيْتِهِ وَمَسْجِدِهِ، وَبَيْنَ أَهْلِهَا الَّذِينَ أَحَبَّهُمْ بِصِدْقٍ، فَأَحْبُوهُ وَاحْتَضَنُوهُ بِقُلُوبِهِمْ.

رَأَيْتُ بِنَفْسِي مَحَبَّةَ النَّاسِ لَهُ، وَهِيَ مَحَبَّةٌ لَمْ تَكُنْ سَطْحِيَّةً، بَلْ عَمِيقَةً، تَجَلَّتْ فِي التَّفَافِهِمْ حَوْلَهُ بَعْدَ عَامِ ٢٠٠٣، حَتَّى إِنَّهُمْ لَمْ يَتْرُكُوهُ وَاحِدَهُ لَحِظَةً، وَكَانُوا يَتَوَافَدُونَ إِلَى بَيْتِهِ حَبًّا لَهُ وَحِرْصًا عَلَيْهِ.

كَانَ شِعَارُهُ دَائِمًا: الْإِصْلَاحَ وَالتَّسَامُحَ وَالْإِنْفِتَاحَ عَلَى جَمِيعِ مُكُونَاتِ قَضَاءِ الْمَدَائِنِ. وَكَانَ شَدِيدَ الْحَرِصِ عَلَى إِحْيَاءِ مَنَاسِبَاتِ مَوَالِيدِ وَشَهَادَاتِ الْأُئِمَّةِ الْمَعْصُومِينَ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، وَكَانَ يَتَّصِلُ بِي شَخْصِيًّا لِإِقَامَةِ مَجَالِسِ الْعَزَاءِ فِي كُلِّ مَنَاسِبَةٍ، وَقَدْ لَبَّيْتُ دَعْوَتَهُ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً، إِلَى أَنْ بَدَأَتْ حَمَلَةُ الْإِرْهَابِ الْمُنَظَّمَةُ الَّتِي قَادَهَا تَنْظِيمُ الْقَاعِدَةِ، وَالَّتِي اسْتَهْدَفَتْ كُلَّ صَوْتٍ يَدْعُو إِلَى السَّلَامِ وَالتَّقَارُبِ بَيْنَ أُنْبَاءِ الْأُمَّةِ.

وَذَاتَ يَوْمٍ، اتَّصَلَ بِي الشَّيْخُ الشَّهِيدُ، وَطَلَبَ مِنِّي الْحُضُورَ إِلَى الْمَدَائِنِ لِإِحْيَاءِ مَجْلِسِ عَزَاءٍ بِمَنَاسِبَةِ شَهَادَةِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَاعْتَذَرْتُ مِنْهُ بِسَبَبِ سَوْءِ الْأَوْضَاعِ الْأُمْنِيَّةِ، لَكِنَّهُ أَجَابَنِي بِكَلِمَةٍ لَا أَنْسَاهَا مَا حَيَّيْتُ:

(تعال لإحياء المجلس، وإن مت في الطريق فأنت شهيد). وبالفعل، حضرت،

رَغَمَ خُطُورَةَ الطَّرِيقِ، وَفَاءً لَهُ، وَاسْتِجَابَةً لَصَدَقِ دَعْوَتِهِ.

كَانَ الشَّيْخُ الشَّهِيدُ رَجُلًا جَمَعَ الْقُلُوبَ، وَوَحَّدَ الْمُخْتَلِفِينَ، وَمَدَّ الْجُسُورَ بَيْنَ
أَبْنَاءِ الْوَطَنِ، لَكِنَّهُ بِذَلِكَ أَغْضَبَ أَصْحَابَ النُّفُوسِ الْمَرِيضَةِ، الَّذِينَ نَصَبُوا لَهُ كَمِينًا
غَادِرًا، بَيْنَمَا كَانَ فِي سيارَتِهِ مَعَ وَلَدِهِ الصَّغِيرِ وَبَعْضِ الْإِخْوَةِ الْمُؤْمِنِينَ، فَتَالَ شَرَفَ
الشَّهَادَةِ (رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ).

لَقَدْ بَكَتِ الْمَدَائِنُ لِفَقْدِهِ، وَاعْتَمَّ الْمُؤْمِنُونَ لِرَحِيلِهِ، وَنَسَأَ اللَّهُ الْعَلِيِّ الْقَدِيرَ أَنْ
يَتَغَمَّدَهُ بِوَاسِعِ رَحْمَتِهِ، وَأَنْ يَسْكُنَهُ فِسِيحَ جَنَّاتِهِ، وَأَنْ يُلْهِمَ ذَوِيهِ وَمُحِبِّيهِ جَمِيلَ الصَّبْرِ
وَعَظِيمِ السُّلْوَانِ.

كَلِمَةُ السَّيِّدِ بَسَّامِ المَوْسَوِيِّ (مَعْتَمِدِ المَرْجِعِيَّةِ الدِّينِيَّةِ العَلِيَا فِي مَدِينَةِ السَّهَاوَةِ)
بِسْمِهِ تَعَالَى

أَكْتُبُ هَذِهِ الكَلِمَاتِ وَعَيْنَايَ مَغْرُورَتَانِ بِمَدَامِ الحَزَنِ السَّرْمَدِيِّ، حَتَّى نَلْتَقِيَ
عِنْدَ عَرَصَاتِ القِيَامَةِ، تَحْتَ ظِلِّ اللّهِ، بِجَوَارِ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ.
أَخِي الشَّهِيدُ السَّعِيدُ، الشَّيْخُ مُحَمَّدُ المَدَائِنِيُّ:

صَحْبُنَاكَ سَنِينَ مِنْ أَعْمَارِنَا مَضَتْ، وَنَحْنُ نَحَاوِرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، طَالِبِينَ مَنَاهِلَ
العِلْمِ فِي مَدْرَسَةِ آيَةِ اللّهِ العَظْمَى، زَعِيمِ الطَّائِفَةِ فِي وَقْتِهِ، السَّيِّدِ حُسَيْنِ البَرِّ وَجَرْدِيِّ،
وَكُنَّا لَا نَفْتَرِقُ إِلَّا لِلدَّرْسِ، أَوْ حِينَ نَزُولِنَا إِلَى بِيوتِنَا فِي المَحَافِظَاتِ. وَجُلَّ وَقْتُنَا كُنَّا
فِيهِ رِفْقَاءَ فِي دَرَجَةِ العِلْمِ وَالمُثَابَرَةِ، فَرَأَيْنَا فِيكَ حِمَاسَ الرَّجُلِ العَامِلِ بِعِلْمِهِ، الطَّالِبِ
لِسَبِيلِ نَجَاتِهِ.

وَكُنْتُ، بَيْنَ الحَيْنِ وَالحَيْنِ، تَلَهَّجُ بِذِكْرِ الشَّهَادَةِ، وَتَتَمَنَّى دَرَجَاتِ الجَنَّةِ فِيهَا.
هَذَا مَا لَمَسْنَاهُ، وَسَمِعْنَاهُ مِنْكَ، إِلَى حَيْنٍ أَخَذْتَكَ يَدُ الغَدْرِ... وَلَكِنْ إِلَى مَا كُنْتُ
تَتَمَنَّى؛ فَصُرْتُ وَصُيِّرْتُ إِلَى اللّهِ مُضْمَرًا بِدَمِكَ، وَمَعَكَ نَجْلُكَ الْأَكْبَرُ، الَّذِي كُنَّا نَرَاهُ
يَكْبُرُ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَأَنْتَ فِيهِ فَرَحٌ مَسْرُورٌ، وَمَعَكَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ تَرَبَّوْا عَلَى
الإِيمَانِ وَطَلَبِ الشَّهَادَةِ.

فَلَبَّيْتَ نِدَاءَ اللّهِ، وَأَنْتَ عَالِمٌ عَامِلٌ شَهِيدٌ سَعِيدٌ إِنْ شَاءَ اللّهُ.
كُلُّ مَا أَقُولُهُ فِيكَ لَا يُعْبِّرُ عَنْ شَعُورِي وَأَنَا أَكْتُبُ عَنْكَ، فَالكَلِمَاتُ عَاجِزَةٌ عَنْ
وَصْفِكَ، وَلَكِنْ أَخْتَصِرُهَا: كُنْتَ بَعْفَتِكَ وَطَهَارَتِكَ وَطِيبِ أَخْلَاقِكَ الدَّمَثَةِ، تُمَثِّلُ -
وَبِحَقٍّ - أَخْلَاقَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ.

وَلَا شَكَّ أَنَّكَ مِنْ أَهْلِ التَّقْوَى، وَأَنَّكَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللّهِ الَّذِينَ تَوَلَّاهُمْ اللّهُ بِعَنَائَتِهِ
الْخَاصَّةِ.

فَلَكَ الرُّوحُ وَالرَّيْحَانُ، وَنَسِيمُ الْجَنَانِ، تَحْتَ ظِلِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ.
الأَقْلُ: بَسَّامُ مُحَمَّدٍ حَسَنُ المَوْسَوِيِّ

حَرَّرْتُ فِي: ١٧ مِنْ مَحَرَّمِ الحَرَامِ لِسَنَةِ ١٤٤٧ هـ

كلمة بحقَّ الشهيد من أحد أبناء العَامَّة المدائنيين

أثرُهُ في تهذيب النفوس:

كَانَ الشَّيْخُ يَجْمَعُ النَّاسَ عَلَى الْمَحَبَّةِ، وَيَدْفَعُ عَنِ الْفُقَرَاءِ مِنْ عَوَامِّ النَّاسِ. وَلَا تَأْخُذُهُ فِي الْحَقِّ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، وَإِنْ عَظُمَ الْأَمْرُ، وَيَتَعَامَلُ بِالْخُلُقِ الْحَسَنِ، وَكَانَ قَدْوَةً حَسَنَةً، لَا يَظْهَرُ إِلَّا الْخَيْرُ فِي قَوْلِهِ وَعَمَلِهِ. فَقَدْ أَثَرَ فِي أَبْنَاءِ الْمَدَائِنِ، وَتَأَثَّرْنَا جَمِيعًا بِدِمَائِهِ خَلْقِهِ، وَصَدَقَ سِرِيرَتِهِ، وَقَلْبِهِ السَّلِيمَ، وَوَجْهَهُ الْبَشُوشَ عِنْدَ اسْتِقْبَالِهِ لَنَا فِي دَارِهِ، بَحِثُ تَمَكَّنْتُ بِفَضْلِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ مِنَ التَّفْرِيقِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

كَانَ الشَّيْخُ يَنْشُرُ عُلُومَ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) سَلُوكًا وَخُلُقًا وَتَعَامُلًا، وَكَانَتْ طَرِيقَتُهُ تَعْتَمِدُ مَبْدَأَ الْبَسَاطَةِ وَسَهُولَةِ التَّعْبِيرِ وَتَقْرِيبِ الْعُلُومِ إِلَى أَذْهَانِ عَامَّةِ النَّاسِ.

كَانَ أَقْرَبَ إِلَى الْإِنْسَانِ الْعَادِيِّ الْبَسِيطِ مِنَ الْمُتَقَفِّينَ. صَوْرًا فِي تَوْضِيحِ الْمَعْلُومَةِ وَشَرْحِهَا بِسَلَاةِ الْوَاقِعِ مِنْ نَفْسِهِ وَعِلْمِهِ، فَلَا تَنْسَاهُ. كَانَ لَا يَرُدُّ سَائِلًا مِنْ النَّاسِ، وَيَخْدُمُ الْعِلْمَ بِأَمَانَةٍ وَصَدَقَ، وَيُؤَدِّي وَاجِبَهُ الشَّرْعِيَّ، وَيُرَدُّ بِالْفَتَاوَى عَلَى حَيْرَةِ النَّاسِ، وَيَتَفَقَّدُ أَحْوَالَ أَهْلِ الْمَدَائِنِ.

بَعْدَ تَغْيِيرِ النِّظَامِ السَّابِقِ كَثُرَتِ الْمَشَاكِلُ وَالْحَوَادِثُ، فَصَارَ الشَّيْخُ الْمَدَائِنِي قِبْلَةً لِحَلِّ الْمَشَاكِلِ هُوَ وَبَعْضُ الْوُجُهَاءِ، وَأَصْبَحَتْ دَارُهُ مَزَارًا، وَدَارَ فِتْوَى، وَمُضَيِّفًا لِلْمَحْتَاجِ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِمَا يُرْضِي اللَّهَ، وَيُصْلِحُ ذَاتَ الْبَيْنِ بَيْنَ الْخُصُومِ.

رعايتهُ لليتامى والأرامل والغارمين:

وَأَبْدَأُ بِالْغَارِمِينَ، أَيِ الْمَدِينِينَ الَّذِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّ الدِّينِ، فَقَدْ أَحْضَرْتُ إِلَيْهِ أَحَدَهُمْ (ن. م. ع. خ) إِلَى النَّجَفِ الْأَشْرَفِ، فَسَاعَدَهُ وَأَعَانَهُ بِمَبْلَغٍ مَقْطُوعٍ. وَكَانَ الشَّيْخُ الْمَدَائِنِيُّ ﷺ قَلْبًا حَنُونًا عَلَى الْأَطْفَالِ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ. فَقَدْ اسْتَمَرَ فِي رِعَايَتِهِمْ وَالتَّكْفُلِ بِهِمْ مِنَ الْمُتَصَدِّقِينَ، وَمِنْ أَمْوَالِ الْمَرْجِعِيَّةِ، وَكَانَ أَبًا حَنُونًا وَعُطُوفًا عَلَى الْيَتَامَى، وَأَخًا لِلْأَرَامِلِ.

الشيخ المدائني في رحاب الشعر الشعبي

الشَّعْرُ الشعبي العراقي مرآةً لهُمومِ الناسِ اليوميةِ وتطلعاتهم في التَّعبيرِ عن المواقفِ الاجتماعيَّةِ والسِّيَاسِيَّةِ بجرأةٍ، من خلالِ استخدامهِ لغةً قَريبةً من القلبِ، كما أن انتشارهُ الواسعَ في الأوساطِ الشعبيَّةِ جعلهُ أداةً فعالةً في توثيقِ الذاكرةِ الجماعيَّةِ وتشكيلِ الوعيِ الاجتماعيِّ، ما يعزِّزُ دورَهُ كصوتٍ للجماهيرِ ووسيلةٍ مقاوِمةٍ ثقافيَّةٍ في وجهِ التحدِّياتِ، فضلاً عن أنَّه يبرزُ في مدحِ الشَّخصياتِ الاجتماعيَّةِ المحبوبةِ، كالعلماءِ والشجعانِ والمصلحينِ، إذ يخلدُ مناقبَهُم ويَجسِّدُ مكانتَهُم في قلوبِ النَّاسِ بأسلوبٍ مؤثِّرٍ وبلِغٍ. ويرسِّخُ قيمَ الكرمِ والشجاعةِ والإصلاحِ، ما يعمِّقُ ارتباطَ المجتمعِ برموزِهِ ويُدْكِ رُوحَ الفخرِ والانتماءِ. وهذه قصائدُ شعبيَّةٍ أرادَ الشُّعراءُ بها أن يقولوا كلماتهم في الشخصِ العَزيزِ الَّذي أحبوه وفقدوه وفُجِعوا برحيلهِ، ألا هو سماحةُ الشيخ الشهيد محمود المدائنيَّ.

قصيدة بقلم الشاعر عبد الله المعلوي الكناني:

محمود المدائن بأول المفزاع

حلات الزلمه كونه بأول المفزاع
من قدت قميصه الزين المجرب
الزلم يوم أتلاگه الفخر للمركاض
ما شح أعله دينه بروحه من عذب
يناعور السلف وأدلاله من تفوح
ياهييت عمامك والحچي الينضب
وياجالي النهر ماگصرت فد يوم
يا شايب عرب لو كبر ما حذب
ويا چلمة هله وحيهم ادوخ الضيف
لحد ما يرتجي وضييم التعب يندب
شيخ ومن طحت بديره شبت نار
بعمامك والسلف والطفل هم عطب
ألترمنه احنه بوصيتك ما خلفنه الشور
قريناها بتمعن والحچي مرتب
قربان انته كايل بيه لهل البيت
دمي انه وصحبتني والنه والهم رب
يعرجون السعف ما دنغت فديوم
اذا ما حمله بارك والثمر رطب

صرتلهم وكت والشوف مد سنين
مثل لوعت عواجر والطفل يشغب
غالوك دمشق واتركه هاي الدار
وأترك هل عمامه وأترك المذهب
لف روحه بحزم لمن أجاه الموت
ما لاذ بكتره وعل فشك أطرب

قصيدة ثانية للشاعر عبدالله الكناني

بعنوان: طريق الحرية يعبد بدماء الشهداء

عليه سنين مرة وأنته ما موجود
يل حاضر بكلشي ولشدد مذخور
يفانوس الثيه الشافتك كل عين
مو وكتك تغيب ويطفه بينه النور
بعدنه بعازت أليرخص روحه وكت الضيغ
أتحزم بيه أخوته يصير تفكه وسور
منو مثلك رخصه بوكت موت الحار
ولبس ثوب العقيدة وأله ظل ناطور
يصوت المرجعيه بوكت ما ظل صوت
عله فوگ المناير والمنايه أدور
مهني فزعة زلم وتريد شد حزام
وتريد عيون صلفه تكابل الشاجور
يل مأرخ محطه بكل فكر تاريخ
أبشرف لاكيت المنيه وعزبيت أنحور
ما مجبور أگلك ميت من أسنين
وصدى كل المدائن صاح الك مشكور
يا ناطور حدنه الما رضاش يطيح
رخص منح رگبته وفضح أهل الزور

مثل ربع حسين ربعك ما جفوك بضيچ
شدة ورد صارو للمنايه أنذور
ذواق النجف تستنكي وين الزين
ألرگه ظهر المعصيه ودمه بيه يفور
فرض واجب عليه وتشهد الناس
أنتوضه بماي زمزم من نجيک نزور

وفي قصيدة اخرى للشَّاعر إِسماعيل الربيعي:

تظل انت علم غصبن عالأيام وعلى كل المواقف ربي يشهد
ما تبرد دلالك بين فنجان خيال الكحيله الما تردد
لو رايد أوصفك شنو المقياس تاخذني الايات بجزر وبمد
المعرّف أصل مريد تعريف السبع يوم تعرفه بيوم تشتد
من أدور المنايه وما يطخ راس الكفوا بين زماطة بساعة الجد
يل كلك عدل ما همك الموت يل ما چنت يوم بعازة أحد
جتلهم مروءة وطيب وحسان واولهم وكفت بحايط الصد
وبأصعب ظرف ما مرك الخوف وفي وفوك النطاق نطاق تنشد
خسارة انت چبيرة المرجع يگول بعدك يبو محمد حيلنه نهـد
يخو محسن يبيت الكرم والجود الك جمرة بگلبنه شوكت تبرد

(شيخنا العزيز اعذرني من التقصير)

وفي قصيدة أخرى للشاعر إسماعيل الربيعي:

جبر انت وجبر اعله الجبره
زلمة الزين اليواجه مصيره
جبر الكسر يرههم هذا معقول
الكسر ارواحنا شترهم جبره
عليك الدنيا لطمت شكت الزيج
وراك الوادم اندهرت دهيره
ميت عدل بيك نعاين الكون
هيچ يشوفك العنده بصيره
اوف شكر يكتل وكت الوداع
شكر نحتاج للنظره الأخيره
كفو من راح رافع الراس
لكن راح وموصي ضميره

قصيدة للشاعر إسماعيل الربيعي:

مين اجيبك انت يشمعه بظلام الليل
كلي يا محمود وانت الحيل
والحسينيه يتيمة بلا ضوه
چن خلص منها الهوى
والنجوم تغار منه
حيف ما چانت الظنّه
شلون أشد الحيل بعدك
ياشمسنه الدايره بدونك ظلام
چنها بآخر نفس ظلت
يا وجه مثل الغمر
يا عدل جارو عليك
افتوا بذبحك حلال

وانطوا الموتك عذر جوي غفله ومن وراك
وجسدوا معنى الغدر رادو يهدمون كل الي بنيت
واختاروا الغشمه الغبر ما درو بالغبر ورد
والعطر من عنده فاح وما درو بالموت راحه
وتضحيه يريد الكفاح وما دروك العز بقيت
وصرت سالوفه وقضيه مثلت أروع حقيقه

تمثل أروع مرجعيه

قصيدة للشاعر محسن الجوراني

شكّبتلك شعرياً شيخ محمود
دمك غير هواي المفاهيم
بيك اليوفي نعرف واهل الاحسان
سحك عاطئيفة دمك الحار
شيعة وسنة گامت لجلک تصيح
وکل ولايتي انت رهائن
تغير باليكون وماهو کائن
والضدک لكل الامه خائن
حديد الوحدة صارت مومدائن
دمک نزل حررلي ألمدائن

دخلت عالمدائن فاتح ومهيوب
صاح الله واكبر ان قول الحق
واشهد ان محمد ابن عبدالله
واشهد ان علياً ولي الله
وحي عالصلاة الورد للاشواک
وحي عالجهاد وخيرة الاعمال
قد قامت قيامة شعب کله جروح
وانوي ان اصلي بمنحرك اديت
کفک ياظالم چانت تدک حيل
موبس حوزتک کل العراق يصيح
وامر دمک لنحرك يرفع الاذان
يصير اعظم جهاد وجائر السلطان
مو عبد الوهاب الخاتم الاديان
واشهد ان شيعة وسنة کلنا اخوان
وحي عالفلاح بمنهج القرآن
قد قامت دولة الشجعان
وانفتحت جنان الله والنيران
والسيف ارتعد وارتد عرش غمان
نزل دمک بثگلہ وعدل الميزان
من حقہ التفاخر قرية الفنجان

قصيدة للشاعر حيدر الحاتمي

مكطوع الطريق وحاي فارغ حاي
وانت الماخفت الخصم لاعتبه
كفو غادر عليه بين هاي الكاع
غالوا ما يخاف وحسم آخرته
ابن المرجعيه غدر من كتلوك
انت ابن العراق وفخر غانمته
ربك رادلك هالموته يم سلمان
هنيالك شهيد ورحت ودعته
گبلک حيدر الكرار بالمحراب
ساجد بالصلاة ومغذور خاتمته
ها انت من ابطال المذهب
واليشهدك سلمــــــــــــــــان

قصيدة للشاعر نعيم العبودي:

يظل ظهر الأصيله مناظر الخيال
شكر خطت جدمه ومائنت فديوم
تبع محمود خط حسين
امس محمود بالميدان
صح صفه قليل ورادوا يشنوه
مثل حيدر علي لمن بالصلاه طبرو
لان حره من الاشارة تميز الشكره
وصبوره ومن صبره خياله شكبره
يشوف الفعل لمن تنزل الغبره
وحده ومحمد ينصره
لان ايمان عنده ويغلب الكثره
كمل كل سجوده وخيب الطبره

قصيدة الشاعر أبو عبد الله الشمري:

صح ميت ولكن بينه تعيش
رفعنه الهمم بيك وبيك نمتاز
تستاهل لون نجيب طاريك
تعال وشوفنه شكد بينه الك شوگ
موش الميله بيدك چانت اطيح
شجاع وعارفه يا شيخ محمود
بحر ماتنوصف والشعر گطرات
المكانة العندك هواي اله تعبير
من اجيب اسماء موش فلان وفلان
ما جفلك خوف وندرې هيهات
غدر وبيك لانك عالي الصيت
مولاي حسين وانت بقبضة الموت
ألمدائن كله حزنت وكت مثواك
اليسولف كون ما يخل بطولات
يقي اسمك يا شيخ فوق الراس ينشال

ولا نساك مره وذكرك نملّه
وفرّق بين اليعيش بشرف وبذلّ
وعلى فراگك يشيخ الدمع ينزل
يشيخ وداعتك فرگاك يكتل
ولكن يالمعدل ميله تعدل
ولاء حسين حد طيحتك تحمل
شسولف چلمه چلمه وعنك انقل
الشهيد من الله هيچ تقدسه الكل
اسولفه بخشوع وكون ارتل
الخوف بگد صمودك گام يجفل
ووصل الهم كلامك گام يزعل
وبقت تاج عالراسك مو تختل
نهار وچن وداعك ليل ويچل
وعنك بالسوالف كون ييدل
وإحنا عالعهد، خطّك ما نبذلّ

قصيدة الشاعر أبو ياسين اللامي

يظل ذكرك دايم بالمدائن
يو محمد تظل بالكلب ساكن
شهيد المرجعيه وخادم حسين
ويم سلمان اجينه نوفي الدين
تظل محمود رايه وگرت العين
وعليك المرجع دموعه بچاهن
انت هلال يا سيف المراجع
وابو مهدي مشه بدربك يتابع
وعلى هذا الدرب ثالث ورابع
فراگ الزلم لضلوعي چواهن
يو محمد مصابك ياذي الكلوب
وابنك راح هذا قدر مكتوب
تأسه بعلي الاكبر راح مسلوب
وخله يصير لجروحك دواهن
ابنك شبه الاكبر ويه الحسين
غدره اهل الكفر ذوله الملاعين
وذكرى مصابكم بالكلب للحين
واحنه بكل وكت نعلك ضواهن
على فراگك تصب دموعه الناس
شهيد المرجعية ورفعت الراس

ومحمد امانه يحرسه عباس
ويم حسين وقصوره شحلاهن
بين فنجان ظل صيتك على الهام
وتتنومس بشخصه خوال واعمام
رحت انت وفديت بدمك الاسلام
واهل الجنة لربوعك تعاين
والمعله بچت من راح الهلال
وصاحت راح هييته والامال
وسفه من رحمت يا زين الارجال
ومشه سلمان بظعونك حداهن

قصيدة الشَّاعر ريسان اليوداوي

ظلت بس صورنه تعازل العين
وتعلكنه عالحيط ورده ورسوم
لو للفتوّه باقي وبيه طك ازلام
چان التفك يعرك بالغصص چيلات
جالو ظال للسه وبالحشد موجود
چاناش العنب ويطحنه صم بارود
چا ماخذه موت من الركن للموت
بس للاسف طاح ونعه براس الموت

وبقينه بلا خبر وبلا عناوين
وبقينه اوراق وبظهر الحياطين
جا اسس حشد وابن امه الي يحله
ومن ريجه يتعطر راس كل دله
چا سمو لوائك حشد المعلة
چا تارسه موت سوالف السله
وحط اعمامته وبالموصل وصله
وظل صوتك ينادي بكل ساحة بطوله

الفصل السابع

وصيَّةُ الشَّهيد

إِنَّ الْكَلِمَاتِ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ قَلْبٍ مُخْلِصٍ عَامِرٍ بِالْإِيمَانِ، فَإِنَّهَا تَنْفُذُ إِلَى الْأَرْوَاحِ، وَتُصْبِحُ عَهْدًا بَاقِيًا بَعْدَ أَنْ يَرَحَلَ الْجَسَدُ. وهكذا كَانَتْ وَصِيَّةُ الشَّيْخِ الشَّهيدِ مُحَمَّدٍ المدائني (رضوانُ الله عليه)، وَصِيَّةٌ مُمَهَّوْرَةٌ بِدَمِ الْقَلْبِ، وَمُسَطَّرَةٌ بِحَبْرِ التَّوْحِيدِ وَالْوَلَاءِ لِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

لقد كَتَبَهَا فِي وَقْتٍ اشْتَدَّتْ فِيهِ الْمَحَنُ، وَكَثُرَ فِيهِ الْقَتْلُ عَلَى الْهَوِيَّةِ، وَبَدَأَتْ مَعَالِمُ الْمُؤَامَرَةِ الطَّائِفِيَّةِ تَتَسَلَّلُ إِلَى مَفَاصِلِ الْمُجْتَمَعِ الْعِرَاقِيِّ الْجَرِيحِ، فَوَقَفَ هَذَا الْعَالِمُ الرَّسَالِيُّ لِيَضَعَ مَنَهْجًا وَاضِحًا لِأَبْنَاءِ قَضَاءِ الْمَدَائِنِ، بَلْ وَلِجَمِيعِ الْأَحْرَارِ، كَيْ لَا تَزِلَّ أَقْدَامُهُمْ فِي مَتَاهَاتِ الْفِتْنَةِ، وَلَا تَغْرَهُمُ الشُّعَارَاتُ الزَّائِفَةُ الَّتِي كَانَ يُطْلَقُهَا أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ.

وإِنَّ هَذَا النَّصَّ الْمُبَارَكَ لَيْسَ مَجَرَّدَ وَصِيَّةٍ فَرْدِيَّةٍ، بَلْ وَثِيقَةٌ فِكْرِيَّةٌ، تُعَبِّرُ عَنِ وَعْيٍ مَرَجِعِيٍّ، وَرُوحٍ إِصْلَاحِيَّةٍ، وَرُؤْيَا أَخْلَاقِيَّةٍ نَابِعَةٍ مِنْ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَلِأَجْلِ ذَلِكَ، نُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيِ الْقَارِئِ الْكَرِيمِ تَعْلِيْقًا تَحْلِيلِيًّا لِكُلِّ فِقْرَةٍ مِنْ هَذِهِ الْوَصِيَّةِ، نَسْتَخْرِجُ مِنْهَا الدُّرَرَ، وَنُبَيِّنُ أبعادَهَا الدِّينِيَّةَ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةَ وَالْفَقْهِيَّةَ، وَنُسَلِّطُ الضُّوْءَ عَلَى مَا فِيهَا مِنْ إشاراتٍ تَرْبَوِيَّةٍ وَتَوْجِيهَاتٍ إلهامِيَّةٍ، حَتَّى تَبْقَى شَاهِدَةً عَلَى مَسِيرَةِ شَهِيدٍ آمَنَ بِاللَّهِ، وَضَحَّى فِي سَبِيلِهِ، وَتَرَكَ لَنَا هَذِهِ الْكَلِمَاتِ نُورًا فِي زَمَنِ الظَّلَامِ:

﴿أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ وَأَنْ تُمْسِكُوا بِدِينِكُمْ الْإِسْلَامِيَّ الْحَنِيفِ وَأَنْ تَضَحُّوا مِنْ أَجْلِهِ بِكُلِّ غَالٍ وَنَفِيسٍ، وَكَذَلِكَ أَوْصِيكُمْ بِالْتَّمَسْكِ بِمَذْهَبِ الْحَقِّ مَذْهَبِ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ مَذْهَبِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ...﴾

هَذِهِ الْوَصِيَّةُ تُمَثِّلُ جَوْهَرَ الْخِطَابِ الشَّيْعِيِّ الْإِيمَانِيِّ، إِذْ إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ هِيَ
أَسَاسُ السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ نَحْوَ الْكَمَالِ، وَقَدْ جَعَلَ الْإِمَامُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ
التَّقْوَى سِلَاحًا لِلنَّجَاةِ وَسَلَماً لِلصُّعُودِ. أَمَّا التَّمَسُّكُ بِمَذْهَبِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَهُوَ
تَمَسُّكٌ بِعُرْوَةٍ وَثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا، لِأَنَّهُمْ كَمَا فِي حَدِيثِ الثَّقَلَيْنِ عِدْلُ الْقُرْآنِ، وَمَنْبَعُ
الْهُدَايَةِ. وَفِي دَعْوَتِهِ لِلتَّضْحِيَةِ مِنْ أَجْلِ الدِّينِ، يَسْتَحْضِرُ مَنْطِقَ كَرْبَلَاءَ، حَيْثُ بَلَغَ
الْإِمَامُ الْحُسَيْنُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ذُرْوَةَ الْفِدَاءِ.

(أَوْصِيكُمْ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَى الْمَكَانِ الَّذِي اتَّخَذْنَاهُ مُصَلًى ... وَتُحَافِظُونَ كَذَلِكَ
عَلَى مِمَارَسَةِ الشَّعَائِرِ الْخَاصَّةِ بِالْمَذْهَبِ مِثْلَ إِقَامَةِ الْمَجَالِسِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ
الْمُبَارَكِ وَمَجَالِسِ الْعَزَاءِ...)

إِنَّ تَأْكِيدَ الشَّيْخِ الشَّهِيدِ عَلَى حِفْظِ الْمُصَلَّى وَالشَّعَائِرِ يَعْكِسُ بُعْداً فِقْهِيّاً وَرُوحِيّاً
عَمِيقاً، فإِقَامَةُ الشَّعَائِرِ مِنْ تَعْظِيمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ، وَقَدْ وَرَدَ عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
(أَحْيُوا أَمْرَنَا رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَنَا). وَالْوَصِيَّةُ بِعَدَمِ تَرْكِ الشَّعَائِرِ حَتَّى فِي أَضْيَاقِ
الظُّرُوفِ تُمَثِّلُ مِنْهَجًا حُسَيْنِيًّا مُقَاوِمًا لِكُلِّ مُحَاوَلَاتِ الْإِلْغَاءِ وَالطَّمْسِ، وَهِيَ دَعْوَةٌ
لِلثَّبَاتِ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ مَهْمَا اشْتَدَّتِ الْمِحَنُ.

(أَوْصِيكُمْ بِحُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ مَعَ إِخْوَانِنَا أَهْلِ السُّنَّةِ ... لِأَنَّا أَتْبَاعُ دِينٍ وَاحِدٍ وَنَبِيٍّ
وَاحِدٍ...)

فِي هَذِهِ الْفَقْرَةِ تَتَجَلَّى سَعَةُ صَدْرِ الشَّهِيدِ وَرُسُوخُ فِكْرِهِ الْوَحْدَوِيِّ الْمُسْتَمَدِّ مِنْ
هُدَى الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِينَ عَاشُوا فِي أَرْزَمَةِ الْإِخْتِلَافِ السِّيَاسِيِّ وَالْمَذْهَبِيِّ دُونَ أَنْ
يَنْقَطِعُوا عَنْ عَامَّةِ النَّاسِ. فَالشَّيْخُ يَدْعُو إِلَى التَّلَاحُمِ عَلَى الْقَوَاسِمِ الْمُشْتَرَكَةِ وَإِفْشَالِ
مَخْطَاطِ الْأَعْدَاءِ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ إِلَى الْفِتْنَةِ. وَهَذَا يَتَّسِقُ مَعَ قَوْلِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ (النَّاسُ
صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ).

(أَوْصِيكُمْ بِالْحَوَازَةِ الْعِلْمِيَةِ فَإِنَّهَا السَّبِيلُ الْوَحِيدُ لِنَجَاحِكُمْ فِي الدَّارَيْنِ...)

وَكَذَلِكَ أُوصِيكُمْ بِزِيَارَةِ الْمَرَاجِعِ الْعِظَامِ...

تَجَلَّتْ فِي هَذِهِ الْوَصِيَّةِ مَكَانَتُهُ الْمَرْجِعِيَّةُ الدِّينِيَّةُ وَالْحَوَازَةُ الْعِلْمِيَّةُ فِي فِكْرِ الشَّهِيدِ، وَهِيَ تُمَثِّلُ الْإِمْتِدَادَ الشَّرْعِيَّ لِلْإِمَامَةِ فِي زَمَنِ الْغِيَّةِ الْكُبْرَى. وَقَدْ شَدَّدَ عَلَى رَفْدِ الْحَوَازَاتِ بِالطُّلَّابِ، لِأَنَّ وُجُودَ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ هُوَ صِمَامُ أَمَانِ الْعَقِيدَةِ وَالْأُمَّةِ، وَهَذَا مَا أَكَّدَهُ الْإِمَامُ الْمَهْدِيُّ (عَجَّلَ اللَّهُ فَرَجَهُ) فِي تَوْقِيعِهِ: (وَأَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رِوَاةٍ حَدِيثِنَا). كَذَلِكَ يُبْرِزُ الشَّيْخُ أَهَمِّيَّةَ الْعِلَاقَةِ بِالْمَرَاجِعِ بِاعْتِبَارِهِمْ أَمْنَاءَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ.

(أُوصِيكُمْ أَنَّهُ لَا سَمَحَ اللَّهُ إِذَا تَعَرَّضْتُ لِحَادِثٍ إِجْرَامِيٍّ ... أَلَّا يُرَاقَ بِسَبَبِي دَمٌ مُسْلِمٌ وَلَا تَشْتَعِلَ فِتْنَةٌ طَائِفِيَّةٌ...)

هَذِهِ الْفَقْرَةُ تُلَخِّصُ مَشْرُوعَ الشَّيْخِ بِالْكَامِلِ؛ فَهِيَ وَصِيَّةٌ مِنْ فَهْمِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي لَيْلَةِ شَهَادَتِهِ لَوْلَدِيهِ، أَلَّا يُقْتَلَ بِسَبَبِهِ إِلَّا قَاتِلُهُ. وَهِيَ دَعْوَةٌ لِلتَّسَامُحِ وَضَبْطِ النَّفْسِ فِي أَصْعَبِ لَحَظَاتِ الْأَلَمِ، لِتَفْوِيتِ الْفُرْصَةِ عَلَى الْمُتْرَبِّصِينَ بِوَحْدَةِ الْمُسْلِمِينَ. وَفِيهَا إِدْرَاكٌ اسْتِثْنَائِيٌّ لِحَظَرِ التَّوْظِيفِ الطَّائِفِيِّ لِلْإِغْتِيَالِ، وَتَحْوِيلِ الْمَظْلُومِيَّةِ إِلَى مَادَّةٍ لِلْفِتْنَةِ. هَذَا الْخِطَابُ الْحَكِيمُ مِنَ الشَّهِيدِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَشْرُوعَ دَمٍ، بَلْ مَشْرُوعَ حَيَاةٍ.

(أُوصِيكُمْ أَلَّا تَنْسُونِي مِنْ صَالِحِ دُعَائِكُمْ ... خُصُوصًا فِي الْعَتَبَاتِ الْمُقَدَّسَةِ...)

تَفِيضُ هَذِهِ الْفَقْرَةُ بِتَوَاضُعِ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ، حَيْثُ يَرَى الشَّهِيدُ نَفْسَهُ «أَقْلَّ الْعِبَادِ عِلْمًا وَعَمَلًا»، وَيَطْلُبُ الدُّعَاءَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا لِأَنَّهُ بِحَاجَةٍ إِلَى مَجْدٍ دُنْيَوِيٍّ، بَلْ رَجَاءً فِي الْقَبُولِ الْإِلَهِيِّ. وَفِي طَلَبِهِ الدُّعَاءَ فِي الْعَتَبَاتِ دَلَالَةٌ عَلَى ارْتِبَاطِهِ بِأَرْضِ الْوِلَاءِ وَمَوَاطِنِ الطَّهْرِ، وَفِيهَا اسْتِلْهَامٌ مِنْ ثِقَافَةِ الزِّيَارَةِ الَّتِي تُحْيِي الْأَرْوَاحَ وَتُبَثُّ الْوَعْيَ فِي الْأُمَّةِ.

(يَطْلُعُ الْإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى هَذِهِ الْوَصِيَّةِ بَعْدَ وَفَاتِي ... وَخُصُوصًا الْفَقْرَةَ

الخامسة).

هَذَا النَّصُّ يُؤَكِّدُ إدْرَاكَ الشَّيْخِ لِمَا كَانَ يُخَطِّطُ لَهُ مِنْ اغْتِيَالٍ أَوْ اسْتِهْدَافٍ، لَكِنَّهُ جَعَلَ مِنْ وَصِيَّتِهِ وَثِيقَةً لِلْأُمَّةِ، لَا لَحِظَةً ضَعْفٍ أَوْ اسْتِسْلَامٍ.

تَأْكِيدُهُ عَلَى الْفَقْرَةِ الْخَامِسَةِ يَعَكِّسُ هَاجِسًا مُسْتَمِرًّا لَدَيْهِ فِي حِفْظِ دِمَاءِ الْأَبْرِيَاءِ وَمَنْعِ الْفِتْنَةِ، وَكَأَنَّهُ كَانَ يَرَى بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ مَا سَتَحَاوَلُ بَعْضُ الْأَطْرَافِ اسْتِغْلَالَهُ بَعْدَ اسْتِشْهَادِهِ.

(أَرْجُو مِنَ الْأَهْلِ أَوْ الْوَصِيِّ أَوْ الْمُؤْمِنِينَ طِبَاعَةَ هَذِهِ الْوَصِيَّةِ وَتَوَازِعَهَا بَعْدَ الْوَفَاةِ).

بِإِصْرَارِهِ عَلَى نَشْرِ الْوَصِيَّةِ، كَانَ الشَّيْخُ يُؤْمِنُ أَنَّ كَلِمَاتِهِ بَعْدَ اسْتِشْهَادِهِ سَتَكُونُ امْتِدَادًا لِخَطِّهِ الْإِصْلَاحِيِّ وَالرِّسَالِيِّ. إِنَّهَا لَيْسَتْ وَصِيَّةً خَاصَّةً، بَلْ خِطَابًا عَامًّا يُرَادُ لَهُ أَنْ يَتَحَوَّلَ إِلَى بَرْنَامَجٍ وَمِثَاقٍ. وَفِيهَا نَفْسُ الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ يَوْفُونَ أَنَّ أَعْمَارَهُمْ قَدْ تَقْصُرُ، لَكِنَّ رِسَالَتَهُمْ لَا تَمُوتُ.

وَهَكَذَا، نَصَلُ إِلَى خِتَامِ هَذِهِ الْوَقْفَةِ التَّأْمِلِيَّةِ مَعَ وَصِيَّةِ الشَّيْخِ الشَّهيدِ مَحْمُودِ الْمَدَائِنِيِّ (رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ)، الَّتِي كَتَبَهَا بِقَلْبِ الْعَالِمِ الرَّبَّانِيِّ وَبَصِيرَةِ الْمُجَاهِدِ الْوَاعِي، فَجَمَعَ فِيهَا بَيْنَ عُمُقِ الْعَقِيدَةِ، وَوُضُوحِ الْمَوْقِفِ، وَشَجَاعَةِ الْكَلِمَةِ، وَسَمَاحَةِ الْأَخْلَاقِ.

لَقَدْ اِمْتَاَزَتْ وَصِيَّتُهُ بِرُوحِ التَّقْوَى، وَالتَّمَسُّكِ بِمَذْهَبِ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، وَالدَّعْوَةِ إِلَى الْوَحْدَةِ، وَصَوْنِ الدِّمَاءِ، وَالْحَذَرِ مِنَ الْفِتْنَةِ، وَالْإِرْتِبَاطِ بِالْمَرْجِعِيَّةِ وَالْحُوزَةِ، وَكُلُّهَا تُمَثِّلُ أَرْكَانَ الْمَشْرُوعِ الشَّيْعِيِّ الْإِيمَانِيِّ فِي مَوَاجِهَةِ مِحَنِ الْعَصْرِ.

كَمَا أَظْهَرَتِ الْوَصِيَّةُ إِخْلَاصَهُ الْمَطْلَقَ لِلَّهِ، وَتَوَاضَعَهُ أَمَامَ النَّاسِ، وَحِرْصَهُ عَلَى بَقَاءِ الْمَشْرُوعِ الدِّينِيِّ حَيًّا رَغْمَ كُلِّ التَّحْدِيَّاتِ.

إِنَّا حِينَ نَتَأَمَّلُ كَلِمَاتِهِ، نَلَمَسُ رُوحَ عَلِيٍّ عليه السلام فِي لَيْلَتِهِ الْأَخِيرَةِ، وَحِكْمَةَ الْحُسَيْنِ عليه السلام فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَكَأَنَّ وَصِيَّتَهُ اسْتِمْرَارٌ لِخَطِّ الشَّهَادَةِ وَالْوَلَاءِ، ذَلِكَ الْخَطُّ الَّذِي لَا يُطْفَأُ مَهْمَا تَكَالَبَتَ عَلَيْهِ السُّيُوفُ.

فَطُوبَى لَهُ وَهُوَ يَتْرُكُ فِينَا أَثْرًا خَالِدًا، لَا بِالْحَبْرِ وَحْدَهُ، بَلْ بِدَمِهِ الَّذِي سَالَ لِأَجْلِ أَنْ تَبْقَى هَذِهِ الْوَصَايَا حَيَّةً فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَنِبْرَاسًا لِلْجِيلِ الصَّاعِدِ، وَوَصِيَّةً لِلْأُمَّةِ كُلِّهَا بِأَنْ لَا تُفَرِّطَ بِدِينِهَا وَلَا بِمَبَادِئِهَا، وَإِنْ كَلَّفَهَا ذَلِكَ دِمَاءَ أَعَزِّ رِجَالِهَا نَسَأُ اللَّهَ أَنْ يَوْفِقَنَا لِلْعَمَلِ بِهَذِهِ الْوَصِيَّةِ، وَأَنْ نَكُونَ مِنَ السَّائِرِينَ عَلَى خُطَى الشُّهَدَاءِ، الْمَجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.



ملحق (١) في جامع الشيخ الطوسي مع السيد بحر العلوم، السيد رحيم الشوكي، الشيخ علي صبري الناصري



ملحق (٢) مع المرجع الديني الشيعي يعسوب الدين رستگار الجويباري



ملحق (٣) في مدرسة الإمام البروجدي مع ثلثة من طلبة العلوم الدينية ويبدو الشيخ المدائني (قدس سره) الثاني من اليمين جلوساً



ملحق (٤) في مدرسة السيد اليزدي يتوسط الجالسين من رفاق دربه الذين نذروا أنفسهم للتحفة في الدين



ملحق (٥) في مدرسة السيد اليزدي مع رفاق دربه من الذين نذروا أنفسهم للتفقه في الدين



ملحق (٦) الشهيد بين رفاق دربه من طلبة العلم



ملحق (٧) في مدرسة البروجردي مع بعض زملائه من طلبة العلم



ملحق (٨) أيام الدراسة الحوزوية



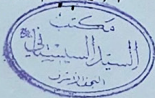
ملحق (٩) في مدرسة السيد اليزدي (قدس سره)

٣٩/ع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين
وبعد: لا يخفى على اخواننا المؤمنين في بلدان في بغداد
ونفقرهم الله تعالى لمراضيه ان فضيلة الشيخ محمد تقي
دام توفيقه ممن ائتم نفسه بالعمل على ترويج الدين الخفيف
ونسرا حقها للقدسة ونصح المؤمنين وعظمهم واصلاح
ذات بنهم ورعاية الفقراء والضعفاء ومنهم والقيام بما يتيسر له
في سبيل اصلاح دينهم ودنياهم ونور توجهات الرجعية
العليا دامت بركاتهم وقد تم اعتمادهم من قبل مكتب سماحة
سيد دام ظله لاداء هذه المهمة في منطقتكم لمدة عام واحد
من تاريخ البدء في ادائه ونوصيه وفقه الله تعالى
بمراجعة التقوى واجتناب الهوى واستيفاء مراقبة
الله تعالى في السر والعلن وسلك طرق الاحتياط
فانه سبيل النجاة والرجوع من اخواننا المؤمنين في المنطقة
التعاون معه والمؤخذ بتوجهات الدينية والسلام
عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته.

١/ رجب/ ١٤٢٤ هـ



ملحق (١٠) وثيقة اعتماد الشيخ المدائني من مكتب سماحة المرجع الديني الأعلى السيد علي السيستاني (دام ظله)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مكتب

سماحة المرجع الديني الكبير

السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ سَعِيدٌ الْكَبِيرُ

العدد: ٧٥ / وكالة

التاريخ: () / ربيع اول / ١٤٢٥ هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

وبعد: فلا يخفى على إخواننا المؤمنين في محافظة (بغداد/المدائن) وفقهم الله تعالى أن جلب فضيلة الشيخ محمود فنجان عبد المدائني دام توفيقه ممن يهتم بنشر المعارف الدينية وترويج الدين ونفع المؤمنين، فنأمل من المؤمنين تبجيله وتكريمه، والاستماع إلى نصائحه، والاسترشاد بإرشاداته.

وهو محاز من قبلنا باستلام الحقوق الشرعية، وإيصالها إلينا واستلام الوصل بها، وإرجاعه إلى أصحابها.

ونوصيه بملازمة التقوى وسلوك سبيل الاحتياط فإنه طريق النجاة. كما نوصيه بخدمة المؤمنين وتثقيفهم في دينهم وتهذيب نفوسهم وتقريبهم من ربهم وجمع كلمتهم وإصلاح ذات بينهم. وتكون هذه الإجازة سارية لنهاية عام ١٤٢٥ هـ. والله سبحانه من وراء القصد، ونسأله التوفيق والسداد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ سَعِيدٌ الْكَبِيرُ

العراق — النجف الأشرف — هاتف: ٣٧٠٠٤٦ — ٣٦٤٥٤١ (٣٣) — ٩٦٤ (+)

الموقع على الإنترنت: <http://www.alhakeem.org & net & com>

البريد الإلكتروني: info@alhakeem.org

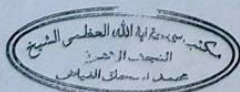
ملحق (١١) إجازة باستلام الحقوق الشرعية من مكتب سماحة المرجع الديني الكبير السيد محمد سعيد الحكيم
(قدس سره الشريف)

بِسْمِهِ تَعَالَى

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله

الطاهرين وبعد :

فلا يخفى على المؤمنين من أهالي (قضاء المدائن) أن جناب
(الشيخ محمود المدائني) دام توفيقه مأذون من قبلنا في قبض
الحقوق الشرعية وإيصالها إلينا وتسليم وصولاتها بتمام المبلغ إلى
أصحاب الحقوق . وهو معتمد مكتب سماحة الشيخ (دام ظله)
فنأمل من المؤمنين احترامه والاستماع إلى نصائحه وإرشاداته الدينية
ونوصيه بملازمة التقوى والاحتياط فإنه سبيل النجاة والسلام
عليه وعلى إخواننا المؤمنين ورحمة الله وبركاته .



١٥ ربيع ١٤٢٥ هـ

المأذونية سارية لعام ١٤٢٥ هـ

ملحق (١٢) مأذونية من سماحة المرجع الديني الشيخ محمد إسحاق الفياض (دام ظله)



ملحق (١٣) في مكتب السيد الحكيم (قدس سره) مع احد السادة الكرام



ملحق (١٤) الشهيد (الثالث من اليمين) بين ثلة من العلماء والمؤمنين في سوريا



ملحق (١٥) في زيارته لأحد المراقد المقدسة



ملحق (١٦) قم المقدسة في مكتب المرجع الأعلى ساحة السيد السيستاني دام ظله الوارف



ملحق (١٧) الشهيد مع ولديه محمد (وقوفاً) الذي نال درجة الشهادة معه في الحادث الغادر، وعليّ (جلوساً) الذي كتب الله له البقاء ليكمل مسيرة والده.



ملحق (١٨) في أحد المواكب الحسينية



ملحق (١٩) بين ثلة من محبيه في زيارة لمدينة كربلاء المقدسة



ملحق (٢٠) بعد أداء صلاة الجمعة يحف به لفيف من محبيه



ملحق (٢١) في محراب مصلي الرسول الأعظم ﷺ



ملحق (٢٢) بين ثلة من مريديه في مصلى الرسول الاعظم ﷺ بعد أداء صلاة الجمعة



ملحق (٢٣) صلاة الجمعة في قضاء المدائن بإمامة الشيخ الشهيد



ملحق (٢٤) يوم المسلمين في قضاء المدائن



ملحق (٢٥) محاضرة فقهية للشيخ في مصلى الرسول الأعظم ﷺ



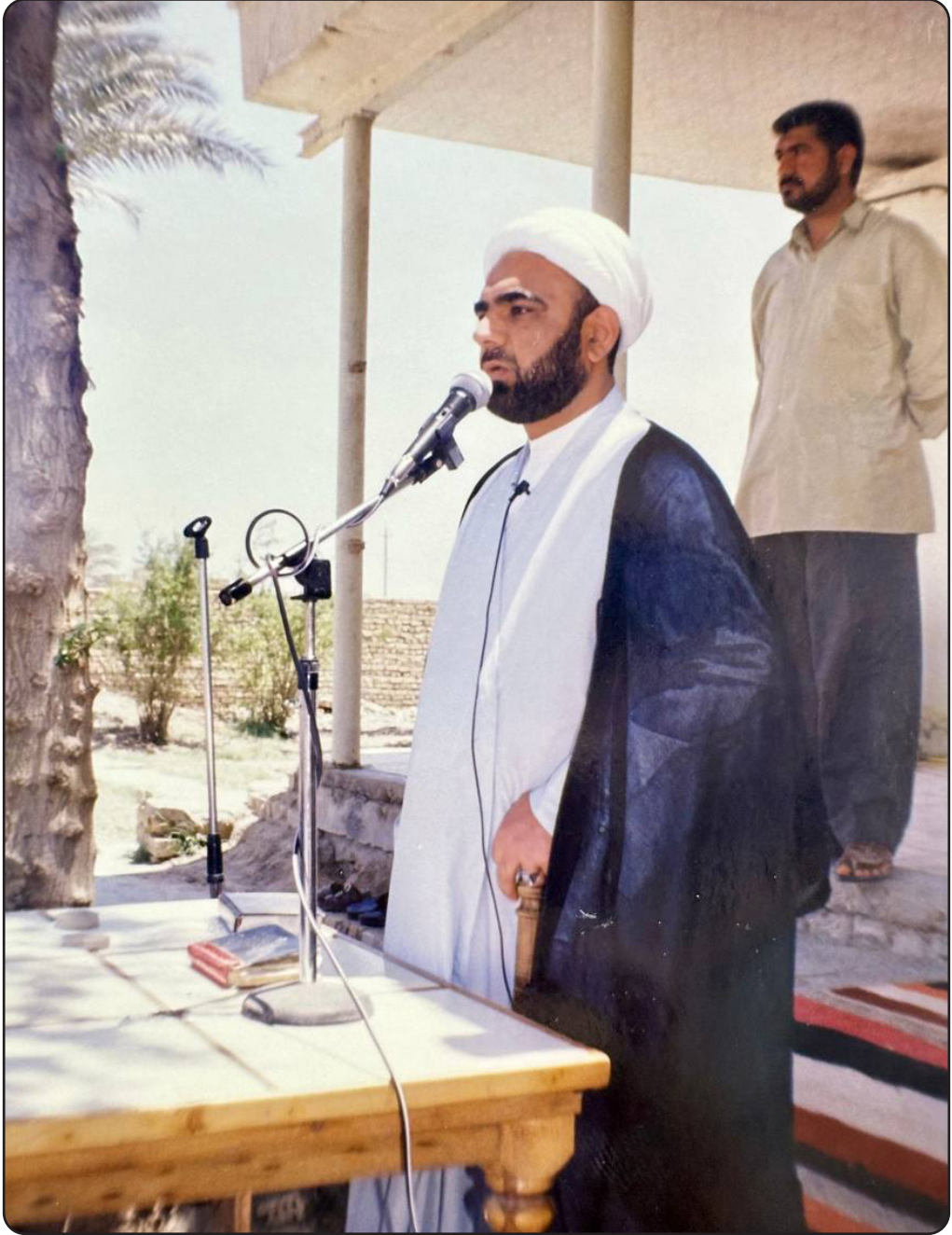
ملحق (٢٦) أمام الحضرة الكاظمية المقدسة الشيخ فنجان يتوسط ولديه الشيخ محمود وابنه عبد المحسن والطفل علي بن الشهيد الشيخ



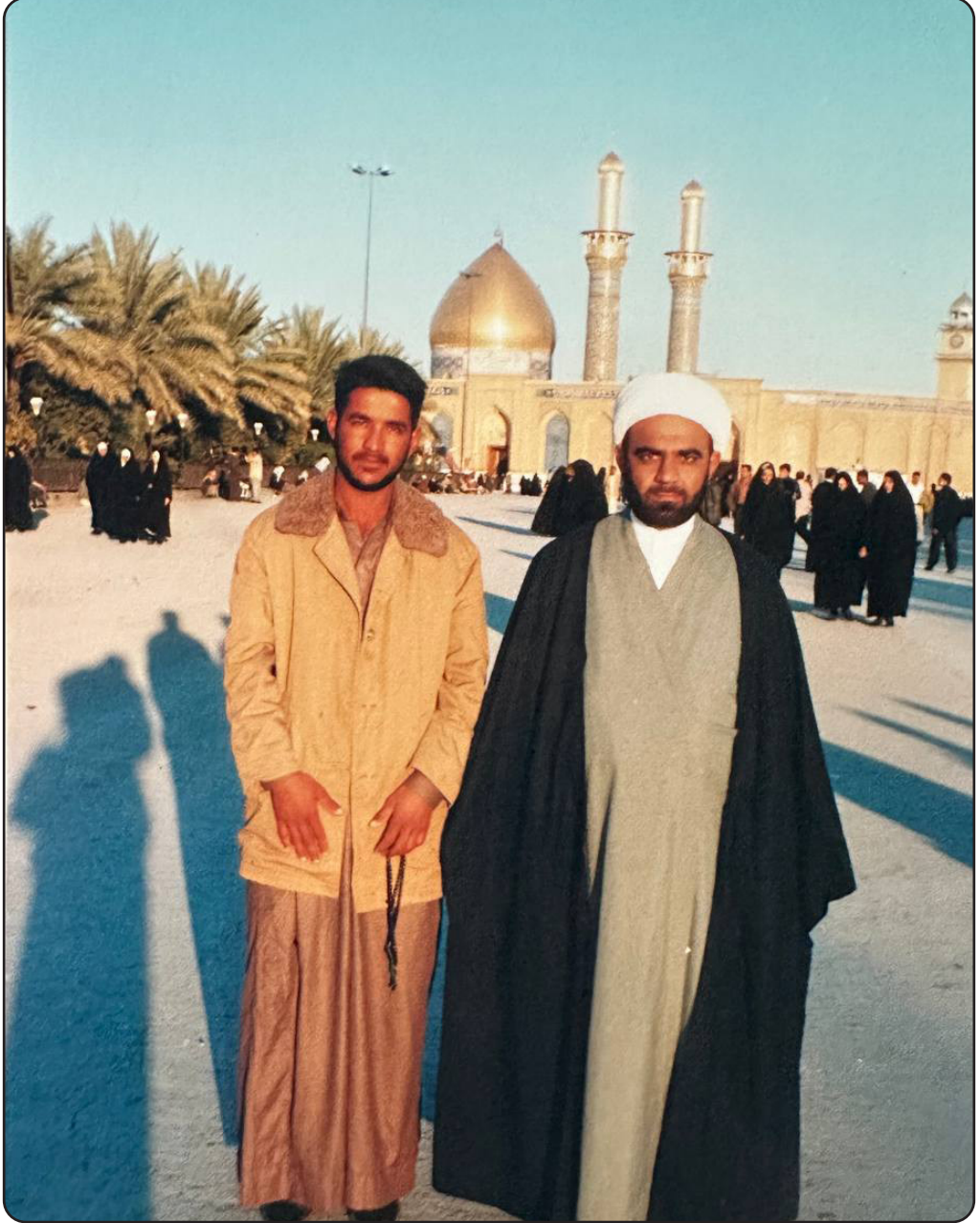
ملحق (٢٧) مع المؤمنين بعد أداء صلاة الجمعة



ملحق (٢٨) يحف به عدد من محبيه بعد أداء صلاة الجمعة



ملحق (٢٩) يلقي خطبة الجمعة



ملحق (٣٠) مع الشهيد علي الشمري (على سرر متقابلين)

ساحة آية الله العظمى المرجع الدين السيد علي الحسيني السيستاني دام ظله
يرحمه من ساحتكم الأمانة حول الأمانة التالية بالتفصيل -

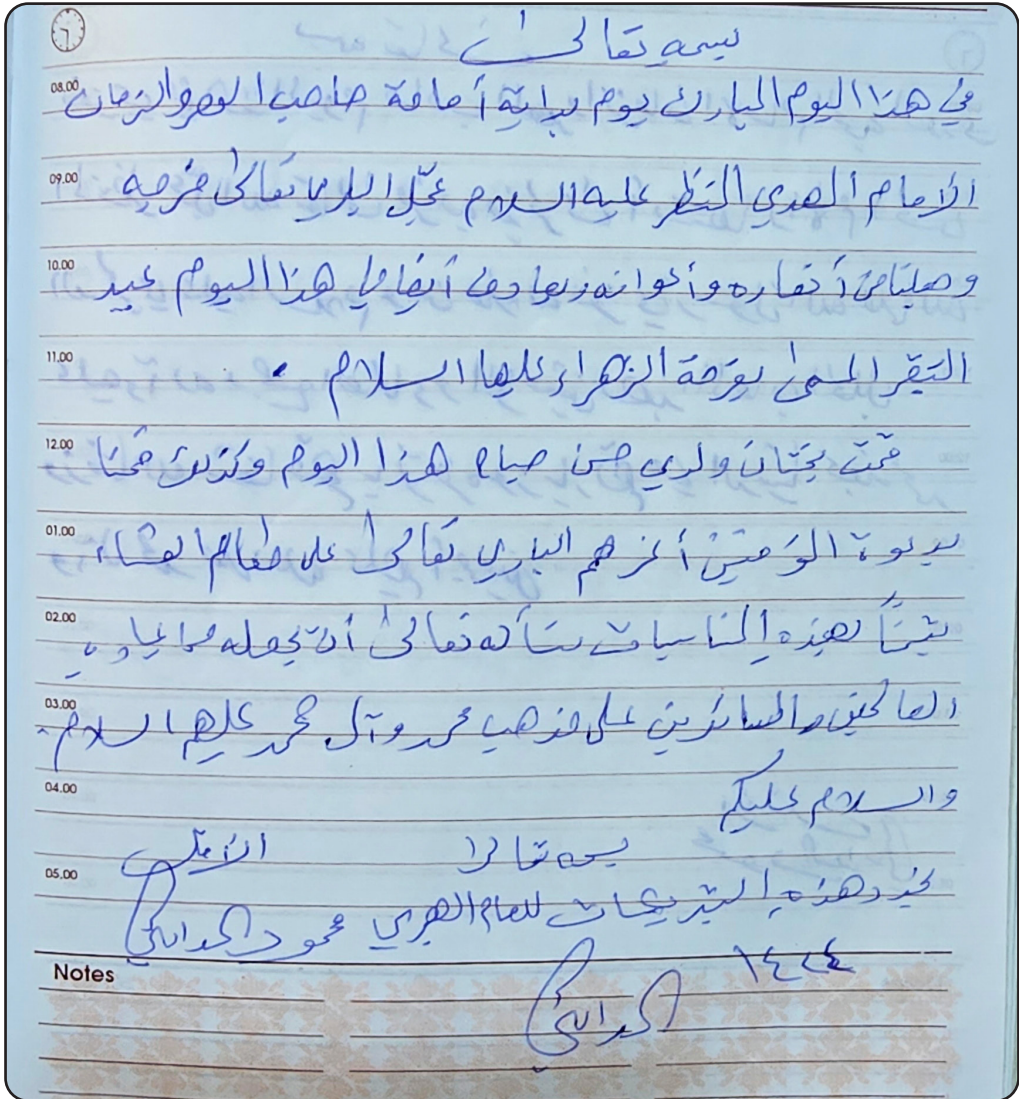
١- شخص بلغ أربعين عاماً ولم يؤد ما عليه من الواجبات المالية والصوم
وغیرهها والآ أن أصيب بحادث الحزن فما هو حكم تلك السنن المأثورة
نسب تعالى
لا تكلف عليه ولكن إذا مات بين أن يقضى عنه ما قام فترة فقهه .

٢- شخص لديه محل لبيع القماشية ويبيع فيه صور الفنا لغيره والعنايات
و يقول أن عمله يتوقف إذا لم يبيع هذه الصور فما هو الحكم
هذا ليس عذراً في ترجيح الباطل .

وهذا الشخص نفسه يقول بأن يريد أن يشتري كاميرة جديدة
لتصوير حفلات الأعراس وغیرهها للمرة القادمة فما هو الحكم
إذا لم يكن فيه شيء للباطل لا محذور آخر فمأثور .

٣- شخص أشتري عشرة أغنام بـ ٣٥٠ ألف دينار
ودفعها إلى شخص آخر ليقوم برباعتها وعلفها لمدة سنة واحدة
من مئيد الشراء ويدفع نصف المبلغ خلال هذه السنة إلى المشتري
و أعتبر المشتري الشخص الذي شاركه في أول الأمر شرط المشتري
على الشخص الثاني أن يكون ملزماً برباعتها فقط الحاي أحد
يرتب فيه المشتري وقيل الشخص الثاني هذه الشروط فما هو حكم
هذه المعاملة وإن لم تكن حلالاً فكل من يتم تصحيحها -
لم قطع خصوصيات الأمان فله من بيان له صدره معقلاً .

ملحق (٣١) استفتاءات بخط يد الشهيد مقدمة إلى ساحة المرجع الاعلى السيد السيستاني (دام ظله) واجوبتها
بخط اليد



ملحق (٣٤) وثيقة بخط يد الشهيد تؤرخ أول صلاة جمعة وجماعة في قضاء المدائن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعزة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
أوجب القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم إلى يوم الدين

أما بعد، أما سببنا فدعنا إلى في كتابه الكريم (بسم الله الرحمن الرحيم ومن يعظم شئنا
الله غافلاً عن تقوى القلوب، صدق الله العلي العظيم) وورد في الحديث الشريف،
(أحبوا أئمة زمانهم الله من أحياء أئمتنا)،

وإنطلاقة من الآيات المباركة والحديث الشريف، وبعد أن أقم البارئ تعالى على الشعب
الفرقي بنزول نظام الظلم والطغيان، النظام الذي حارب الدين والمعتقدين،
وبالتخصيص الشيعي،

تمام المؤمنين في قضاء الكدائن بتأسيس أول موكب عزاء للأهلام الحبيب

عليه السلام بأسم موكب عزاء أهالي المدائن (نسلان باك) - رض - تبارك
1/ محرم الحرام / 1445 هـ الموافق 2024 م - يوم الأحد.

نظراً لأهمية المؤمنين الراغبين في الانسحاب إلى هذا الموكب المبارك والالتزام بالشروط التالية
1- أن يكون الدعوة بنية التزب إلى الله تعالى من أجل الحصول على الثواب.

2- أن يكون هدى الموكب هو أحياء ذكرى أهل البيت - ع - وخصوصاً الثورة الحسينية المباركة

3- أن لا يستغل الموكب لأي غرض من الأغراض التي هي خارجة عن ذكرى أهل البيت عليهم السلام

4- على جميع الأهوية الراغبين في الانسحاب لهذا الموكب المبارك الالتزام بالتزام وبيان

أي اعتراضات وتعليمات وتوجيهات اللجنة المسؤولة على الموكب من أجل الحفاظ

على مركزية الموكب وديمومته، ثم لا بأس بالنقاش والاستماع إلى آراء المنتسبين

للموكب والأخذ بها إذا كانت في مصلحة الموكب مع بقاء الرأي الأخير إلى اللجنة.

5- لا يجوز لأي منتسب إلى الموكب أن يردد أو يدعي الموكب إلا لعذر شرعي، ولا يجوز الأضرار

بأهل هذه اللجنة في خدمة عظام أهل البيت عليهم السلام، وليس ههنا حسب الظهور

أو التأمير على الآخرين كما يحدث في بعض الموكبات، والله سبحانه هو الحفيق والعين لذلك، وسأنا

تعالى أن يجعل هذا العمل صالحاً لوجهه تعالى. وأزددون أن الحمد لله رب العالمين.

وصلوا الله على محمد وآله الطاهرين.

ملاحظة: إذا حدث لأحد أعضاء اللجنة حادث مما وفاة (أو مرض أو أي
أمر آخر يقوم بنية الكفا، اللجنة باختيار المؤمن الكفوء مكانه.

عضو اللجنة	عضو اللجنة	عضو اللجنة	عضو اللجنة	رئيس اللجنة
علاء خليل	حسن هادي	خليل دياب	عماد ناجي	الأول محمود المدائني

ملحق (٣٥) وثيقة تأسيس أول موكب - مسودة - خيار ثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين , والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين واللجنة الدائمة على أعدائهم إلى يوم الدين.
أما بعد: قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم (بسم الله الرحمن الرحيم ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب .صدق الله العلي العظيم) و ورد في الحديث الشريف: (أحيوا أمرنا رحم الله من أحيانا أمرنا).

و انطلاقاً من الآية المباركة والحديث الشريف , وبعد أن أنعم الباري تعالى على الشعب العراقي بزوال نظام الظلم والطغيان ,النظام الذي حارب الدين والمتدينين وبالأخص الشعائر الحسينية , قام المؤمنون في قضاء المدائن بتأسيس أول موكب عزاء للأمام الحسين (عليه السلام) بأسم موكب عزاء أهالي المدائن (سلمان باك) _ رض _ بتاريخ ١/محرم الحرام ١٤٢٥ هـ والمصادف ٢٠٠٤/٢/٢٢ م يوم الأحد.
فعلى الأخوة المؤمنين الراغبين في الانتساب إلى هذا الموكب المبارك الالتزام بالشروط التالية:

- ١- أن يكون الدخول بنية القرابة الخالصة لله تعالى من أجل الحصول على الثواب.
- ٢- أن يكون هدف الموكب هو أحياء ذكرى أهل البيت (ع) وخصوصاً الثورة الحسينية المباركة .
- ٣- أن لا يستغل الموكب لأي غرض من الأغراض التي هي خارج ذكرى أهل البيت (عليهم السلام).
- ٤- على جميع الأخوة الراغبين في الانتساب لهذا الموكب المبارك الالتزام التام وبدون أي اعتراض بتعليمات وتوجيهات اللجنة المسؤولة على الموكب من أجل الحفاظ على مركزية الموكب وديمومته , نعم لا بأس بالنقاش والاستماع إلى آراء المنتسبين للموكب والأخذ بها إذا كانت في مصلحة الموكب مع بقاء الرأي الأخير إلى اللجنة.
- ٥- لا يحق لأي منتسب إلى الموكب إجراء مواعيد مع الموكب الأخرى , ألا بعد مشاورة اللجنة , كما لا يجوز لأي منتسب التأخر عن الموعد إذا دعي الموكب ألا لعذر شرعي , ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه اللجنة هي في خدمة خدام أهل البيت (عليهم السلام) , وليس هدفها حب الظهور أو التآمر على الآخرين, والله سبحانه هو الموفق والمعين لذلك ونسأله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه تعالى . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين , وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

ملاحظة : إذا حدث لأحد أعضاء اللجنة حادث من وفاة أو مرض أو أي أمر آخر يقوم أعضاء اللجنة باختيار المؤمن الكفو ب مكانه .

الأقل محمود المدائني

رئيس اللجنة
الأقل محمود المدائني

عضو اللجنة
عماد تاجي

عضو اللجنة
خليل ذياب

عضو اللجنة
حسن هادي

عضو اللجنة
علاء خليل



ملحق (٣٧) آخر صورة لمسجد الرسول الاعظم ﷺ قبل التفجير



ملحق (٣٨) الجنان الطاهر على أكف مودعيه في النجف الاشرف



ملحق (٣٩) النجف الأشرف تشيع بالسواد على رحيله



ملحق (٤٠) جانب من تشييع الفقيد الراحل في كربلاء المقدسة



ملحق (٤١) السيارة التي اغتيل فيها ساحة الشيخ المدائني



ملحق (٤٢) جانب آخر من السيارة التي اغتيل فيها ساحة الشيخ المدائني

غير مصنف

«أنصار الإسلام» تهدد بالمزيد! هيئة العلماء تستنكر اغتيال وكيل السيستاني

15 يناير 2005 | 0 تعليق

بغداد، دبی - أ.ف.ب - دانت هیئة علماء المسلمين التي تعد اكبر المراجع السنية في العراق اغتيال الشیخ محمود المدائني ممثل آية الله علي السیستانی على يد مجهولين الخمیس.

واكدت ان «مفذي هذا العمل الاجرامي ارادوا استغلال الظرف الحرج الذي يمر به الوطن في ظل الاحتلال لتوتير العلاقة بين المرجعيات الدينية التي تعمل على قطع الطريق على من يحاولون جر البلاد الى استحقاق سياسي في غير توقيته الصحيح».

ودعت الهيئة العراقيين جميعاً الى «التنبه الى مثل هذه المحاولات».

تبني الجريمة

من جهتها، تبنت جماعة «انصار الاسلام في العراق» اغتيال الشيخ المدائني وذلك في بيان بثته امس على الانترنت.

وجاء في البيان الذي يحمل توقيع جماعة انصار الاسلام - لواء سعد بن ابي وقاص، انه «تمكن ثلثة من المجاهدين من قتل محمود المدائني مساعد رأس الشرك السيستاني وارادوه قتيلا» مع ابنه واربعة حراس.

وتابع البيان «اننا سنطارد ونلاحق كل الخونة والعلماء الذين باعوا الشرف والضمير وفضلوا الدنيا وسعوا لاعلاء كلمة اليهود والنصارى».

ملحق (٤٣) بيان تبني جريمة إغتيال سماحة الشيخ المدائني من جماعة «أنصار الاسلام في العراق» تنظيم القاعدة



ويكيبيديا
الإخوان المسلمين



إنشاء حساب دخول

ابحث في Ikhwan Wiki | الموسوعة التار،

اقرأ | عرض المصدر | التاريخ

إخوان ويكي

الصفحة الرئيسية

تحرير الصفحات

التحرير السريع في الويكي

كيفية التحرير الإحتراقي

تصفح الويكيبيديا

حسن النبا

آراء وأفكار

أحداث صنعت التاريخ

الإخوان حول العالم

أعلام الحركة الإسلامية

أحداث في صور

رسائل المرشدين

الإخوان بالحافظات

وثائق الجماعة

صوتيات ومرئيات

مكتبة الدعوة

المكتبة العامة

الإخوان في عيون الغرب

آدب الدعوة

معرض الصور

شبهات و ردود

تصفح الويكيبيديا

بوابات

سجل الزوار

أدوات

ماذا يصل هنا

تغييرات ذات علاقة

الصفحات الخاصة

نسخة للطباعة

رابط دائم

معلومات عن هذه الصفحة

بيان رقم (58) بخصوص اغتيال الشيخ محمود المدائني

بيان رقم (58) بخصوص اغتيال الشيخ محمود المدائني

2005/01/14

(ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق)

تُرى هل يفكر من يجرؤ على قتل مسلم أنه سيمثّل أمام الجبار وقتيلهُ معلّق بتلابيبه مطالباً بالقصاص ؟ وهل يعي ذلك الأرعن أنه يبيعُ آخرته بدنياه غيره ، وهو عند رسول الله من شر الناس ؟ ولمصلحة من تكون هذه القتل ؟ أليس هي لمصلحة العدو الاستراتيجي الذي لا يرضى عنا حتى نتبع ملته ؟

إن الحزب الإسلامي الذي تجنّب الألفاظ الطائفية على طول مسيرته ، إنه اليوم يخاطب **الشيعة** والسنة وجميع العراقيين بقول الله تعالى (كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) .

وإننا ندين هذا العمل الغادر الذي يعبر عن فشل من خطط له ، وندعو للشيخ الفقيه بالرحمة والمغفرة ولأهله بالصبر والإيمان ، ونتمنى أن لا تكون اليد الغادرة عراقية ولا إسلامية .

وندعو جميع الأطراف إلى أن يكونوا بمستوى المسؤولية لكي يتبنوا مشروع **العراق** الكبير الذي يسع **العراقيين** جميعاً ويحترمهم ويرعى مصالحهم ، وأن يربأوا بأنفسهم عن النظرة الطائفية المقيتة التي لم تخدم سوى أعدائنا وذوي المصالح الشخصية .

المكتب السياسي

3 ذو الحجة 1425 هـ

14/1/2005 م

المصدر

موقع الحزب الإسلامي العراقي

تصنيف: تصفح الويكيبيديا

معنا
تواضل
wiki@
ikhwanwiki.com

ويكيبيديا الإخوان المسلمين

ملحق (٤٤) بيان صادر عن المكتب السياسي لحركة الإخوان المسلمين

وكالة الأنباء الكويتية (كونا)
Kuwait News Agency (KUNA)



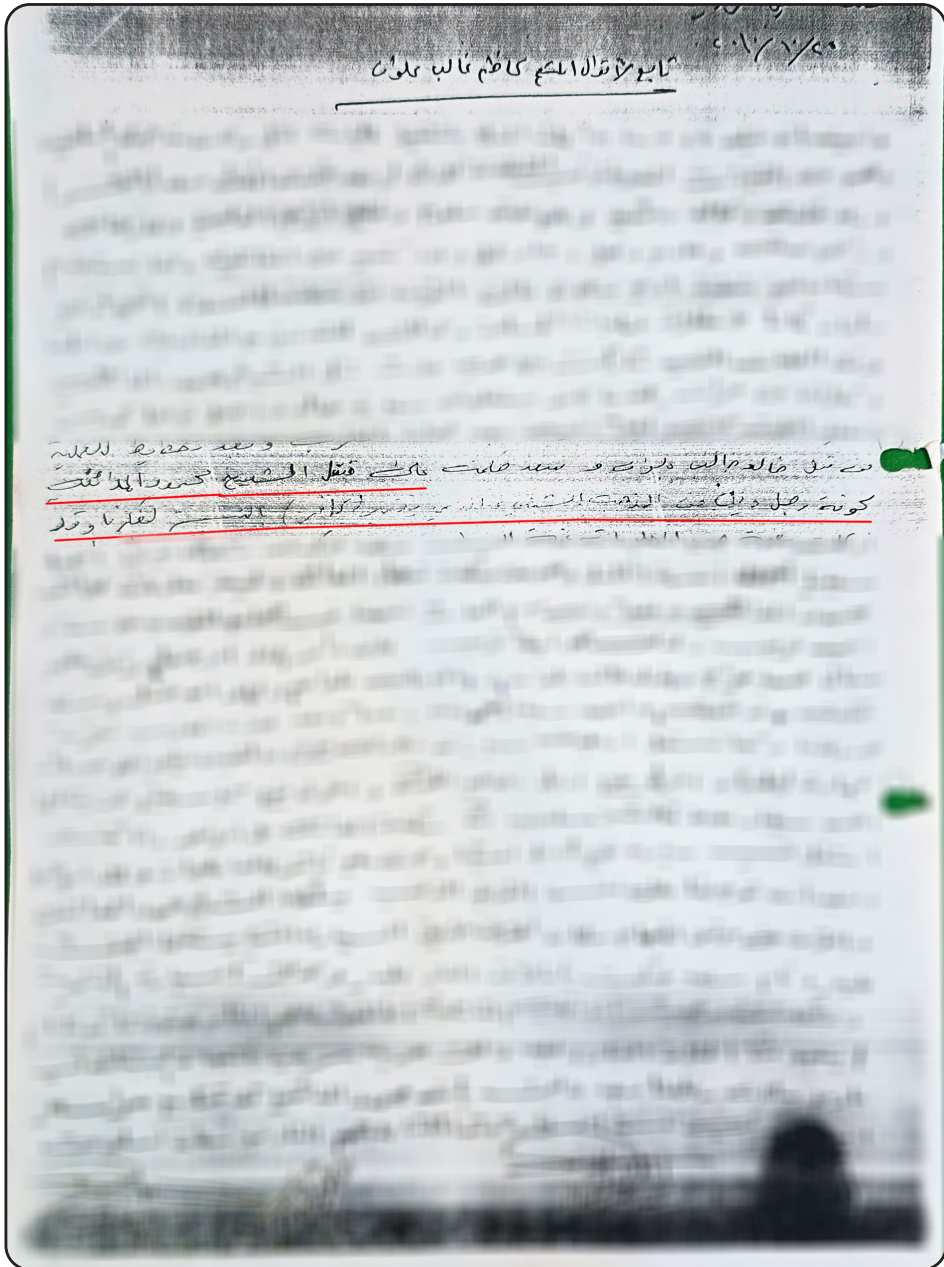
إطبع

هيئة علماء المسلمين تدين اغتيال ممثل السيستاني الشيخ محمود المدائني

التاريخ : 14/01/2005

لار 0058 4 0172 /كونا 59 أمني/عراق/اغتيال هيئة علماء المسلمين تدين اغتيال ممثل السيستاني الشيخ محمود المدائني بغداد - 14 - 1 (كونا) -- دانت هيئة علماء المسلمين السنة في العراق اليوم عملية اغتيال الشيخ محمود المدائني ممثل المرجع الشيعي علي السيستاني على يد مسلحين مجهولين في منطقة سلمان باك جنوبي بغداد . واكد بيان أصدرته الهيئة والتي تعتبر اكبر المراجع السننية في العراق "انها تستنكر استنكارا شديدا عملية اغتيال الشيخ محمود المدائني الذي اغتيل اس مع نجله وعدد من حراسه في مدينة الدائنين". وأضاف البيان أن "منقذي هذا العمل الاجرامي أرادوا استغلال الطرف الحرج الذي يمر به الوطن في ظل الاحتلال لتوتير العلاقة بين المرجعيات الدينية التي تعمل على قطع الطريق على من يحاولون جر البلاد الى استحقاق سياسي في غير توقيتة الصحيح". ودعا البيان الى التنبيه الى مثل هذه "الحاولات الفادرة" وتقويت الفرصة على من يريد بالعراقيين ويوطنهم الشورور. يذكر أن المدائني قد تعرض الى اطلاق نار من قبل مسلحين مجهولين أثناء عودته من الصلاة المغرب الاربعاء الفائت في منطقة سلمان بك الامر الذي اودى بحياته وحياة ابنه وأربعة من حراسه الشخصيين.(النهاية) ع / ه / ع أ م كونا 141500 جمث بنا 05

ملحق (٤٥) هيئة علماء المسلمين تستنكر عملية إغتيال الشيخ المدائني



ملحق (٤٦) اعتراف احد الارهابيين بان سبب قتلهم لساحة الشيخ محمود المدائني بنص كلامه كونه رجل دين من المذهب الشيعي وهذا يعتبر كافراً بالنسبة لفكرهم

٢٠٠٤ / ١٤ / ١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

١٤ / ذي الحجة / ١٤٠٤

السبت

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين المصومين، أما بعد، فهذه وصيتي إلى أخواني المؤمنين في قضاء الحوائج - دافعت بركاتهم -

١- أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى في السر والعلن وأن تستمسكوا بدينكم الأسلامي الحنيف وأن تصوموا أهل بيته بكل عناية وتقوى وكذلك أوصيكم بالنقل بذهب الحق مذهب محمد وآل محمد مذهب أهل البيت عليهم السلام الذين أخذ الله عنهم الركن وطهرهم تطهيرا.

٢- أوصيكم بالمحافظة على المكان الذي اتخذناه معالي حتى تستملكونا من بناء مسجد أو مساجد وحسينيات في المستقبل وإذا حدث شيء لهذا المكان فلا تتركوا شعاركم الديني ولو تبحروا في أحد الجوانب وتفقروا منه الأذان وتفتقدوا فيه صلواتكم بعد أن أنتم على ما ينبغي أن تكونوا فيه شعارنا الديني وكذلك تأخذون على عارضة العائش الخاضع بالمذهب مثل إقامة المجالس في بيوتهم وضيافة الميادين وأقامة مجالس الفزاد المأمم الحيناء - وكذلك في وفاة النبي - صواتكم أهل البيت عليهم السلام، وتأخذون كذلك على عارضة المجالس العارضة والمجاهد في أهله البيت عليهم السلام ولو في هذه الظروف شأنه من تعظيم شمس الله التي أمرنا بتعظيمها.

٣- أوصيكم بحسن المعاشرة مع أخواننا أهل السنة كما كان يفعل أئمتنا عليهم السلام وعلمائنا الأعلام رحمهم الله تعالى السابقين لهم وحقوا السابقين بأنهم كانوا يعوذون عرناهم ويبيسون جنانهم ويهرون لهم وعليهم ويقضون حوائجهم وقد أمرونا بذلك من خلال الروايات الواردة عنهم عليهم السلام لأننا أتباع دين واحد ونبينا واحد وقرآن واحد وصلة واحدة، نفرض النظر عن الخلاف في الأمور الفرعية التي قد يختلف فيها أبناء المذهب الواحد. لكني نشكر من الوقوف في وجهي محمد وآله والاسلام والمسلمين والأئمة من خلال وحدة الكلمة والراي واحترام جميع المذاهب وآرائها من أهل توحيد الأمة وتقويتهم على الأعداء الذين يريدون تزييفها.

٤- أوصيكم بالحوزة العلمية مأناها السبل الوحيد لبلالكم في الدارين في هذا الطريق الوحيد الذي يوصلكم إلى رضوان الله تعالى في أموركم الدينية والدنيوية، وكذلك أوصيكم بزيارة الراعي الفقاهة على الدوام فإنهم ورثة الأنبياء وقادة الحق وأن تأملوا على هذا السبيل الذي شتموا بالتكلم بسوء عليها وعلى المراجع، وكذلك أوصيكم أن ترفعوا الحوزة العلمية في كل وقت بالحسينيين من أهل الدراسة فيها حتى تكونوا حلقة الوصل بينكم وبينها ورفع المستوى العلمي والثقافي للمؤمنين في القضاء.

٥- أوصيكم أفواجي الأنهار بأنه لا سامع الله تعالى أذا تعرضت لحادث أضرابي مما قبل أي جهة عدوانيته أن لا يراقب بسببي دم حليم ولا تشتمل فتنة لها نصية ولا يقتل بي إلا قاتلي كما أوصي بذلك الأوامر علي عليه السلام بمأان الله تعالى هو الحاكم وهو الولي يأخذ الحق من الجرمين كما قال تعالى (ومن مثل ظلوهم فقد حملنا لوليهم سلطاناً فلا يعرفون القتل أنه كان مفصلاً) مأان الأعداء يخططون لحرب طائفية من طلال مثل رموز الشيعة فالحذر من ذلك من أجل أمننا لهذا الخطأ الأضرابي.

٦- أوصيكم أفواجي الأنهار أن لا تشوبوني من صالح دعواكم في حكمكم وتهمالكم وفي بسوئكم وفصوكم في القيامة المقدسة مأني أن الله العباد علماً وعملاً فتصطلوا على تبال دعاء من أجل أن أنال رضا الله تعالى مأان دعوة المؤمن لأفوية مستجابة وهذا هو أهلي فيكم.

٧- يطالع الفقهاء المؤمنون على هذه الوصية بعد وماتت في أجلي المحسوم الذي لا يقدر ولا يتأخر عن أهل العلم بضمون هذه الوصية وهذا هو رجا لي فيكم وفصوكم الفقه الخامس. وأخيراً أسأل الباري عز وجل أن يحفظكم من كل سوء وأن يثبت أقداركم على الحق وأن يأخذ بأيديكم طرقي هديهم وأن يحسن أقداركم على أن خيركم من أوصيكم الله على محمد وآله الطاهرين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٨- أوصيكم أهل الأهوال والوصي أو المؤمنين طبع هذه الوصية وتوزيعها بعد الوفاة.

أوصيكم
الأقل محمود المدائني
بغداد / المدائن



ملحق (٤٩) بوستر شهادة الشيخ ومن نالوا شرف الشهادة معه

المحتويات

الإهداء.....	٣
الفصل الأوّل بزوغ الأمل.....	٥
كلمة لا بدّ منها.....	٧
والدي الشَّيخ الشَّهيد: جرحٌ في القلب وسيرةٌ في الضَّмир.....	٨
تقريظ.....	١٠
ساحة العلامة الحجة السيّد محمّد حسين العميدي (حفظه الله).....	١٠
مدخل.....	١٣
المدائن حين تحكي الأسطر!.....	١٣
حياته ونشأته:.....	١٦
رحلته مع الدرس والعبادة بين المدائن والنجف الأشرف:.....	٢٠
رحلةُ الإيمانِ تعبُرُ حدودَ القمع:.....	٢٦
من مشهد الإمام إلى ديوان المرجعية.....	٢٦
وفي رحلة العودة:.....	٢٨
رحلة الإيمانِ إلى عقيلة بني هاشم.....	٣٠
لقاءات العلماء.. بين الحكمة والوعي:.....	٣١

٣٣	الفصل الثاني منهجه في التَّعليم ونشر معارف أهل البيت عليه السلام
٣٦	الأب الصالح والجماعة الصَّالحة:
٣٧	حماية الأب
٣٨	علاقته بالمرجعية
٣٩	رؤيته في تهذيب الشيعة
٤٠	ما بعد السَّقوط:
٤١	تواصله مع النَّاس
٤٤	أول مسجد لأتباع أهل البيت عليه السلام في المدائن
٤٦	مُصَلَّى الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ عليه السلام قلبُ المدائن النَّابِض
٤٨	أَوَّلُ صَلَاةٍ جَمَاعَةٍ وَجُمُعَةٍ: يَوْمٌ يَحْلُدُ فِي ذَاكِرَةِ الْمَدَائِنِ
٤٩	دوره في إقامة الشَّعَائِرِ الْحُسَيْنِيَّةِ وإحياء أمر أهل البيت عليه السلام
٥٣	الفصل الثالث دوره في إدارة قضاء المدائن بعد سقوط النظام عام ٢٠٠٣
٥٦	مساهمته في تأسيس أول مجلس بلديّ
٥٨	موقفه من الانتماء للأحزاب السياسيَّة بعد عام ٢٠٠٣
٦٠	موقفه من الانتخابات العامَّة النيابيَّة عام ٢٠٠٥
٦٤	رأيه في الاستفتاء على الدُّستور
٦٩	الفصل الرَّابِع من مناقب الشَّهيد عليه السلام الكلمة التي غيَّرت الطَّرِيقَ
٧١	موقفه من الدَّعَوَاتِ الْمُنْحَرِفَةِ
٧١	عِمامةٌ بِحَجَمِ التَّضَحِّيَةِ

- ٧٢ في زمنِ الفوضى.. موقفٌ لا يُشترى
- ٧٣ دفاعاً عنِ التعايشِ وتثبيتاً للشَّرْعِيَّةِ
- ٧٥ إصلاحٌ بالدعوة لا بالتصادمِ
- ٧٧ لا تزكيةَ للظالمينِ
- ٧٨ الرّاية التي لم تُهَنُ
- ٧٩ إطفاء نار المنكر
- ٨٠ عبرتان بسبب الشَّعر
- ٨٢ على ماذا نصليّ إذن
- ٨٣ هدايةٌ بلا خصامٍ
- ٨٤ دموعه على أسوار النّجف
- ٨٥ إغاثته للملهوف ومروءته الفدّة

- ٨٧ الفصل الخامس حادثة الاغتيال: جريمة طائفيةٌ بأدواتٍ تكفيرية
- ٩٣ تأبينُ الشيخ الشَّهيد وأثرُ استشهادِهِ في المدائنِ
- ٩٤ التّداعياتُ والتّأجُّجُ لِاستِشهادِ الشَّيخِ محمودِ المدائنيّ
- ٩٤ خسارةُ المرجعيةِ لمُعتمِدِها المِداييّ
- ٩٥ استِشهادُ ثُلّةٍ مِنْ خيرةِ المؤمنينِ
- ٩٥ بَثُّ الرُّعبِ في قُلُوبِ السُّكّانِ
- ٩٦ التّداعياتُ الأُمْنِيَّةُ والسِّيَاسِيَّةُ والدِّينِيَّةُ
- ٩٦ بَدَايَةُ التَّهْجِيرِ القَسْرِيّ

- صُعُودُ الْجَمَاعَاتِ الْإِرْهَابِيَّةِ ٩٦
- انْكِشَافُ الْإِنْقِسامِ الطَّائِفِي ٩٦
- خَطَرُ الْفِتْنَةِ ٩٦
- التَّدَاعِيَاتُ النَّفْسِيَّةُ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةُ ٩٧
- الْإِحْسَاسُ بِالْعُزْلَةِ وَالْخِذْلَانِ ٩٧
- نُمُو الْحِسِّ الثَّارِي ٩٧
- الْتِئَاجُ السِّيَاسِيَّةُ وَالْدِّيْنِيَّةُ ٩٧
- ارْتِفَاعُ صَوْتِ الْمَرْجِعِيَّةِ ضِدَّ الْإِرْهَابِ ٩٧
- تَحَوُّلُ الشَّيْخِ إِلَى رَمَزٍ جَامِعٍ ٩٧
- الْمَسَارُ... وَمَاذَا بَعْدَ الشَّهَادَةِ ؟ ٩٨
- حَالَةُ الْإِنْكَسَارِ وَالرُّعْبِ ٩٨
- امْتِصَاصُ الْفِتْنَةِ بِوَصِيَّةِ الشَّهِيدِ ٩٨
- تَحْرُكُ الْمَرْجِعِيَّةِ وَالْقَوَى الْوَاعِيَةِ ٩٩
- اسْتِعَادَةُ تَدْرِيجِيَّةٍ لِلْوُجُودِ الشَّيْعِيِّ ٩٩
- رَكْبُ الشَّهَادَةِ... الَّذِينَ مَضَوْا مَعَ الشَّيْخِ ١٠٠
- ١- الشَّهِيدُ عِمَادُ نَاحِي عُبُودِ الرِّبْعِيِّ ١٠٠
- ٢- الشَّهِيدُ أَحْمَدُ عَايِدُ خَلْبُوصِ الْبَدْرِيِّ ١٠١
- ٣- الشَّهِيدُ يَحْيَى كَازِمُ بَدْنِ الزَّيْدَاوِيِّ ١٠٢
- ٤- الشَّهِيدُ مَشْتَاقُ جَاسِمِ مُحَمَّدِ رِضَا الْجَابَرِيِّ ١٠٣
- ٥- الشَّهِيدُ مُحَمَّدُ مُحَمَّدُ فَنَجَانِ الْمَدَائِنِيِّ ١٠٥

- الفصل السَّادس نشيج الكلمات ١٠٧
- كلمات العلماء وطلبة العلم فيه ومعارفه ١١٠
- كلمة الشيخ علاء الحاج يوسف أبو الطَّابوق (مدرسة الحاج يوسف أبو الطَّابوق الدِّينية) النِّجف الأشرف ١١١
- كلمة الشَّيخ مهديِّ المدائنيِّ (معتمد المرجعية في مدينة المدائن) ١١٣
- كلمة السيِّد هاشم العوَّادي (طالب في الحوزة العلميَّة / النِّجف الأشرف) ١١٦
- رأي السيد السبزواري (دامت بركاته) بالشَّيخ الشَّهيد: ١٢٢
- شهادة أحد مرافقيه أثناء زيارته للشَّيخ باقر القرشيَّ ١٢٢
- كلمة الشَّيخ عبد الحليم العباديِّ (معتمد المرجعية الدينية العليا في محافظة ديالى - ناحية السَّلام): ١٢٥
- كلمة الشَّيخ عليَّ النَّاصريِّ (طالب في الحوزة العلميَّة / النِّجف الأشرف): ١٢٦
- كلمة السيِّد أحمد الشَّرع (طالب في الحوزة العلميَّة / النِّجف الأشرف): ١٢٧
- كلمة الشَّيخ عبد الأمير الدُّريعيِّ (معتمد المرجعية الدينية العليا في بغداد / ناحية الوحدة ومجمع بساية فرع A): ١٢٨
- كلمة السيِّد بسَّام الموسويِّ (معتمد المرجعية الدينية العليا في مدينة السَّماوة) ١٣٠
- كلمة بحقَّ الشَّهيد من أحد أبناء العامَّة المدائنيِّين ١٣١
- أثره في تهذيب النفوس: ١٣١
- رعايته لليتامى والأرامل والغارمين: ١٣١
- الشيخ المدائني في رحاب الشعر الشعبي ١٣٢
- قصيدة بقلم الشَّاعر عبد الله المعلاوي الكناني: محمود المدائن بأول المفزع ١٣٣
- قصيدة ثانية للشَّاعر عبد الله الكناني بعنوان: طريق الحريره يعبد بدماء الشَّهداء ١٣٥

- وفي قصيدة أخرى للشاعر إسماعيل الربيعي: ١٣٧
- وفي قصيدة أخرى للشاعر إسماعيل الربيعي: ١٣٨
- قصيدة للشاعر إسماعيل الربيعي: ١٣٨
- قصيدة للشاعر محسن الجوراني: ١٤٠
- قصيدة للشاعر حيدر الحاتمي: ١٤١
- قصيدة للشاعر نعيم العبودي: ١٤٢
- قصيدة الشاعر أبو عبد الله الشمري: ١٤٣
- قصيدة الشاعر أبو ياسين اللامي: ١٤٤
- قصيدة الشاعر ريسان اليوداوي: ١٤٦
- الفصل السابع وصيةُ الشهيد ١٤٧